

الإمام
الشيخ عبد الحليم محمود



القرآن والنبي



دار المعارف

الْقُرْآنُ وَالنَّبِيُّ ﷺ

الدكتور
عبد الحليم محمود

القرآن والسيرة صلى الله عليه وسلم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

تصميم الخلاف: محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة : ج . م . ع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن رسم لهم سبيل السعادة في دنياهم وفي آخراتهم ، وهو طريق لا استحالة فيه ولا مشقة حقيقة ، قد جربه الكثيرون ففازوا بالسعادتين :

لقد استراحوا في هذه الحياة الدنيا ، لقد غمرهم الرضا ، وأحاط بهم الاطمئنان ، ولقنهم أروية السعادة .

ولقد ضمن الله لهم حياة هنيئة في الآخرة : يظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله ، ويكفل لهم عدم الخزي حين يغمر الخزي كثيراً من الخلائق ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ويربهم وجهه الكريم تفضلاً منه سبحانه : هذه السعادة في الدنيا والآخرة وعده الله بتحقيقها لكل من توفّر فيه شرطان .

الأول : الإيمان .

الآخر : العمل الصالح .

يقول سبحانه :

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ^(١)) .

لقد وعد الله بتحقيق الحياة الطيبة في هذه الآية الكريمة لكل فرد تحقق فيه الشرطان ، ونص الله سبحانه فيها على الأنثى ، وسوى بين الذكر والأنثى : وفي ذلك دعوة صريحة أو ضمنية للنساء إلى القيام بالعمل الصالح والتحلل بمكارم الأخلاق ، مثلهن في ذلك مثل الرجال سواء بسواء ، وذلك حتى تعم السعادة جميع أفراد الأسرة .

(١) سورة النحل آية ٩٧ .

وذكر الله سبحانه ثمة تحقيق هذين الشرطين في صورة من التأكيد وهي الحياة الطيبة في هذه الدنيا ، والحياة الطيبة إنما هي السعادة .

ثم بين سبحانه في صورة أيضاً من التأكيد المؤكد أنه سيجزيهم في الآخرة وأن جزاءهم لن يكون على مستوى متوسط أعمالهم ، وإنما سيكون بأحسن ما كانوا يعملون .

هذه السعادة تتحقق للفرد باعتباره فرداً إذا حقق ما اشترطه الله سبحانه ، وتتحقق للأسرة باعتبارها أسرة إذا تكاتف أفرادها متعاونين متضامنين على توفير الشرطين : يرى كل من أفرادها أنه مسئول عن نفسه وعن الآخرين . فيتناصحون من أجل سعادتهم :

ألم تر إلى سيدنا إسماعيل ؟ لقد كان في نفسه (صادق الوعد) :
أى أنه صدق مع الله في عهد الإيمان والعمل الصالح .
ولقد كان بالنسبة لأمرته (يأمر أهله بالصلاة والزكاة) .
ومن أجل ذلك (كان عند ربه مرضياً)^(١) .

وهذا قانون إلهي عام ، ليس خاصاً بسيدنا إسماعيل ولا بفرد معين ، وإنما هو شامل لكل من انضوى تحت لواء الإيمان والعمل الصالح .

وقد بين سبحانه عمومته في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، وبين سبحانه أنه كما يشمل الفرد وكما يشمل الأسرة فإنه يشمل أيضاً المجتمع .

فالمجتمع الذي يحقق الشرطين يصل إلى السعادة .
وإذا كانت الآية التي نحن بصددنا هنا تعلن في وضوح تام عن السعادة في عمومها وشمولها في الدنيا والآخرة ، فإن آيات تين زوايا جميلة من السعادة وتحدد في تفصيل بعض الجوانب ، يقول سبحانه :
(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون .

(١) هذا الجزء واللذان قبله أجزاء من آتي ٥٤ ، ٥٥ من سورة مريم

لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ^(١) .

والآيات الكريمة تشتمل على زوايا أكبر من زوايا السعادة منها :

١ - أن الذين آمنوا وكانوا يتقون : أى الذين حققوا الإيمان والعمل الصالح - هم أولياء الله .

٢ - ولأنهم أولياء الله فلا خوف عليهم .

٣ - ولأنهم أولياؤه سبحانه فإنهم لا يحزنون .

٤ - ولأنهم حققوا الإيمان والعمل الصالح فإن لهم البشرى فى الحياة الدنيا .

٥ - ولهم البشرى فى الآخرة .

ثم يؤكد الله كل ذلك بأنه لا تبديل لكلماته ، إن وعده حق ، ومن أوفى بعهده من الله ؟

ثم يوجه الله سبحانه الأذهان ، أذهان الصالحين وأذهان المنحرفين على السواء - بأن ذلك لا غيره إنما هو الفوز العظيم :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ^(٢)) .

ويقول سبحانه فى شيء من الإيضاح الجميل الشائق :

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون .

نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون

نزلاً من غفور رحيم .

ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين .

ولا تنسوى الحسنه ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه

عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم .

وإما يترغثك من الشيطان ترغ فاستعد بالله إنه هو السميع العليم^(١) .
 والله سبحانه وتعالى في عالم الروح وفي عالم الاجتماع قوانين لا تتخلف .
 وكما أنه سبحانه رسم في عالم المادة نواميس تسير في انتظام فإنه سبحانه رسم في
 عالم الأخلاق وفي محيط الإيمان ، وفي ظواهر الاجتماع - قوانين تسير في نظام محكم
 بل إنه يمكن أن يقال :

إن قوانين الطبيعة إنما هي « عادات الطبيعة » ، أما القوانين التي عبر الله سبحانه
 وتعالى عنها في القرآن الكريم أو على لسان رسول الله ﷺ في الأحاديث القدسية أو
 في الأحاديث النبوية وأكدها سبحانه - فإنها نواميس لا تتخلف .
 ولقد أبان الله سبحانه منها عما يحتاج إليه الإنسان في سعادته الخالدة .
 من هذه القوانين :

١ - قانون الاستغفار ، أو قانون سعة الرزق .

يقول تعالى :

(ويا قوم اسفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة
 إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين^(٢)) .
 ويقول سبحانه :

(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ،
 ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً^(٣)) .
 ٢ - قانون التقوى ، أو قانون تفريج الكربات وسعة الرزق .

يقول تعالى :

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب^(٤)) .
 ويقول سبحانه :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
 والأرض^(٥)) .

(١) سورة فصلت الآيات : ٣٠ - ٣٦ . (٢) سورة الطلاق من الآية : ٢ - ٣ .

(٣) سورة هود آية : ٥٢ . (٤) سورة الأعراف آية : ٩٦ .

(٥) سورة نوح الآيات : ١٠ - ١٢ .

٣ - قانون التوكل .

يقول سبحانه :

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه ^(١)) .

٤ - قانون النصر .

يقول سبحانه :

(ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ^(٢)) .

ويقول سبحانه :

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ^(٣)) .

مع العلم بأن النصر دائماً إنما هو من عند الله :

يقول تعالى : (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ^(٤)) .

٥ - قانون الجهاد ، أو قانون الهداية .

يقول تعالى :

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ^(٥)) .

أى جاهدوا أنفسهم من أجل الله ، وجاهدوا أعداء الله سبحانه من أجله تعالى ، إذا فعلوا ذلك فإن الله يهديهم إلى الصراط المستقيم : يسدد خطاهم ، ويمنحهم التوفيق فيما يأتون وفيما يدعون ، ويضعهم على أبواب النصر ، وينصرهم بالفعل .

٦ - قانون التوبة .

ونتيجة التوبة الخالصة النصرح المغفرة ، وفي القرآن ما لا يكاد يحصى من الآيات إثباتاً لذلك .

بيد أن الذى نريد أن نتحدث عنه إنما هو قانون التوبة فى ذنوبها :

ومما لا شك فيه أن التوبة أنواع :

(١) سورة الطلاق آية : ٣ .

(٢) سورة الحج آية : ١٠ .

(٣) سورة محمد آية : ٧ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٢٦ .

(٥) سورة الفصيح آية : ٦٩ .

(أ) نوع هو أدناها ، وهو التوبة من الذنوب والمعاصي والآثام ، وقد وعد الله التائبين من هذا النوع المغفرة .

(ب) ونوع هو توبة من الغفلة عن الله ، وهو نوع وسط بين التوبة من الذنوب والتوبة التي هي عبادة .

(ج) أما النوع الأسنى فهو التوبة مع عدم ذنب ، والتوبة مع عدم الغفلة : التوبة حيث لا معصية ولا غفلة ، والتوبة لأن الله أمر بالتوبة ، وتكرار التوبة لأن الله سبحانه يحب ذلك .

وقانون هذه التوبة التي ليست للذنوب ولا لغفلة إنما لأمر الله هو ما رسمه الله بقوله :

(إن الله يحب التوابين)^(١) .

ولقد عبر الله سبحانه بقوله : « التوابين » ولم يعبر بالتائبين ، لأن الله سبحانه يحب الإنابة إليه على الدوام والرجوع إليه باستمرار : أى التوبة دائماً . ونتيجة ذلك هي هذه المنزلة الكبرى ، وهي حب الله سبحانه للتوابين .
٧ - وللرحمة قوانين عدة :

(أ) الراحمون . . يرحمهم الرحمن .

(ب) ارحموا من في الأرض . . يرحمكم من في السماء .

ويتصل بقوانين الرحمة ما يلي من مرويات الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ :

(ج) من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا . . نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر . . يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد . . ما كان العبد في عون أخيه .

(د) أما القانون الذي أعلنته السيدة خديجة رضوان الله عليها ، والذي كانت نتيجة عدم الخزي في الدنيا والآخرة - فهو أيضا من قوانين الرحمة :

لقد قال رسول الله ﷺ ذات يوم للسيدة خديجة رضي الله عنها : لقد خشيت

عنى نفسى . فقالت له هوراً : كلا والله ما يجربك الله أنداً
 هذه النتيجة التى ذكرتها رصوان الله عيها لم تتركها دون ذكر مقدمتها . أم
 المقدمة فهى : بحث لتصل الرحمة . وتعمل الكل . وتكسب المعصم . وتقرى
 اصيب . وتعبر على نوائب الحق . وهذه الأوصاف خليلة الخمية إنما تتصور
 كلها فى كلمة واحدة هى . الرحمة

والمقدمة والنتيجة يكونان قانوناً من قوانين الرحمة . يعنى أن كل من أراد ألا
 يحزبه الله فليكن رحيماً

(هـ) ومن أحب أن يسط له فى رزقه ، ويسأ له فى أثره . . . فليصل
 رحمه . ومعنى يسأ له فى أثره أى يؤخر له فى أحبه وعمره ، كما يقول الإمام
 انبوى

• * •

وإذ كان القرآن الكريم قد رسم طريق السعادة فى عمومته وشموله . وفصل
 لأمرى روايه هـ فإنه رسم طريق الشقاء فى عمومته وشموله . وفصل أيضاً الأمر
 فى روايا هـ .

وطريق الشقاء فى عمومته وشموله تصوره الآية انقرآنية التى تقابل بالصيغة
 السعادة التى اختارها الحديث ، يقول تعالى
 (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضكاً . ونحشره يوم القيامة
 أعمى^(١)).

ب هذا الذى أعرض عن ذكر الله يدأ وأعرض عنه عملاً جرؤه فى هذه الحياة
 اندب معيشة يعمرها انشقاء . ويوم القيامة يحشره الله متحطاً لا يهتدى إلى طريق
 السعادة

ب هذا الذى أعرض عن ذكر الله فاضاه الله بمعيشة الضك . سيشعر بهذا
 الضك ويوكان فى سعة من المال وبحبوحة من المعى . سيصيبه الله بالشعور بالضك
 عنياً كان أو فقيراً وبصور الله سبحانه شعوره بالضك فى الرخاء والشدة خير تمثيل

حما بصورة في حسنه بالكذب إن نحمل عنه بهت أو تركه بهت أي بلهث
في جميع أحواله
يقول سبحانه

(واتل عليهم ما الذي آتانا فاسح منها فأتبعه لشیطان فکان من
لعاوبین

ولو شئت لرفعناه بها ونکفه حداد الأرض واته هواه فثله كمثل الکذب إن
يحمل عليه بهت أو تركه بهت ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فافحص
القصاص لهم يتفكرون

ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا ونفسهم كانوا يظنون^(١)
وقد يكون شر هؤلاء عميماً فلا يكون هناك من مدعى لتدميرهم فردى أو
جماعات ، كلياً أو جزئياً ، وانظر بالله هذه الآيات للكرامة من سورة العنكبوت فهي
عظة وعبرة للأفراد والجماعات
للأفراد من أمثال « قارون وفرعون وهاب »
والجماعات التي ذكر الله فيها مدین ، وعداء ، وثمود
يقول تعالى :

(ولما جاءت رسلنا إرهم بالشئ قالوا يا مهلكو أهل هذه القرية إن ههنا
كانوا ظالمین

قل إن فيها وصفاً قالوا نحن أعلم بما فيها نسحقه وأهله لا إله إلا الله كانت من
لعاوبین

ولما جاءت رسلنا لوطاً بسوءهم ووصاف بهم ذرئاً وقابوا لا نجف ولا نحر
ب محوكت وهب إلا مريت كنت من لعاوبین : منزلون على أهل هذه القرية
رحر من السماء بما كانوا يعملون ،

وبعد تركها من الله به تقوم بمصون
وإن مدین أحدهم شعباً قدال ن قوم عدوا الله وارجوا ليوم الآخر ولا يغفوا

في الأرض مفسدين

فكذبوه فأحدثتهم لرحمة فأصبحوا في دارهم جاثمين
وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وريس هم الشيطان أنيهم قصدهم عن
السييل وكانوا مستصرين .

وعادون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما
كانوا سابقين
فكلاً أحداً بدينه . فهم من أرضنا عليه خاصياً . ومنهم من أحاده يصححه .
ومنهم من حسبنا به الأرض . ومنهم من أعرفنا . وما كان الله سظلمهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون

مثل لدن احدثوا من دون الله واء كمثل العنكبوت خبث ما واب واه
النيوت بيت العنكبوت لو كانو نعمون

يا الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم
وبذلك الامثال نصريها للناس وما يعقلها إلا العالمون (١)

ثم ندر هذه السورة لكريمة سورة بل . فيها تتحدث عن سعي الناس في
الحياه وحتلاف أساليبه وصرقه متحدثه بدت عن طريق سعادة وعن طريق
اشياء

بقول تعالى

(وإيل د يعثي وهر د يحي وما حق نذكر ولأني يا سعيكم
لشي فأما من أعطى واتى ، وصدق بالحسي فسيبره يبري وأما من عن
واستمي . وكذب بالحسي فسيبره للعسري وما يعي عنه ماله إذا تردى إن
عيب لنهدي وب ما للأخرة ولأولى فأنذرتكم ما أن تقضى لا يصلها
لا لأشئ ندي كذب وتوى وسيحسب لأني لذي يؤتي ماله يركي وما
لأحد عده من نعمه تحري إلا بتدء وحه ربه لأعلى وسوف يرضى (٢)

لهدي نقر القوايين لاحتياعه التي تعلق به مرد . وتتعلق بالأمره وتتعلق

مختتم الكبر ، فقد سبها بالتعير لإلهى فى دفته وروعه . وبها فى تأكيد وصح
ولقد اتبع منها الصالح هذه التعاليم فى فجر الإسلام وصدره لأول فى عهد
ارسول ﷺ ، وفى عهد الصديق وفى عهد الصادق رضى الله عنها . فكانت
الحياة الصيبة الراضية ، وكان حصر الفتح الحين ، هذا الفتح لى لا تحب تعصراً
عنه أسع من تعبير هذا المثرج لى أحدثه الالهة فسماع قائله أصبحت رقعة
الدنيا فى عهدهم محابوها هذه السرعة مذهلة ، أم أن الأرض كانت تطوى من
تحت أرجلهم ، فقطعوها فى زمن قصير ؟
وما صعب رقعة الدنيا ، وما طويبت لأرض ، وبكى الإيمان الحى لى
يصنع المعجزات

ما هى الصورة للإيمانية الى كانوا يمثلونها وستشعرونها ويعملون على تحقيقها ؟
إلى يذكر هنا بعض آيات من القرآن ترسم عتمة أهم حواب الصورة للإيمانية
بكرامة التى كانوا يتحنون بها . ولتى أحب الله للمؤمنين التحى بها فى كل وقت
يقول تعالى

(وعدد لرحمن الدين محشون على الأرض هونا وإد حاطهم الجاهلون قالوا
سلاماً . والذين يبينون لربهم سجداً وقياماً . ولذين يقولون : ربنا اصرف عنا
عدب جهنم إن عذابها كان غراماً . إنها ساءت مستقراً ومقاماً . ولذين إذا أنفقوا لم
يسرفوا ولم يفتروا وكان بين ذلك قواماً . ولذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا
يقتلون النفس التى حرم الله إلا باحق ولا يربون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يصاعف
له العذاب يوم اقيامة ويحبذ فيه مهناً . إلا من تاب وعمل عملاً صالحاً
فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسناً وكان الله عفوراً رحباً .

ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً . ولذين لا يشهدون الزور وإدا
مروا بالناس مروا كراماً . ولذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يحروا عنها صماً وعمياناً
ولذين يقولون ربنا هب لى من أرواحنا ودرياتنا قررة أعين واحمنا للمتقين إماماً
أولئك يحرون العرفة بما صبروا ويفقون بها نجاة وسلاماً . حالدين فيها حسنت مستقراً

ومقام . قل ما يعز بكم ربى لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً ^(١))
ويقول سبحانه :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعون والذين هم لأموالهم غيب عيون . من يتقى وراء ذلك فإن ذلك قد وثق هم بالعادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم رعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ^(٢)
ويقول عز وجل

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم أحد يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في البوراة والإنجيل والفرقان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم . العابدون ، الحاملون الحاشون ، المراكعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وشر للمؤمنين) ^(٣)
ويقول .

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتدوا وجاهدوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) ^(٤)
ويقول :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم ينوكون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومعهرة ورق كريم) ^(٥)
ويقول سبحانه :

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تحببكم من عذاب ألم تؤمنون بالله

(١) سورة الحجرات الآية ١٥

(٢) سورة الانفال الآيات ٢ - ٤

(٣) سورة الفرقان الآيات ٦٣ - ٧٧

(٤) سورة المؤمنون الآيات ١ - ١١

(٥) سورة التوبة آيات ١١ - ١٢

ورسوله وتجاهدوا في سبيل الله فامؤلكم وانفسكم دينكم خير لكم ان كنتم تعلمون
نعمر لكم دينكم وليحبكم حدثت بحري من يحبها لأهل روم كل طيبة في جنات
عدين ديث القور بعظيم وأخرى تحويها نصر من الله وفتح قريب وبشر
المؤمنين^(١).

هذه الصورة الإيمانية فيها الرحمة وفيها التوضيح وفيها المعرفة إنها في حقيقة
الأمر

بسلام الوحة لله في كل ما يحب . وأولى الأسرار مع الله على ما يريه
بسلام روحه لله في عباده . وسلام لوحه في جهاد الجهاد بكل
أنواعه جهاد بنفس . واجتهاد في الأسرة حتى يستقيم أمره . واجتهاد في مجتمع
حتى يستقيم أمره . واجتهاد في العمل بخاره كالأمر أو راعه أو صاعده . واجتهاد
آخرى أقوى ما تكون الصورة عدة وعتاداً وروحاً معونة

مصدق عالم بمسئول دون أن يصغر رقبته سبباً ودون أن تطوى الأرض من
تحت أرجلهم . ولكن سيعلم النفس واللبس لله سبحانه

ثم حيف من بعدهم حيف استقام أمرهم بمقدار قربهم من الصورة الإيمانية
السليمة . واحتل أمرهم حيف سعدوا عن الصورة للإيمانية الصادقة

سكن الأمة الإسلامية لم تحل في عصر من العصور من هؤلاء الذين يرفعون
أصواتهم بالإيمان ويكلمهم حق مصداقاً لقول رسول الله ﷺ على حسب ما روه
(إمام اسحاق) « لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على حق يقاتلون . وهم أهل
العلم » ويروي لإمام اسحاقى حدثنا عبد الله بن موسى ، عن إسماعيل . عن
عيسى عن جعفر بن شعبة ، عن النبي ﷺ . قال : « لا تزال طائفة من أمتي
طاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم طاهرون »

لقد استعند للإسلام على وجه العموم بدائنه مستقنة حجة وكان المسلمون على
وجه العموم يلحظون في نصر . وإلى السنة معتصمين مسيرشدين وكان الكل
فردي وحيث عبد شديرون القرآن وسنة فرقة وعملاً وكانوا كلما وجدوا أنفسهم

استعدوا في قليل و في كثير . عن الروح الإيمانية الصادقة . حاولوا جاهدين أن
يسعبدوها ، وقام فيهم بوحه والمرشد من أمثال . لحسن البصري . وسفيان
ثوري . ومالك . وعمر بن عبد العزيز ، وأحمد بن حنبل . وشافعي . رضوان
الله عليهم .

وستمرت الأمة الإسلامية في صورتها الإيمانية بين حرر وعتد . ولكن كان
مدها في الحملة أكثر من حرره . إلى أن جاءت بدعة ترجمة كتب الحيات اليهود
وكتب أخلاق اليونان أي إلى عهد المأمون
ومر بعد قس أن يحدث عن بدعة لترجمة هذه أن يعود إلى عصر أسبوق قري أمر
يجب أن يتدبره

بعد رأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهذه صحفه يقرأ
فيها ، فقال ما هذا ؟

فكان سيدنا عمر : إنها صحيفة من التوراة
فهم برص رسول الله ﷺ عن ذلك . وقال . والله لو كان موسى حيا ما حل له
إلا اتاعى !

ونظيفة الحدل ترك سيدنا عمر الصحيفة ولم يعد إليها
لمادا كان ذلك ؟ ما تعسفه ؟ وما الحكمة فيه ؟

الحكمة في ذلك هي

أولا : إن الوحي انقرآني وأحاديث الرسوب ﷺ قد يب . الحق في صورته لا لس
فيها . ول يقب لا تردد فيه . وفي وصوح و صبح ، ويبيده في صورته من الدقة
لا ينأى أن يوجد ما يمثلها في أسلوب آخر . وذلك أنها ، تسعى الإلهي نفسه فكان
يسعى إلى سيدنا عمر في . رسول الله ﷺ وكتب يسعى على كل مسلم أن
يسرهم .

ثانيا : أن رساله لإسلامه حذعه الرسالات . مهمته عليها تصديقا .
وإثباتا وهي . الحق حق وبطل لرائف ، وهي من أجل ذلك لبصل والموجع في

كل أمر . وقد أنزلت على خير مخلوق وأفضل رسول (تلك أنرس فصلا بعضهم على بعض)^(١) ومن أجل ذلك كانت أفضل وأكمل رسالة وما دامت هي المرجع وهي الفيصل ، وما دامت هي أفضل رسالة فإن الحكمة تقتضي ألا يصرف اسم وقته ولا بعض وقته في غيره .

ثالثاً أن للإسلام شخصية خاصة ، ودية محددة ، وظاعاً معيناً فإذا ما حفظ المسلم ذلك بعينه وإذا ما أنهى هذا (الغير) بالتكرار والعادة - فإن دانيه الإسلام تناع في ذهنه ، ويختلط في تفكيره ، فلا يتأني به أن يتيسر في وصوص أو أن يشعها في دقة

واشخصية للإسلامية ليست شخصية مادية ، فهي ليست طبيعة ، ولا فلكا ، ولا كيمياء ، ولا علم أحياء ، بل إن الروايد مادية لا تكون ذاتية ، ولكن ذاتية تتكون من العقيدة والأخلاق والسادى والمثل ، إنها فكرة وطاق شعاع ، ولأنه أن يكون لشعاع والطابع والفكرة محددة معينة . ويجب من أجل هذا التحديد وتعيين ألا تلوث الفكرة بعينها حتى يسمر لدانية واصحة في الدهن مصدر الإحساس والشعور ، ومبدأ للسلوك والتصرف .

وسار الأمر على ذلك إلى أن كان عهد الأمون

مهما شدد المؤرخون بعهد الأمون فإنه مما لا ريب فيه أن الأمون دخل بحرف أحسن . ونهور مهور في أسرع لديني لدى كان بين شعركه من حارب ورجاب الخلدت وأهل السنة من حارب آخر . وهو لم يسجل في هذا البراع للصيح أو للبهدة ، وإنما جعل نفسه طرفاً في الخصومة بكتل بدونة شرطة وحارب وملا مع طائفة صد الأخرى !

لقد أخذ صف المعترنه محاربا رجال الحديث ، أو محارباً الصالحين العابدين الأصفاء

وعلى الأمون أنه إذا ترجم بهيات البيوس وترجم أحلاقهم فإن في ذلك بصراً له .

وهذا ما رأى مترجمة إلهيات اليونان . وأمر مترجمه أخلاقهم . وأمر أيضاً
مترجمة إلهيات غير اليونان ومترجمة أخلاقهم

ولقد كان موقف المتدينين تدبياً صادقاً من ذلك موقف صريحاً
لأن كانت هذه الآراء الشريفة اليونانية أو الهندية أو الفارسية باطلاً قياساً
هو الحق . وهو الحق الإلهي الإسلامي . وهذا هو الحق الإسلامي صالح في دقته .
أي كان الأسلوب الإلهي نفسه أي أنه إلهي معني وأستوفاً . ونسب من حل
ذلك في حاجة إلى فكر بشري في هذه الجوانب

أما إذا كانت هذه الآراء الشريفة اليونانية أو الهندية أو الفارسية باطلاً قياساً
على غيرها . وذلك أن حياة الله أو الحياة الحادة لا تحمل ولا تقبل إصداً
موقف في لياض هذا موقفهم في يتعلق بالإلهيات والأخلاق وهو موقف واضح
أما فيما يتعلق بالطب والكيمياء والطبيعة والفلك والعلوم المادية على وجه
العموم - فإنهم رحبوا بها واعتبروها عاملاً أساسياً في تدعيم قوة الدولة . ولكن
لأنهم لم يعبأ بذلك وأمر مترجمة التراث اليوناني - فلسفة أو أخلاقاً وشجع الآخرين
من الأثرياء والوجهاء وكبار رجال الدولة على أن يحذوا حذوه ويهجوا هجوه
ونافس هؤلاء في إرضائه . وتمنقوه بمترجمة كم كابر . شملقوه بقول ما يرضه
ويعمل ما يرضه

وأحدث هذه الكتب شيع في أرجاء الأمة الإسلامية
وكي تقرب الأمور والوجهاء والأثرياء إلى الأمور مترجمة الإلهيات والأخلاق
فقد تقرب المثقفون إليه بدراساتها وتفهمها وتدرسها وإداعة ما فيها من آراء
مهددة كانت تلك الآراء أو صالحة . وكنت آراء المعارضين . وبكل محصوم
لمعتزلة : أي بكل بالصالحين من رجال الحديث والسنة .

وشاع الآراء المدحجية ، وداع المدح البشري الأرسطي في الأجواء التعليمية ،
وآلف لناس الأمر شيئاً شيئاً

وعند ذلك أحدث الفكرة الصحيحة عن الدين الإسلامية تأرر شيئاً . وأحدث
الحق الإسلامي الصادق يغمره نوع من العربة .

وكبر القرآن في بصره الدائم . واسترة في صفاته وروحانيته اسمه كان
 دائما معث بهام وتوجيه فكـ يقوم من آن لآخر فرد أو أفراد يوجهون المسلمين إلى
 لصراط المستقيم سلوكهم وتدرسهم ويكتبهم وعلى أس هؤلاء الإمام يعزى
 حجة لإسلام الذي أحبا المفاهيم الإسلامية بسوكة وبكتاته الخالد (بحاء عموم
 دس) الذي قضى على الفلسفة في مشرق قصص لم تقم ها بعده قائمة
 وسد في هذا الطريق نفسه الإمام عبد الغادر خيالي . ولإمام رفايعي
 ولإمام لشادي . وشجع العرب . ولإمام السنوي وغيرهم من كـ هذه
 المهندسين الذين كرسو حياتهم لغيره ناس إلى لله ورسولته سلوكهم وبتعاليمهم
 وكسبهم وكان لهم أناس على سبهم . وسلكو طرقهم فهدوا وهدو

٧ ٥ ٥

ونقد عرابا العرب في العصور الحديثة بكل ما يملك : بالسلام ونافهم
 وقد كانت مهمة العلم في هذا المجال واسعة متفرعة . لقد كان من
 ١ محاولة لخط من شأن شرفيين على وجه العموم ومن شأن العرب على
 وجه الخصوص باعتبارهم حسا من الأخناس
 قد سوب كتابهم لعرب قبل لإسلام وأحدو خطوط من شأنهم باعتبارهم
 حسا من الأخناس لا باعتبارهم طور من أطور خصرة . وحكموا عليهم
 باعتبارهم حسا بالأعدام الخصارى
 وسى هؤلاء خصرة الإسلامية لى ازدهرت عصور طوبى . تنسوها
 منعمدين . فإدا ما يحدثو عى مصطرين قللو من شأن . ونعثوا حولها لشكوك
 وكان عرصهم من دنت كله أن يمشو عدم الثقة في نفوس لعرب حتى يكونو
 باستمرار تابعين لعرب مقندين له

٢ وتناول كتابهم الإسلام عبدة وتشريعاً وأخلاق وديناً محاولين أن يرموا
 لحقائى في كل ميدان من ميادين الدس
 ٣ حاولوا أن يقللو من شأن الإسلام ومن شأن العرب . وحاولو بكل ما
 أوتوا من وسائل في الدعاية أن سعثو في نفوس روح التحلل والفساد الأخلاقى

وأحدث شخصية الإسلام بذلك كله تأرر ونكمز وكان لابد من أن تتصاغر
قلام المخلصين بدسهم ، ويختمع عملة على بوصيح دانيته متكاتفه على إحياء
مهامهم

وهذا الكتاب وما تنوه من سلسلة « في إحياء لمهامهم الإسلامية » ، إنما هو
مساهمة متواضعة في بيان دانيه الإسلام وبوصيح مهامهم ، أرجو الله أن يتقبلها
خالصة بوجهه الكريم

وأرجوه أن يهديها لمن يهديها
ربها تقبل ما يذك أنت السميع العليم

الكتاب الأول

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاة
والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن
اتبع هديه إلى يوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَمْ يَكُنِ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ مِنْهُ هَدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَلْأَنَّهُمْ يُوْفَوْنَ
أَوَّلَئِكَ عَلَى هَدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ^(١))

تمهيد

احدث في القرآن وعن القرآن لا ينهي ، إنه لا يحده فكر بشري ولا يقيد تصور إنساني . ولقد كان من الحكمة العميقة أن رسول الله ﷺ لم يأخذ في تفسيره كلمة كلمة وآية آية ؛ وإنما فسر كلمة من هنا وآية من هناك . ولم يفعل صلوات الله وسلامه عليه . إن تفسيره محد المعنى ويحدده ويقيده . وفسره رسول الله ﷺ بسلوكه . أكثر مما فسره بقوله المباشر في معناه فقد كان خلقه ﷺ القرآن ، فكان خلقه تفسيراً للقرآن ، ومن هنا كان قوله تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)^(١) .

وفسره ﷺ بأحاديثه لكثيره - عن طريق غير مباشر أكثر مما فسره بطريق مباشر .

وإذا كان رسول الله ﷺ قد تحلى بالقرآن فكان سلوكه تفسيراً له ، وإذا كان قد امتزج بالقرآن فكان بطقه - وما ينطق عن الهوى - تفسيراً له ، وإذا كانت حياته كلها سبب وإيجاباً قولاً وصمتاً حركة وسكوناً إنما هي تفسير للقرآن في الصحابة ساروا على مواله بقدر استطاعتهم . ولم يحاول أحد منهم أن يفسر القرآن كلمة كلمة وآية آية . وما حاولوا أن يستهدوا بالقرآن وأن يكون القرآن - ما استطاعوا - خلقهم .

لقد كانوا يعملون بالقرآن ، ويتحدوه إماماً وقائداً . إنهم لم يتخذوه دراسة نظرية ، وإنما اتخذوه هداية عملية حتى إن بعضهم ما كان يجاور في الحفظ السورة إلى غيرها إلا إذا حقق ما فيها من أوامر . وانتهى عما فيها من نواه . لقد اتخذوه دستورهم في الحياة ، وأقاموه إمامهم في حياتهم . لقد طبقوا قواعده وانتموا

مبادئه : من جهاد ، وصرب في الحياة ، وصدق في القلوب ، وإحسان في العمل ،
وعبودية آسمى وأقوى وأحشع ما تكون لعبودية الله سبحانه وحده ، وحققوا بدت
الأمة التي أحبا الله ورسوله

ونقد ربي القرآن على مر العصور رجالا اتحدوه إماما وهاديا فكانوا مثالا عاليا في
الإسابة لا يلدبهم غيرهم من سائر الدول ولا يزال القرآن للآن هو القرآن الذي
وحد قبائل وجمع أشتاتا ، وألف بين قلوب ، وكون أمة ، وأرسي قواعد حصارة
تعتز بها لأنها حصارة بيت على التقوى من أول يوم .

والآن ونحن في شرقا العربي وفي عتد الإسلامى في سبيل النهوض والتصور
والنعت ولرقى في حاجة أمس ما تكون الحاجة إلى الاسترشاد بمصدر هداية ومبع
القوة

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)^(١)
ولقد استرشدت في كل ما كتبت بالآية الهراية الكريمة .
(اقرأ باسم ربك الذي خلق)^(٢)

لقد بدت أمامى كروضة باعة يقتطف لإسنان منها أحمل الزهور ، وبشم من
غيرها أركى الروائح ، وبدت أمامى كنز مهج حبة ، وبدت أمامى موحية
موحجة . فسرت في البحث مسئلها على الخصوص هذه الآية الكريمة .
إسأوب آية برلت في لقرآن الكريم ، وهى ثرية بالمعاني ، وعلى الرغم من أنها
كانت جوهر موضوع الكتاب في ألفاظها وفي جوهرها فإنى لم أقل عب كل ما يمكن أن
يقال ولكى وأن أسير في جوهر أحييت أن يكون الحديث خطوة في سبيل إيصال
الطريق إلى السبع على سد الصدر الأول في الاستهداء بالقرآن عميق ، وفي الأحد في
الناحية العسية عادة كانت أو صريا في الأرض .

ولقد استرشدت بالآية الكريمة في عدة محالات منها .
محال العلم وهو أساس الحصارة واسعة راسخة ، ولن تبصر أمة إذا لم تتحد
العلم أساساً من أسس مهتمة ، العلم بأوسع وأشمل ما ندل عليه كلمه العلم

واسرشدت بها في محل الغزو الفكري وموقف لإسلام منه . وذلك لرجع إلى
اسم الصادق مصدر حصارثنا وأساس هدايتنا .

ولما كان الكتاب عن القرآن الكريم فقد كان من الضروري أن نتحدث عن
وصف القرآن وعن فضله ، ولقد استعصت في بيان وصف القرآن من القرآن
نفسه ، فتعبير القرآن عن القرآن كله توجه للمسلم وبيان له عن مصدر هدايته ،
ووصف صادق لكتاب النور والهداية

واستفصا أيضا في موضوع الذكر وموضوع الدعاء مستبين في كل منهما إلى
القرآن ، وحدث لأشياء تعبير من أهم وأصدق مظاهر التعبير عن العبودية لله
بذلك وعن في عصرنا الراهن شدة ما يكون في حاجة لتحقيق لعبودية الله سبحانه
وتعالى باب فيها الاستعانة به عن سواه فإذا اتجه المسلم لصادق إلى الله فقد استعنى
به . واعتز به ، ومن كان الله كان الله له أليس الله بكاف عبده ؟ وإذا حقق المسلم
العبودية لله فإن الله يتكفل بصره

إن تنصروا الله ينصركم

ولي نصرون الله من نصروه .

وكان ختام البحث عن توجيهات القرآن الكريم في انصر بادن الله
وإيا نرجو الله حلت قدرته وعظم سطرانه أن يوحى الأمة الإسلامية الوجهة التي
ترضيها ، وأن يمد لها ممد من عبده . وأن يكتب لها النصر ، وأن يعيد لها ممد
السائق .

إيه نعم المولى ونعم النصير

د . عبد الحليم محمود

الفصل الأول

المحور الذي نشأ فيه الإسلام

الحنفاء (١)

وَأَسْلَمْتُ وَحَيِّ لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَحْرًا ثَقَلًا
 دَحَامًا فَلَمَّا اسْتَوَتْ شَدَّهَا سَوَاءً وَأَرْسَى عَلَيْهَا احْتِمَالًا
 وَأَسْلَمْتُ وَحَيِّ لِمَنْ أَسْلَمْتُ لَهُ الْمَرْءُ تَحْمِلُ عَذَابًا زَلَالًا
 إِذَا هِيَ سَبَقَتْ فِي سِدَّةٍ أَطَاعَتْ فَصَبَتْ عَلَيْهَا سَحَابًا
 هذه الأبيات كبرت في يد عمرو بن هذيل ، ثم يستقل البيت ويقول
 لَيْسَ حَقًّا حَقًّا تَعْدُو وَوَفَاءً بِي (٢) أَرْحُو لَا الْحَارَ (٣) . أَهْلُ مَهَجَرٍ (٤) كَمَنْ
 قَالَ (٥) ثُمَّ شَدَّ .

عَدْتُ عِيَّ عَدَّ بِهِ إِبْرَاهِيمَ مُسْتَقِلَّ الْكَعْبَةِ وَهُوَ وَفِي
 يَقُولُ أُنْبِيْتُ عِيَّ عَدَّ مَعَهَا تَحْمِلُ حَاشِمٍ (٦)
 ثُمَّ يَسْجُدُ

كان زيد بن عمرو غريباً أصيلاً ، فهو ابن عم سيدنا عمر بن الخطاب وهو
 أنوسعيد بن زيد أحد لعشره لمشرين بالحنفة وكان أحد من اعترفوا بحده
 الألوان ، وامتنع عن كل ما دبح باسمها ، وكثيراً ما ذكر على فريش دحها على عمر
 اسم الله قثلاً

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَيْرَسِلَ اللَّهُ قَطْرَ سَمَاءٍ . وَبَسَّ يَنْقُلُ الْأَرْضَ . وَيُحَقِّقُ اسْمَهُ

(١) من مصادر حد الفصّل الأعاني ج ٣ ، ص ٥٠ ، في الأدب الجامعي للدكتور محمد حسين ، سيرة بن هشام
 وروحي الألف ، عهد تاريخ الفلسفة للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، هجر الإسلام للمرحوم الدكتور محمد أمين
 نجل والرحيل للشهرستاني (٥) قال - أقام في القنطرة

(٢) البر الطاعة والتعبد (٣) الأعاني الجزء الثالث ص ١٦٤

(٤) القنطرة ، حيلة ،

(٥) المهجر السائر في المهجر

فيه ، وتدعوها بعيره !

ولقد أثارت حالته هذه فهام بعض علماء الكلام من قديم الزمان ، وهم من أحل ذلك يدكرونه عند تعريفهم للشيء ، ويتساءلون : أخرج عن التعريف أم داخل فيه : يقول الحلال الدواني في تعريف الشيء

« هو أساس بعث الله تعالى إلى الخلق لتبليغ ما أوحاه إليه ، وعلى هذا لا يشمل من أوحى إليه ما يحتاج إليه لكمالته في نفسه ، من غير أن يكون معوثاً إلى غيره ، كما قيل في زيد بن عمرو بن ضيل ، اللهم إلا أن يتكف (١) »

ولعل من الأسباب التي وجهت بعض المتكلمين إلى ذكر زيد عند حديثهم عن النبوة ما روى عن سعيد بن زيد بن عمرو قال : سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال :

« يأتي يوم القيامة أمة وحده » .

وسواء أكان نبياً أوحى إليه ما يكمل نفسه ، أم لم يكن نبياً فإنه كان من هؤلاء الذين يتطشون لمعرفة الحقيقية ويسعون وراءها حاهدين كان يعتمر دمه ، ويشهد شعوره بريد أن يحل العار لكونه ، ويكشف أسرار العالم ، ويحب

عن

من أين ؟

وبلى أين ؟

ولم ؟

ولكنه ينبت يميناً ، ويتلفت يساراً ، فلا يجد نفسه إلا في بدء مظنة ، وفي

صلال محيط ، ويثور شعوره الديني فيشد وكأنه يصرخ أو يستغيث

أرباً واحداً أم ألف رب أدين ، إذا تقسمت الأمور ؟

عزلت اللات ، وانعزى جميعاً كذلك يعمل الخلد الصبور

فلا العري أدين . ولا استيها ولا حسني بن عمرو زور

ولا هلا أدين ، وكان رباً أنا في الدهر ، إذ حلمي بسير

عجبت ، وفي أسارى معجبات وفي أيام يعرفها الصغير
 بأن الله قد أفي رحلا كثير كان شأنهم الفجور
 ونبي أحرس من قوم سيرة منهم الطفل الصغير
 وبيد المرء يصر ثاب يوماً كي يتروح بعصا الصغير
 ولكن أعدا الرحمن ربي لعصر ديني الرب العصور
 فتقوى الله ربكم احفظوه متى ما تحفظوها لا توروا
 ترى الأبرار درهم حيا ولتكهار حامية صغير
 وحري في الحياة ، وإن يموتوا يلاقوا ما تصيق به الصدور
 ولكن الهداية إلى الدين القويم لم تكن إذ ذاك سهلة هينة
 وإذا كانت الوثنية صلاباً فإن الهداية ؟

وإذا ترك الآلات والعزى وهمل فإلى أين يسعته ؟

ويسأل عليه شعور ديني ، ويعمره فيص من لتضع في المعرفة فلا يجد مصر
 من المحرة ستسقى في أناسها الطماع ولحقهم عنه نكد من يرشده إلى مسل لله القويم
 ونفسه انتاله توصع به سواء أصبح أم لم تصبح الكثير من حواش
 نفسه ، ومما كان يشعر به نحو اليهودية والنصرانية حيث
 وها هي دى كما رواها صاحب الأعراس

إن ريد بن عمرو حرج إلى شام يسأل عن الدين لكي يسعه فلقى عبداً من
 اليهود ، فسأله عن دينهم فقال ليلي أدين بدينكم ، فأخبرني بدينكم
 فقال اليهودي إنك لا تكون عن دينا حتى تأخذ بعصاك من عصب الله
 فقال ريد بن عمرو لا أفعل إلا من عصب الله ، وما أحمل من عصب الله
 شيئاً أبداً ، وأنا أستطيع ، فهل نذبي على دين ليس فيه هذا ؟
 قال : ما أعلمه إلا أن يكون حياً

قال وما الخيف

قال دين إبراهيم .

فخرج من عنده وبركه ، فأتى عبداً من عبدة المصريين فقال له نحو مما قال لليهودي

فقال له النصراني : بك لن تكون على دينا حتى تأخذ نصيبك من لعنة الله
فقال : بى لا أحمل من لعنة الله ولا من عصه شيئاً أبداً وأنا أستطيع فهل
تدلى على دين ليس فيه هذا

فقال له نحواً مما قال اليهودى : لا أعلمه إلا أن يكون حباً
فخرج من عندهم وقد رضى بما أخبراه ، واتفقا عليه من دين إبراهيم ، فلما بر
رفع يديه وقال :

اللهم إني على دين إبراهيم

سمر ريد يجاهد في سبيل الوصول إلى الله

كان يجاهد تارة بمطقه ونمكيره ، وتارة سؤله كل من يصادفه من دوى لمعرفة
الديانة ، كان يسأل الناس إذا أقام ، ويسألهم إذا ارتحل ، حتى انتهى في النهاية إلى
مذهب طمأنته إليه همه فحاطب قريشاً قائلاً

« يا معشر قريش ، وندي نفسي بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم
غيري »

يقول الدكتور (طه حسين) عن ريد :

إنه كان « رجلاً رقيقاً ، لبناً ، مرهف الحس ، ذكي القلب ، نقي الطمع ،
مستعداً للإيمان الصادق ، مفضلاً للقديم ، شديد النشاط للتجديد ، شك في وثنية
قومه ، ثم جعله ، والتمس ديناً صفوياً ، وملة نقية ، وجعل يكر على قريش
ما كانت فيه ، فكانت قريش تسمع منه وتعرض ، ولا تحمل عما كان يقول

وكان الخطاب بين هبل ثبت له ، ثم قاومه ، ثم جد في هنته حتى أشقاه ، ثم
حسه في مكة ، ثم أعزى به الشباب حتى اضطره إلى أن يستحي ، وأن يحال في
المرور من مكة ، ليتمس ما كان يحب من دين من عبد اليهود والنصارى (١)

وقد فر ريد مديته الحديد أو باستعداده للدين الجديد وجعل يتمس
ما يحب عبد اليهود مرة ، وعبد النصارى مرة ، حتى استيس من أولئك
وهؤلاء . . . »

كيف تنهى زيد في حقيقة مذهبه ، ومداك سببه في الاطمئنان بروحي ،
ومداك بري في مشكته بعد ، ومشكته بصير ، ومشكته عاية
عن كل ذلك يصمت التاريخ ،
ولكن لدى لا شك في ان بدا اطمأنت منه في مطلق ، وان اياه في
يتعلق بما وراء الطبيعة

ولم يكن زيد الوحيد في جريره عرب الذي بحث عن الله ، بل كان هناك كثير
غيره ، كان هناك

أمية بن أبي الصلت الشاعر المشهور

وكان على حسب ما يروي صاحب الأغانى

« قد نظر في الكتب وقرأها ، وليس المسوح تعبداً »

وكان من ذكر إبراهيم وسماعيل وعيسى ، وحرره لعمرو بن شاذان في الأوثان
وكان بحق ، وانتمس بدس ، وضمع في سوره ، لأنه قرأ في الكتب ،
بعث من العرب ، فكان يرحو أن يكون هو

وسعده جعل يذكر ارسى ولأسباء ، ووجه ولبار والثوب وعقاب ، حتى
لقد قال ابن سلام

« كان أمة كثير عجائب ، يذكر في شعره خلق سموات ولأرض ، ويدكر
ملائكة ، ويدكر من ذلك عالم يذكره أحد من الشعراء ! »

وعن واد لم يصد كن شعره ، يد ما جمعه منه لأستاذ شنتس على كثره
من مبارعه ، ومن شعره الذي يدل على عظمه .

لا أيها الإنسان إليك والردى	فايت لا حتى من الله خادماً
وإياك لا تجعل مع الله غيره	فإن صليل الرشد أصبح نادياً
رصيت بث اللهم رباً ، فلن أرى	أدين إلها غيرك الله ثانياً
أدين رب يستجيب ، ولا أرى	أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً
وأت الذي من فصل من ورحمة	بعثت إلى موسى رسولاً مادناً
فصت له ما ذهب وهرون فادعوا	إلى الله فرعون الذي كان طاعياً

وقولا له . أنت سويت هذه بلا وقد حتى اطمأنت كما هيا
 وقولا له . أنت رفعت هذه بلا عمد أرقق إذا بك بايا
 وقولا له . أنت سويت وسطها منيراً إذا ما جنة الليل هاديا
 وقولا له . من يرسل الشمس عدوة فيصبح مامسب من الأرض صاحيا
 وقولا له . من يبت الحب في انثرى فيصبح منه الفل يهتر رسا
 ويخرج منه حبه في رموسه وفي ذلك آيات لمن كان واعيا
 وأنت بعصل مث بحيت يرساً وقد رب في أضعاف حوب يباب
 وإني لو سبحت باسمك ربنا لأكثر إلا ما عرفت حطائيا
 ويقول مزجحه في دائرة المعارف الإسلامية

به يمكن قسمة قصائده بحسب موضوعها إلى قسمين كبيرين أصغرهما بتكون
 من قصائد وآيات قيلت في مدح أشخاص ، وبخاصة في مدح رجل من أعياء مكة
 هو عبد الله بن جلدعان ، وهي لا تختلف في جوهرها ونصائرها عند غيره من شعراء
 العرب القدماء

أما القسم الأكبر الذي يبدأ بالنقصدة الثالثة والعشرين من طبعة شلتس فيبدأ
 دلالة كاملة على نزعة التي يمكن تسميتها بالحيفية

وأساسها القبول بآله واحد ، وهو رب العباد ، ويرى فيها صوا أشبه ما نوحى
 عن مقام الله وملائكته . وحكايات عن الخلق وآراء تتفق بيوم القيامة والحجة
 وأخبار ، وفيها دعوة إلى عمل الخير . وإشارات إلى غير أحد بعضها من أخبار العرب
 عن عاد وثمود . وبعضها من قصص النبوة عن نطوفان وإبراهيم ولوط ومريم

ومن أبي القصص مولع في حساب هذا بعض حكايات على السنة حيوانات
 ويلاحظ في شعره أيضاً ذكراً للأعمال السحرية

وكان أمة - كما كان . يد . يريد دين إبراهيم . فلم يكن يهودياً ولا نصرانياً وما
 يشب هذا في غيرهم ولا إلهام قوله
 كل دين يوم القيامة عبد الله إلا دين الحيفة رور ولكنه على خلاف ما ك

توقع قد عادى الرسول ، وحاربه فغلب عليه شقوته ، وصح فيه قول رسول الله :

« آس شعره وكفر قلبه »

ويجبل إلينا أنه قد تدم في أحر حياته بدماً شديداً على موقفه ذلك من الرسول ، فتعنى أن لو كان يدرك معرفته وعلمه راعياً في رموس الخيال يرعى الوعول ، لقد قال وهو على فراش الموت هذا شعر البائس الحزين الرثع
كل عشب وإن تطاول دهرًا منتهى أمره إلى أن يرولا
ليتى كنت قل ما قد بدا لي في رموس الخيال أرعى الوعولا
جعل الموت نصب عييك ، حذر عولة الدهر إن للدهر عولا
وكان أبو قيس بن أبي أسس من الخنفاء ، وهو من بني النجر ، وكان ترهب
ولس المسوح ، وفارق الأوثان وهم بالصرابة ، ثم أمسك عنها ودخل بيتاً له ،
فأتممه مسجداً لا يدخله طامث ولا حيب وقال : أعد رب إبراهيم
عما قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلم وحسن إسلامه ، وقال في رسول الله ﷺ
شعراً يتندحه (١)

ومن الخنفاء خالد بن سنان وهو من بني عيس ، ويقول ابن قتيبة ، وروى أن
رسول الله ﷺ قال :
ذلك بنى أصابعه قومه .

وأنت ست رسول الله ﷺ سمعته يقرأ : (قل هو الله أحد) فقالت : كان
أبى يقول ذا (٢) .

بعض من رأى التدين بالصرنية

وكانت السرعة إلى الخنسية شائعة في جزيرة العرب ، ولكن من العرب من رأى
التدين بالصرانية أو اليهودية ، بيد أنهم لم يكونوا يبدون بواحدة منها إلا بعد أن
يجولوا في شعاب التفكير ، ويصلوا في مناهات ما وراء الطبيعة : فيروا بعد بحث
وتفكير أن الأسس التزام دين يأمنون في رحابه من صلال الأوهام

(١) المعارف لابن قتيبة ص ٢٨ (٢) المعارف لابن قتيبة ص ٢٩

ذكر ابن هشام الخوي بالفسطاط سنة ٢١٨ هـ في سيره ص ٢٢٧
قال ابن إسحاق : واجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صم من أصنامهم
كانوا يعظمونه ويسحرون له ، ويعكفون عنده ويدورون به ، وكان ذلك عيداً لهم
في كل سنة يوماً .

فخلص منهم أربعة من نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وسكنتم بعضكم
على بعض ، قابوا ، أحل ، وهم : ورقة بن نوفل ، وعبد الله بن جحش بن
رئاب ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب ، وعثمان بن الحويرث ، ورند بن
عمرو بن هبيل فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ، لقد
أخطئوا دين إبراهيم ! ما حجر يطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يبصر
ولا يسمع ؟ يا قوم ، انفسوا لأنفسكم دناً فإنكم والله ما أنتم على شيء فتصرفوا في
البلدان بالمسجون الحبيبة ، دين إبراهيم

فأما ورقة بن نوفل ، فسحكهم في النصرانية ، واسع الكتب من أهلها حتى علم
علماً من أهل الكتاب

وأما عبد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم
هاجر مع المسلمين إلى الحشة فلما قدمها تنصر .

وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصرميث الروم ، فنصر وحسب منزله
عنده .

وأما رند بن عمرو بن هبيل ، فذهب فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية ، وفارق
دين قومه ، فاعتز بالأوثان ، وامبئة وندم ، وديسائح التي تدح على الأوثان ،
وسهى عن قتل الموءودة ، وقال أعبد رب إبراهيم ونادى قومه بعب ما هم
عبيه .

كان من هؤلاء ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وهو عربي
أصيل من ذروة بيوتات قريش .

وهو كما يروي صاحب الأعالي « أحد من اعترف عبادة الأوثان في الحاهية
وطلب الدين ، وقر الكتب ، وامتنع من أكل دنانج الأوثان »

طلب ورقة الدين ، وم يكتب في طسه باللغة العربية ، بل لعل اللغة العربية إدا
 ذاك لم تكن تسعفه ، يريد من معرفة فتعلم العبرانية ، وكان يكتب لكتب
 العبراني ، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب .
 ولم يكن أمر معرفته وعلمه مجهولاً بين قومه ، ولذلك انطلقت حديجة بنت
 خويلد إليه بالسبي ﷺ لتستفسر عما عرض لرسول من أمر النوحى ، فأفادها
 وطمأنها ، ونهى أن لو عاش حتى يرى الرسول قد أمر بشئ دعوته ، لينصره بصرأ
 مؤزراً

وكان ورقة شاعراً ناصحاً التذكير في شعره ، ومثال ذلك قوله :

نقد نصحت لأقوام وقت لهم	أنا النذير ، فلا يعرركم أحد
لا تعدن إله غير خالقكم ،	فإن دعوكم فقولوا بينا حدد ^(١)
سحان دى لعرش ، سحناً يعود به	وقل قد سح الخوى ^(٢) والحمد
مسحر كل ما تحت السماء به	لا يسعى أن يأتوى ملكه أحد
لا شيء مما ترى تنق شاشته	يبقى الإله ويودى المال وولد
لم نعن عن هرمز يوماً حرائه	والحد قد حاوت عاد لما حيدوا
ولا سليمان إدا دان شعوب له	والحن والإيس نخرى بها مرد ^(٣)

ويروى أن رسول الله ﷺ مثل عنه فقال : « قد رأيت في المدم كأن عليه ثياباً
 بيضا ، فقد أظن أن هو كان من أهل لمار لم أر عليه ساس »

لم يكن مثلك ورقة ، ومثال يريد من لتدريس في نعر ، ولم يكونوا
 يسسخمون بأرائهم ، فكثيراً ما كان يدور النقاش بينهم وبين قومهم ، فصلا عن
 دوراه بين بعضهم وبعض

ولقد عاب يدهم يندو ورقة على عتافه لصراية ، وأأاد منه انحلل عنها
 فقال : « أنا أستمع على صرايى ، أن أنأى السبي الذى تشرب به الأحبار »

(١) البرد جمع بريد وهو الرسول

(٢) انسج

(٣) الخوى والحمد جبالان

وحيم اطمأن ريد إلى التوحيد ، وأعلن ذلك قال ورقة له
رشدت وأبعت ابن عمرو ، وبما حسنت تنوراً من النار حامياً
بدينك رباً ليس رب كمشه وتركت الحنَّ (١) الحبل كي هيا

٢

الحكماء :

كان لصديع نعام هؤلاء الذين ذكرنا هو البحث عن سبيل المستقيم ، وانتطلع
إلى الهدية السوية ، ولكن مبداء التفكير الناصح في أرحاء الخويصة العربية كان
توسع من أن يكون مقصوراً على هؤلاء

يقول الشهريستاني « ومنهم منى الفلاسفة حكماء العرب ، وهم شرذمة
قليلة ، لأن أكثرهم حكمهم فلتت الطبع ، وحطرت تفكيرهم عما قالوا بالسبوات »
وحكماء عرب هؤلاء هم العلماء الذين يرجع إليهم فيما يعرض من مشاكل
وهم في الحملة : أعظم العرب خطأ في الثقافة

وكان مشهم في الحكمة مثل حكماء اليونان ، لقد أثرت عليهم الحكم القصيرة
التي تركزت فيها التجربة والحكمة ، مثل « مقتل الرجل بين فكيه »
« من طب شيئاً وحده وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه »
« العرب فائمة »

« من يست لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ! »
« إذا ما قارن هؤلاء الحكماء بمن نكثهم من حكماء اليونان وجدنا أنهم يشابهون
في كثير من النواحي » يقول فلاطون .

واحتتموا منى الحكماء في دلف وأرادوا أن يمدوا لأبوتون في هيكه بواكير
حكته ، فاحتصوه بالآيات التي بردها الناس الآن مثل
« أعرف نفسك » « لا تسرف » « الإصلاح حسير » فكانوا مصححين

(١) جنان الحنَّ : الذين يأمرون بالفساد من بني أمية.

ومشرعين ، ولم يكونوا فلاسفة بمعنى الكلمة (١)

وكذلك كان حكماء العرب .

وقد روى عن حكماء العرب بعض الآراء التي تدل على تفكيرهم
كان منهم عامر بن الظرب الذي يقول فيه أبيه في كان من حكماء العرب ، لا
تعديل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً»

ومن كلامه في استدلاله على وجود الله وعلى تصرفه بتكون
«إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت موصوعاً إلا مصوعاً ، ولا حائياً إلا
دامياً ، ولو كان يبيت الذنوب لداها لأحياءهم الدواب» .

ومن حكماء العرب أنس بن حنيفة بن رباح
وكان من حديثه كما ذكر الألبسي (٢) «ظهر النبي ﷺ عكة ودعا إلى
الإسلام بعث أنتم ابنه حبيش ، فأنه يحبه فجمع بيني بينه وقال
يا بني نيم ، لا تحضروني مغبياً ، فإنه من يسمع يحل (٣) ، يا السقي يوهن من
هرقه ويشط من دونه ، لا حير فمن لا عقل له كبرت مني ودحتني دنة ، فإد
رأيت مني حسناً فاقبوه ، وإني رأيت مني غير ذلك فقوموا ، استقم
يا بني شفه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بحبره ، وكتابه يأمر فيه بالمعروف
وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ،
وحلج الأوثان ، وترك الخلف تديروا ، وقد حلف (عرف) دعو لرأي منكم أن
انفصل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه .

إني أتحق الناس بمحنة محمد ومساعدته على أمره نعم ، فإن يكن الذي يدعو إليه
حقاً فهو لكم دواء مناس ، وإن يكن باطلاً كنتم أتحق الناس بالكف عنه والسبر
عليه ، وقد كان أسقف غرا ، يحدث بهفته وكان سمياً من محاشع يحدث به
قله ، وسمي أنه محمداً ، فكونوا في أمره أولاً ولا تكونوا آخراً اثروا ضائعين قبل أن
تأثروا كارهين .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٨

(٢) ومن يسمع خيل الناس ويهيم يقع في نفسه عليهم المذكور « من حمل الأثقال للعبداني

بن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديباً لكان في أخلاق الناس حسناً طبعوا
واتبعوا أمري ، تسأل لكم أشياء لا تنزع منكم نداءً ، وأصصحتهم أعز حتى في
العرب ، وأكثرهم عدداً ، وأوسعهم داراً ، فإني أرى أمر لا يحسنه عمرير إلا دن .
ولا يدرمه دليل إلا عر إن الأول لم يدع للآخر شيئاً وهذا أمر له ما بعده ، ومن
سقى إبيه عمر المعالي واقتلى به التالي والعريضة حزم ، والاختلاف عمر

فقد مالك بن نويرة قد حارب شيخكم

فقد أكرم - ريل للشحي من الحى وهى على أمر م شهداء وم سقى

مذهب مثلاً

وكان منهم قس من ساعدة الذي يقول فيه رسول الله ﷺ كأي نصر إيه
بسوق عكاظ على حمل له ثوري ، وهو يتكلم بكلام عبده حلاوة ، ما أحسن
أحفظه ، وحظته سوق عكاظ مشهوره « أنها الناس اسمع وعوا إلح »
ودينه على وجود لله أيضاً مشهور إيه يستدل بالأثر على المؤثر
وهو يصف الإله فيقول كلا بل الله إله واحد ليس بموجود ولا والد ، عاد
وأبدى ، وإله المآب عدداً

ثم يشد :

يا باكي الموت والأموات في حدث عليهم من تقايا برهم حرق
دعهم ، فإن لهم يوماً يصاح بهم كما سه من نوماته انصعق
وأما عبد لمطلب جد الرسوب وهو من حكماء العرب المشهور بن فقد رويت عنه
من أقر القرآن أكثرها كالمع من مكاح المحرم ، وقطع يد اسارق ، والهي عن
قتل الموءودة (١)

ولم تكن ساحية الأخلاق مهمة لدى الشعراء ، ورهير بن أبي سمي يتحدث
عنها في كثير من شعره ، وهو القائل :

فلا نكتس الله ، في نفوسكم ليحيى - ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر ، فيوضع في كتاب عيصر يوم الحساب ، أو يعجل ، فيقيم

ويقول في صرر الحرب وتدعوة إلى السلم .

وما حرب إلا ما علمتهم ودقتم وما هو عنها بالحديث المرحم^(١)
متى تنعوثها تنعوثها دميمه وتنصرى إذا صرتموها فتصرم^(٢)
فتحرككم عرك رحي شفها ونباح كشاف ، ثم تنتج فتتم^(٣)
فتتج لكم علان أشام كنهم كأحمر عاد ، ثم ترصع فتصطم^(٤)
فتتلل لكم مالا نعل لأهلها قرى بالمراق من قصر ودرهم^(٥)

٣

رأى الخمس :

وإد كان ما سبق يحتر من الحوالب محدوده برعم كثره . فإن قريش قد عمرها
برعة روحانية . ففكرت في أمر الدين وعبادته . ونسبت وحرمة . وبعد تأمل
وبرو - ابتدعت رأى الخمس

والخمس جمع أحمس . والأحمس كما يقول صاحب المختار هو
اشديد الصلب في الدين والفتاب ، ولم يكن هذا الرأى الذي ابتدعوه إلا خمساً
ديبياً ، وعاطفة روحانية قوية

وكسوا بدهون فيه كما يفوق السهين « مذهب التائب وشرهه » وكان
مثلهم في ذلك مثل من قال الله فيهم (ورهبانية استدعوه) سورة حدید / ٢٧
قال من إسحق « وقد كانت قريش لا أدري قبل عام القبل أم بعده ابتدعت

(١) المرحم من حديث لقول بطريق الظن - لاص تحقيق أى وما حديثى عن الحرب ونحوهكم ريلها
ماحديث القري ، بل انم عد علمم ويل الحرب ودقتموها

(٢) متى سيجوا الحرب سيجوها مذمومة ويشند حرفه ونصرم نازها

(٣) الثقال جده موضع تحت الرحي كشافا شتى مواليمى تتم ثلث يومين ونصف عمل مرتين في عامين
متتابعين ولله في كل منها تومين

(٤) ان امر هذه الحرب بطول وينج نكم علان مثلهم في الشؤم كمثل عافرة ناقة صانع عليه السلام ونعشر هذه
العلان حتى ترصع ونصطم ، يريد بذلك ان يكنى عن طول الحرب وشرورها

(٥) وبس نقل الحب الذي يكال بالقصير . او يباع بالدرهم . إذ هي لا تتج إلا الموت والملاك

رأى الخمس رأياً رأوه ، وأدأروه ، فقالوا نحن مو إبراهيم ، وأهل حرمة ،
وولادة وقطان مكة وما كسوها ، فمس لأحد من العرب مثل حقاً ، ولا مثل
مرثداً ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحل كما
تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استحق العرب محرمكم ، وقالوا قد
عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم

فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون بأنها من المشاعر
واضح ودين إبراهيم ^{عليه السلام} ، ويرون لسائر العرب أن يفهم عليها ، وأن يهيصروا منها
إلا أنهم قالوا نحن أهل الحرم ، وليس يسعى لنا أن نخرج من الحرمة ، ولا نعظم
غيرها كما نعظمها نحن الخمس ، ولخمس أهل الحرم . ١ هـ .

ونقد كانوا في سبل ذلك يشقون على أنفسهم ، ويشقون على غيرهم
فيحرمون على أنفسهم أشياء ، وعرضون عليها أخرى ، وكذلك كانوا يفعلون ،
بالنسبة للحاج والمعتمر

قال من إسحق . ١٠ ثم استدعوا في ذلك أمراً لم تكن لهم حتى قالوا لا يسعى
للخمس أن يأتقظوا الأقط ^(١) ولا يسلثوا السمن وهم حرم . ولا يدحوا بيت من
شعر ، ولا يستظفوا إن استطوا إلا في بيوت الأدم ^(٢) ما كانوا حرمًا
ثم دفعوا في ذلك فقالوا لا يسعى لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به
معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً ، ولا يطوفوا بالبيت إذا قدموا
أول طوافهم إلا في ثياب الخمس ، فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عرة ، فإن
تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الخمس ، عطاف في ثيابه التي
جاء بها من الحل ألعاها إذ مرغ من حوافه ، ثم لم يستمع بها ، ولم يمسها هو
ولا أحد غيره أبداً .

فحصوا على ذلك العرب ، فذاث به ، ووقفوا على عرفات ، وأقصوا منها
وطافوا بالبيت عراء أم انرحوا فيصوفون عرة ، وأما النساء فتصنع إحداهن ثيابها

(١) الأقط الخيل لا يصعد الخيل ولا يصعد السمن

(٢) بيوت الأدم الأنثى التي تصنع من الجلد

كلها إلا درعاً مفرجاً عليها ثم تطوف فيه
وكان العرص من طوافهم عرة ، إن لم يجدوا ثياب أحمرس هو طرح ثياب
أبى أقدموا فيها لدنوب . فقد تديست كما أنوا من معصية

٤

حلف الفضول

هذه العاطفة النبوية معها كلارم من لوازمها - عمن أخلاق كرم قد بلغ من
سمو حد ، لا تكاد يحدث في التاريخ إلا نادراً . رب يربد أن نتحدث عن حلف
فضول قال صاحب الروض لألف

وكان حلف الفضول " هذا قبل البعث بمشربين سنة ، وكان كرم حلف
وشرفه . وأول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب
وكان سبه " رحلا من ريد قدم مكة بصاعته . فاشترها منه العاصي بن
وثل ، وكان د قدر مكة وشرف . فحسب عنه حقه . فاستعدى عنه الزبدي
لأحلاف عبد الد ، ومحروم وحميع وسهم ، وغدى بن كعب ، فأبوا أن يعيونه
على لعاصي - اربوه (حروه) فها أي برى اشروى على أبى قيس عبد
طلوع الشمس ، وقريش في أديتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته
يا آل مهر ، المظلوم بصاعته سطر مكة بأبى الدار والنصر
ومحرم أشعث لم يقص عمرته يا لرحال وبين المحر والمحر
إن إلحرام لم كنت كرامه ولا حرام ثوب الصاجر الغدر
فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب . وقال

(١) بد كروا في سبب سمي به هذا حلف هذا الاسم إن جرح في الزن الأول . قد سمع مرثدا في مثل هذا
حلف ، فلتحالف منهم ثلاثة وهم ومن بينهم ، بعضهم " الفصل بين فضائه ، والثاني الفصل بين وداعة ، والثالث
بين خات . وبين ال هم الفصل بين شرعة ، والفصل بين وداعة ، والفصل بين صاعته فلما أشبه حلف قريش هذا
حلف هؤلاء المرهبين حتى حلف الفضول

وقيل بل معنى كذلك لأهم مخالفا أن ترد الفضول على أهلها ، وألا يغزو ظالم مظلوماً

ما لهذا مترك !

فاختتمت هاشم ، وذررة ، وتيم بن مرة ، في دار ابن جدعان فصنع لهم طعاماً وتعاقدوا ، وكان حلف الفضول ، وكان بعدها أن أنصروا الريدي من العاصي ^(١) ،

ويقول ابن هشام راوياً عن ابن إسحاق ،

تدعت قبائل من قريش إلى حلف ، فأجمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمر لشرفه ومنه ، فكان حلفهم عنده (بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وذررة بن كلاب ، وتيم بن مرة) وتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يحدوا بمكة مطلوباً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من طبعه ، حتى ترد إليه مظلمته ، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول .

كان بحق - كما يقول السهيلي أكرم حلف وأشرفه . ومن أجل ذلك قال رسول الله ﷺ في شأنه :

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر نخم . ولو أدعى به في الإسلام لأحبت » .

الفصل الثاني

تصحيح الفكرة العامة عن العرب

المفكرة العامة عن العرب وتصحيحها :

ومع كل ذلك فإنه لايجب علينا أن المفكرة العامة عن العرب هي أنهم كانوا في تدهور ديني لا حد له .

لقد كانوا يشربون الخمر

وكانوا يعبدون الأصنام ، كانوا يمدون قطعاً من الحجارة مسحوة بأيديهم . ويدعونها آفة ويسلمونها .

وهل من دليل على هورهم الديني واضح من تركهم أبرهة يسير إلى البيت الذي يقدسونه ويعظمونه ليهدمه بدن أن يمتشوا أحسام لصدده ؟ إنهم تركوه وما يريدون أن يثيروها عليه شعواء !

هذه شبهات تعلق بالناس ونثار في كل آونة ، ولابد من أن نتحدث عنها . أما حمر فقد تركها طائفة في الجاهلية ، ودعت إلى تركها ، ومهم قيس بن عاصم الشيمي ، وصعور بن أمية الكنانى ، وعفيف بن معد يكرب الكندى ، وغيرهم ومما يقول قيس فيها :

وجدت الخمر حائجة وفيها حصال تفصح الرجل الكريم

إلى آخر القصيدة

أما الأصنام فلم يكن العرب يعبدونها لدانها . ولم تكن عندهم مجرد قطعة من حجر ، وإنما اتخذوها عن (شكل الهياكل العلوية^(١)) فكانوا يعبدونها باعتبارها رمزاً «لهياكل العلوية»

وكانوا يعبدونها لتقرهم إلى الله رلى

أما مسألة تركهم أبرهة فإن الصورة التي عند العامة في هذا الأمر غير صحيحة ، وليس في التاريخ بقول .

إن أبرهة أراد أن يصرف العرب عن الحج إلى بيت الله الحرام ومن أجل ذلك

(١) الشوستان

« بنى - كما يقول بن هشام - القليس بصعاء ، فهي كيسة » ثم يُرْمَى مثلها في رمائها
 شيء من الأرض ، ثم كتب إلى الجاشي إلى قد نيتك أيها الملك كيسة لم يكن
 مثلها لميت قبلك ، وست تمته حتى أصرف إليها حج العرب »
 وتحدث العرب بكتاب أبرهة إلى الجاشي وثار بهم اعصب فخرج رجل من
 كنانة حتى أتى القليس فقعدها فيها أي أحدث فيها يريد أن يعرف أبرهة أنها ليست
 لذلك بأهل .

وكان ما فعل هذا الكنانى يعبر عما كان يريد كثيرون من العرب إذ ذاك ، ولكنه
 « عصب أبرهة عصباً لا حد له . وحلف لهدم البيت الحرام وندع بعد ذلك اس
 هشام يتحدث »

« وسبغت بذلك العرب ما عظموه ومطعموا به . وراوا جهاده حقاً عليهم حين
 سمعوا أنه يريد هدم الكعبة ، بيت الله الحرام .

فخرج إليهم رجل كان من أشرف أهل اليمن وموكلهم يقال له (دو نمر) ،
 فدعاه قومه ومن أحابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة ، وجهاده عن بيت الله
 الحرام ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأحابه إلى ذلك من أحابه ، ثم عرص له
 فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه . .

ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له . حتى إذا كان بأرض حثم
 عرض له نضيل بن حبيب الخثعمي في قبيلة حثم شهر بن وهب ، ومن تبعه
 من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة .

فلما نزل أبرهة المغمس (بالقرب من مكة) همت قرش ركنانة وهذيل ،
 ومن كان بذلك الحرم - فقتله . ثم عزموا بهم لإطلاقه لهم به فتركوا ذلك
 نرى من هذا أن العاطفة الدسة عند العرب لم تكن فائرة ضعيفة إلى الحد الذي
 يتصوره بعض المؤرخين والكتاب

(١) سميت القليس لارتفاع بناها ، وعلوها ، وكان أبرهة ينقل إليها الرخام لهدم ، وحجارة النقوشه بالذهب من
 قصر يقسى صاحبه سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكعبة حتى فرسخ وكان يسبحهم مع أهل اليمن العف
 الذي لا حد له ، حتى لقد كان يقطع يد العامل إذا طلعت حية القليس قبل أن يأخذ في عمله

٢

الأديان في جزيرة العرب

على أن لدى سعي أن يلاحظ أن حريرة العرب لم تكن كلها وثنية « كانت
نصرانية في ربيعة وعسار ، وبعض قصاعة
وكانت اليهودية في حمير وبنى كنانة وبنى مخارث بن كعب وكندة
وكانت محوسية في تميم منهم رزارة ، وحاحب بن رزارة ، منهم الأقراع بن
حاحب كان محوسياً

وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الخيرة^(١)
ومن العرب من كان يدين بمرجعه يقول صاحب سائر العرب « و لرحمه
مذهب قوم من العرب في اخاهية معروف عندهم »
ولم يكن القول بالخير أو القول بالاختيار بعيداً عن العقيدة العربية
يقول يحيى بن متى رويه الأعشى كان الأعشى قدرياً وكان ليده مشتاً ، قال
ليد .

من هداه سبل الخير هتدى ناعم انال ومن شاء أفضل
وقال الأعشى :

استأثر الله بالوفاة وبالعد ل ولى الملامة الرجال
والحق أن جزيرة العرب لم تكن كما يظن عادة عماى عن التفكير الدينى
القوى إنكاراً ومحوداً ، أو إثباتاً وتأييداً ، وسرى فيها بعد إيصاحاً لحروب أخرى
من تفكيرهم الدينى عندما نتحدث عن موقف القرآن منهم
وبريد لأن أن يذكر آراء بعض كتّاب في شأن العرب أساساً في
ذكرها

(١) ابن كيد كتاب المعارف

٣

بعض الآراء على العرب

يقول الخليلي « وذكر الله تعالى حال قريش في بلاغة المدح والرجاحة لأحلام ، وصحة العقول وذكر العرب وما فيها من الدهاء والكبر^(١) والمكر ، ومن بلاغة الألسنة واللدن عند الخصامة فقال

(فإذا ذهب الخوفُ سلقوكم بألسنة حداد)^(٢)

ثم ذكر جلالة السنن واستماتهم الأسماع بحس مطمهم فقال
(وإن يقولوا نسمع لقرهم)^(٣) ثم قال :

(ومن ناس من يعجبك قوله في حياة الدنيا) النقرة/ ٢٠٤ مع قوله
(وإذا نوى سعى في الأرض ليصد فيها ويهلك الحرث والنسل)^(٤) النقرة/ ٢٠٥
وقال جرحي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية

« وقد يتبادر إلى الذهن أن أولئك البدو كانوا أهل جهالة وحمية بعدهم عن المدن ، وانقطاعهم للغزو والحرب ، ولكن يظهر مما وصل إلينا أنهم كانوا كبار العقول ، أهل ذكاء ، وساعة واحتداد وحكمة ، وكثير معارفهم من ثمة قرائنهم ، وهي تدل على صفاء أذهانهم وصدق نظرهم في أحوال الإنسان مما لا يقل عن نظر أعظم الفلاسفة فإن قول زهير بن أبي سلمى في معلقته « رأيت لمدينا حصد صهوة » إلى قوله .

« ويب حافها تحي على الدس بعلم^(٥) » لا يقل شيئاً عن أحكام أكابر الفلاسفة »

جزء ١ ص ٢٩ .

(٣) سورة الناصون آية ٤

(١) النكراء الدهاء والنفطة

(٤) البيان والتبيين ج ١

(٢) سورة الأحزاب آية ١٩

(٥) يذكر هذا البيت في أشعار إلي الكاتب نقلاً عن كتاب انعطافات ليري الفارعة يقع في معاصر ملحق إليه غير من

ويقول قصيدته الشيخ محمد حصر حسين شيخ لأرهر الأسبق
« في لشعر الجاهلي معد سمة وحكمة صادقة ، ومن نقره حاي الدهن من كل
ما قيل فيه يقصّر الحجب من ذكاء مشتيه وسعة حياهم . وإفصائهم لطرفي تأليف
المعاني والتصرف في عون الكلام »

وكي نتمتع بالحفظ على القرآن فيما ذكرناه به من رأي سابق - فإن الدكتور (طه
حسين) يرى أن القرآن أصدق مرآة للحياة الجاهلية
وهذه القصيدة كما يقول الدكتور (طه حسين) عريضة حين تسمعها ، وبكها
بديهة حين تفكر فيها قليلاً

فليس من اليسير أن يفهم أن الناس قد أعجبوا بالقرآن حين تليت عليهم
آياته ، إلا أن تكون بينهم وبينه صلة هي هذه الصلة التي بين الأثر الفني الدبج
وبين الدين يعجبون به حين يسمعون أو ينتظرون إياه
وليس من اليسير - أن يفهم أن العرب قد قاوموا القرآن وباهضوه وحدلوا إلى
فيه إلا أن يكونوا قد فهموه ، ووقفوا على أسرارهم ودقائقهم
وفي القرآن رد على الوثنيين فيما كانوا يعتقدون من الوثنية
وفيه رد على اليهود

=	مشتب مكاليف الحياة ومن يشر	عاني حولا - لا ابالكه - ينام
	وحلم من اليوم والاسر به	ولكنني من حين ماى عند من
	ابت ثانيا خط هشواه من تصب	تحت ومن تحلى بغير فهم
	ومن لم يصانع في أمور كثيرة	يهرس بأنساب ويوطأ بسم
	ومن يجعل المعروف من دون عرصه	يهره ، ومن لا يبي الشم يشم
	ومن نك د فضل فيمن بعشه	حي فومه يستن حيم ويدم
	ومن يوف لا يدم ومن يهد ذليه	إلى معطمش البر لا يجمجم
	ومن عاب أنياب الثنايا يده	والد برق أنياب السماء يسم
	ومن يجعل المعروف في غير أهله	يكن حمده دما عليه ويدم
	ومن بعض اطراف الزجاج فانه	نطح العواى ركبت كل عدم
	ومن لم يد عن حوصه بسلاحه	يهم ، ومن لا يظلم الناس بظلم
	ومن يخترع يحب طوا صلبه	ومن لا يكرم سمه لا يكرم
	ومنى تكن عند امرئ من خبيفة	وال خاها نحي على الناس نعلم

وفيه رد على النصارى

وفيه رد على الصائفة والمحوس

وهو لا يرد على يهود فلسطين، ولا على نصارى الروم ومحوس الفرس، وصائفة
الحريرة وحدهم، وإنما يرد على فرق من العرب كانت تمثلهم في البلاد العربية
عندها.

ولكن القرآن لا يمثل لحدة الدسة وحدها، وإنما يمثل شيئاً آخر غيرها لا يحده
في هذا شعر الجاهل يمثل حبة عقدة قوية، يمثل قدره على الخداع والخصام
أبقى القرآن في جهده خطأ عظيماً:

أليس القرآن قد وصف أولئك الذين كانوا يجادلون بقوة عدو، والقسرة على
الخصام، والشدة في المأورة؟

وقم كانوا يجادلون ويخاصمون ويخادعون؟ في الدين وفيما يتصل بالدين من هذه
المسائل المعصلة التي ينشق فلاسفة فيها حياتهم دون أن يوفقوا لحبها، في البعث،
في الحق، في إمكان الاتصال بين الله والناس. في المعجزة وما إلى ذلك،
ومعنى الدكتور (طه حسين) في الحديث عن تصوير القرآن للأمة العربية من
الناحية الاقتصادية ومن ناحية اتصال العرب بغيرهم من الأمم، ويتمشى مع نقران
في أن العرب لم يكونوا كلهم مسلماً واحدة، بل كان فيهم الأعراب في حقهم
وعظمتهم وإمعانهم في كبر ولباق، وقلة حظهم من العاطفة الرقيقة التي تحمل
على الإيمان والتدين.

(الأعراب أشد كبراً ولباقاً وأحدر ألا يعلموا حدود ما أمر الله؟)^(١)

ونعود إلى الجاحظ في مقاربة له بين العرب في عصرها الجاهل وغيرهم من
الأمم. وهذه المقارنة قد اعتقد قوم أنها مقاربة بين العرب كجس، أي بين
العرب في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم وبين غيرهم. ولكن ذلك خطأ واضح
فالجاحظ يقارن بين العرب في طور من أطوارهم هو الطور الجاهل فحسب وبين
غيرهم، ولذلك لم يتحدث في هذه المقارنة عن الدين، أو فلسفة الكندي وهو

عربي صميم أو فلسفه المعترية ، فقد كانوا منها على حط وافر
ولم يتحدث عن تشريع أية حبيفة أو اشافعي ، وقد كان في ذلك - لو أراد -
ميدان من أخصص الميادين لتأييد رأيه
يقول الخاطب : « إن المبدع هم معان مدونة » وكتب محبة . لا تصاف إلى
رحل معروف ، ولا إلى عام موصوف ، وإنما هي كتب متوارثة وآداب على وجه
الدهر صائرة مدكورة
وليونان فلسفة ، ولكن صاحب المطلق نفسه بكى « انسان ، ولا موصوف
باليان

وفي المرس خطباء إلا أن كل كلام بمرس ، وكل معنى سمح فإنا هو عن
طول فكرة ، وعن اجتهد وحنوة
وكل شيء للعرب فإنا هو سديه وارتجال ، وكأنه إلهام ، ليس هناك معادة
ولا مكادة ، ولا حاجة فكر ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف همه إلى الكلام فتأنيه
المعاني رسالا وتثال عليه لألفاظ ثيالا .
من كل ما سبق يرى أن العرب لم يكونوا كما يصر كثير من الناس أهل
جهل مطلق أو صلاة شامنة ، وإنما كانوا أصحاب شعر وحكمة ودين ، كان فهم
تلاعة اسطق ، ورحابة الأحلام ، وصحة العقول ، وشعور ديني قوى يصحون في
سيله بأنفاهم وأنفسهم

٤

العرب على حسب ما يعتقد :
أما ما يريد أن ينتهي إليه من كل ماسو فهو الرأي الذي رآه فضيلة المرحوم
الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق في كتابه « تمهيد تاريخ الفلسفة
الإسلامية »

« ومنها يكن من أمر عرب عبد ظهور الدين المحمدي فإهم لم يكونوا في سداجه

الجماعات الإسلامية الأولى من الناحية الفكرية التي همما ، يدل على ذلك ما عرف
 من إيمانهم وماروي من آثارهم الأدبية .
 وكان العرب عند ظهور الإسلام «بتشئون بأنواع من لبطر اعطى شبه أن
 تكون من أبحاث لفلسفه العدمية ، لانصافها كما وراء الطبيعة من الألوهية . وقدم
 العالم أوجدونه ولأرواح ، والملائكة ، ولجن ، واسعث . ونحو ذلك

٥

الدهماء لا يمشون لأمة :

ومع ذلك فإن عدم حق العلم أن الأكثرية العظمى في حريرة العرب كانت من
 البدو الرحل الذين شعبهم البحث وراء لقمة العيش عن التفكير في الدين وفي وراء
 طبيعة وليس من الطبيعي أن تصب من شخص يماضي في عصف شطف الحياة
 أن يفكر تفكيراً مجرداً

في الأعسية العظمى من حريرة العرب صحراء قاحلة ، وليس ساكنها
 استقراراً ، وليس بها أمن مستتب ، والحروب والعرات في حدها ووهادها لانكاد
 تقطع ، فمن الطبيعي ألا يكون عند هؤلاء أوقات فراغ يفصونها في التفكير فيما وراء
 الطبيعة

ولكن إذا كنا لا نتحد من عفة لصلاح الحافى القدمين الذي نوس الحماؤه على
 الناس ظهره مثلاً لخصارة مصرين وثقافتهم ، سوء كان ذلك في العصر القديم ،
 أو في العصر الحديث ، وإذا كنا لا نتحد من الفرسى الربيع الحماهل مثلاً لخصارة
 فرنسا وثقافتها فإنه من غير الطبيعي أن يكون لبدو الرحل مقيماً لثقافة العربية فيما
 قبل الإسلام

الفصل الثالث

في العقيدة

وصف القرآن :

كنت حريرة العرب كما تحدثنا سابقاً .. مع مختلف الآراء الدسيسة ، كان فيها نصرانية واليهودية وخنساء ، وكان فيها الرمدقة ولدهرية ، ومن يسكرون البعث ، ومن يسكرون إرساب الرسل ، وكان فيها من يقول بالرحمة ، ومن يقول بالخير ، ومن يقول بالاحتيار .

كان فيها توحيد وخلق ومؤمنون ومشركون . ولكن هؤلاء وأولئك كانوا جميعاً ينتظرون ساعة شرق عليهم فتدح حيرتهم ، وتحسم منيهم من حدى واختلاف فى هذه الآراء قام رسول الله ﷺ بدعوته ، ودعوه م تشاً عن تفكير يسأل شحصى : إنما هى وحى أنزل الله . وهى معصومة لاسها وحى . بها معصومة عن التحفظ فى الآراء ، معصومة عن متاهات الخيال

ونقرآن وهو كتاب المقدس يقول فيه رسول الله ﷺ كما روى عن على رضى الله عنه .

«عليكم بكتاب الله فبنا من قدكم ، وخير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهوى ، من بركة من حذر قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله

هو حل الله المتين ، والذكر الحكيم ، وانصراط المستقيم هو الذى لا تزيع به الأهواء ، ولا يشع منه العشاء . ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضى حياته

من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به أفح ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم » ١ . هـ

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن لبي ﷺ قال « يا هذا القرآن

مأدية الله ، فاهبوا مأدته ما استطعتم .

إن هذا القرآن حمل الله ، ونور أمين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، لا يبرح فستعتب . ولا يعوج فيقف ، ولا تنقصي عجائزه ولا يخلق من كثرة الرد .

اتلوه فإن الله يأحركم على ملاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما أبى لا أقول لم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الحاكم

٢

تواتر القرآن .

وبعد وصل إيب القرآن بطريق التواتر ، بحث لا يمكن الشك مطلقاً في أنه وصل إلينا كما روى على سبيل سندا محمد ﷺ ، دون زيادة أو نقص

ولمستشرقون يرغم تحامل الكثيرين منهم على الإسلام لا يحسون مطلقاً صحيحاً من تلك الجهة أنداء .

ولقد ناب المستشرق الفرنسي الأستاذ « ديمومير » بحق ، في كتبه عن الإسلام .

إن لمصنف لامناص به من أن يقر بأن القرآن خاصر هو القرآن الذي كان يتلوه محمد ﷺ

٣

السبب في أن مهمة الرسول كانت شاقة .

ومع استشراف نفوس العرب في هاد بقودهم إلى السبيل لسوى فإن مهمة الرسول ﷺ لم تكن سهلة ميسورة ، وذلك

(١) لأن النفوس إذ ألفت شيئاً عترة طوبى من الزمن لم يكن من السهل بصرفها عنه .

والإلف لا يعقل ولا ينطق هو لدى يعرق دائماً عمل المصححين خلال التاريخ .

(ب) وكان التنافس بين الأسرى في قبيلة واحدة ، وبين القبائل المختلفة من العوامل أيضاً ، التي دفعت الكثيرين إلى المعارضة

(ج) ورأى اليهود أن اعتراضهم عليهم سيهدر إذا انتشر الدين بالحديد

(د) ورأى نصارى أن مصر ديارهم هو الآخر لا بد أن

(هـ) وصاق تفكير طائفة كبيرة من العرب ، فلم يروا العظمة إلا في ثروة ، ولم يكن محمد ، ﷺ ، ثرياً ، فقاتلوا .

(لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ^(١)

وتصامت عوامل الشر هذه كلها ، وتألست ، وأرادت طوال مدة الدعوة الفناء عينا .

٤

القيمة الذاتية للدعوة الإسلامية

ولكن الدعوة الإسلامية كانت تحمل في صلبها من القيمة الذاتية ما يفرضها ويكتب لها الانتشار والسبادة

إنها تمتاز عن النصرانية المنتشرة إذ ذلك - بضم اقتصادي حلت منه الأنانية ، وعنطق عقلي لا أحد فيها كان مأثوراً حشد من كلام السيد المسيح عليه السلام ، ثم هي تصحیح للعسيحية التي كانت موحودة إذ ذلك محرفة ، كما سرى فيها بعد وهي تمتاز عما كان موجوداً إذ ذلك من اليهودية بما فيها من بساطة ، وبصرّة ، ونزّيه لله ورسله وأبيائه ، لا يوجد ما يعاقله في العهد القديم .

ثم هي رجوع باليهودية إلى الحق قبل أن يجرمها دواؤها .

وهي هداية لحنفاء إلى دين إبراهيم الذي ينظرون إليه .

(١) سورة الزمر آية ٢١

ثم هي معصومة ويست رأياً يجوز بالبحث أن يكون وهماً من الأوهام .
وهي بعد كل ذلك نظام كامل للحياة الإنسانية . فيها العقيدة ، وفيها
التشريع . وفيها الأخلاق ، إنها ترصى العقل وترصى الوجدان

٥

وسائل الدعوة لهداية العرب .

ولكن العرب قديمهم بصراع ، فالتعدت لدعوة لإسلامية من أجل هدايتهم
بحكم الوسائل

سبهم إلى أنه ليس من المطلق أن يكون الإلف ، وأن تكون العادة أو العرف
مقياساً للحق ؛ فليس من المنطق إذا قيل لهم : انعموا ما أنزل الله - أن يقولوا : بل
سبع ما وحدنا عليه آباءنا ؛ لأنه من الخاطئ أن يكون آباؤهم لا يعصون شيئاً
ولا يهتدون .

ويس من المطلق أن يقولوا : (يا وحدنا آباءنا على أمه وإيا على آثارهم
مقتدون) الزخرف/٢٢

وسحر القرآن من الدين حرموا على أنفسهم مريبه الصهم والتصر ، فقال في
أسلوب لادع .

(مثل لدين حموا التوراة ثم م يحسوها كمثل الحمار يحمل سفراً) الجمعة/٥

ثم أضاف الإسلام إلى ذلك تقدير مسئولية الفردية ، ليجتهد بدت كل محاولة
من الفرد لإلقاء النعمة على الجماعة ، أو على أسيته ، أو على الآباء والرؤساء :

(الأتور واررة ور أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) النجم/٣٨ - ٣٩ .

(من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)

الزلزلة/٧-٨ .

ثم صرح في وصوح واضح بالمسئولية ، فيما يتعلق بالآراء خاصة ، ورتب

العقوب أشد يد على من قد عبه في صلاته وأهوائه فقال تعالى -

(وقال الذين كفروا لن يؤمن هذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الضالون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين - قال الذين استكبروا للذين استضعفوا نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كتمنم بكمين - وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله - ونحن له أنداء وأسروا الندامة لما رزوا العذاب - وحصصوا لأعدائهم في أعناقهم فلما كفروا هل يجرؤ إلا ما كانوا يعملون) (١)

وإذا كان الإسلام قد قرر المسئولية الفردية - أي أن كل نفس مسئولة عن عمده فإنه مع ذلك لم يخل الفرد من المسئولية بالنسبة لغيره فالرسول ﷺ مثل الجماعة الإنسانية يسير على سبيله أحد بعضهم في إفسادها فإن أخذوا على يده كما ونجوا - وإن تركوه هلك وهلكوا عن أعمال من يسير - رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال

«مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة - فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها - فكان الذين في أسفلها إذا استقروا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرفنا في نصيبنا خرقا ولم نؤد من فوقنا لكان يركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً - وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً» سحارى وغيره

ويقول الله تعالى

(ويعرف الله نفس من ظلموا منكم خاصة) الأنعام / ٢٥

ويقول في عصف عصف

(يا أيها الذين آمنوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة - عصف

ملائكة عياط شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويعصون ما يؤمرون) (٢)

روى أن عمر رضي الله عنه قال حين نزلت هذه الآية

« يا رسول الله ، نبي أنبأنا فكيف لنا بأهنت ؟ »

فقال عليه الصلاة والسلام :

« تهوس عما نهاكم الله عنه ، وتأمروهن بما أمركم الله ، فيكون ديث وقانة بين وبين أسارى » .

على أن رسول الله ﷺ يصور هذا النوع من المسئلة تصويراً حميلاً في غير ما حديث . إنه يصور الأمة في توأدها وترجمها بحجم إذا اشتكى منه عضو لداعي له مائر الأعضاء بالسهر والحمى وهو يقول في روعة أحادة

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »

ثم يفصل هذا الإجمال ويصرب بعض الأمثلة

فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرحل في بيته راع ومسئول عن رعيته ، والروحة عليه في بيت روحه ومسئولة عن رعيته . والخدم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ،

إذن لآباء والأجداد ليسوا مقاس الحقيقة ، وكذلك العرف والعادة ، والعهد مسئول عما يفعل ، وكل سال مأثور بأن يصحح من نفسه ويصحح من أمر الآخرين في هذا الجو أخذ محمد ﷺ يبشر دعوته

٦

الدعوة الإسلامية دعوة موحدة

وهي دعوة موحدة لا مفرقة ، بها دعوة نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، ولدى أوحى إليك ، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن تقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ^(١) .

وعلام الاختلاف . والإسلام دعوة لا تهدف إلا إلى عبادة الله وعدم الشرك به وعدم اتحاد أرباب من دونه ؟

(قل : يا أهل الكتب ، بعثوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتحد بعضنا بعضاً رباناً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ^(١)

هذه الدعوة الإسلامية التي هي دعوة الرسل من قبل تقرر أصولاً في ناحية عقيدة ، وشعائر لعبادة ، ومبادئ في التقانون ، وقواعد للأخلاق ، والذي بعثنا ها على الخصوص هو العقيدة

٧

إثبات الرسالة :

إن أشق مرحلة بصادها كل رسول من الرسل بما هي إقناع أساس رسالته ، وقد احتلقت وسائل هذا الإقناع ، وحنفت أساليبه ، وقد بدأ الرسول ﷺ كأسلافه بتقرير أنه رسول ، وأنه متصل بالسماء ، وأن نوحى إليه تدعاً . وقد أرسنه الله تعالى لحكمه سامية قد ردها لقرب في غير ما موصع هي تركيبة النفوس وتطهيرها ، تركيباً وتطهيرها خلقياً ، واجتماعياً ، مؤسساً ذلك على تطهيرها وتركيبها من ناحية العقيدة .

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسلاً من أنفسهم تنزل عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ^(٢)
(ربما وبعث فيهم رسلاً منهم يملؤ عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) ^(٣)
ومن أجل ذلك كان إرسنه رحمة للعالمين .

(٣) سورة البقرة - ١٢٩

(١) سورة آل عمران آية ٦٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٤

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأسياء / ١٠٧

نكر عرب سحرُوا من دعوته ، وكان لابد من أن يحكمهم نيات من آيات الله ، فلم تخرج هذه الآية عن أن تكون القرآن
لقد تحذهم به في عيب ، وتحذاهم مندرجاً بهم من أن يأتيوا مثله ، ولو
كان بعضهم لبعض ظهيراً ، إلى أن يأتيوا بعشر سور مثله ، ثم انتهى بهم تحيراً إلى أن
يأتوا سورة من مثله ، قال تعالى

(فل تشر احتجمت الإس واس على أن يأتيوا بمثل هذا القرآن لا يأتون مثله ولو
كان بعضهم لبعض ظهيراً) ^(١)

(ثم يقولون فراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفرياً وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين) ^(٢)

(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم
من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا . ولن تفعلوا فاتقوا الله إن الله شديد
العقاب) ^(٣)

(٢١) سورة هود آية ١٣

(١) سورة الإسراء آية ٨٨

(٣١) سورة النجم آيات ٢٢ ٢٤ في هذه الآيات قرأ القرآن لفظ (مثل) والثانية لا تخص بجانب دون جانب
وما نعم جميع الناحية
والواقع أن النقاش في القرآن معجز بأصوله ، أو بمبادئه أو بقصصه أو بأخباره عن المنيات أو بعد ذلك من وجوه
إنما هو نقاش لا يمتشي مع الفكرة القرآنية التي هي في النفاذ من جميع النواحي
قال صاحب البحر المحيط

(والثانية في حسن التنظيم ، وديع الوصف ، وعزبه الأسلوب ، والاحبار ، نعيم بما كلاً وما يكون ، وما احتوى
عنه من الأمر والهي والوعود والوعيد ، والفصيح ، والحكم والموعظ ، والأمثال ، والصدق ، والأمن من التحريف
والبدل) ج ١ ص ١١٤ ١١٥

ومشأ الأخلاف ، في تحديد وجوه الإعجاز في القرآن ، وجع في اختلاف درجة الاستعدادات الفطرية ، والاتجاهات
المفكرية ، لادر كلها ومعرفها
فتلاً من وحد القرآن مصداقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل وأخبار تدعيب والنبيا التي لا تحيط بها بشرية
هداً - حصر وجوه الإعجاز بما أدرك

ومن نظر إلى القرآن من ناحية اللفظ وحسن السبك وحزبه الأسلوب وماله من روعة عتد على انماع سموره
ووجدانه حصر الإعجاز في ذلك ومن أحال فكره بما حواه القرآن من أسرار الكونية التي تكشف عاب العوالم والبعوث
أن كان هو مصداق لما في العيصه ، والمعطره (سبحهم يا فتى الآفاق وفي أنفسهم) وانحه هذا الاتجاه إلى متفرقين =

ولم أشك في أمر الرسول ﷺ مع أنه وجرهم أن حيلاء وراء الوادي ستعير
عنهم لصدقوه : لأنهم لم يعهدوا عليه كدناً ؟

على أنه قد لبث فيهم من قبل ذلك أربعين عاماً ، فلم يحدث سوء ولا رسالة
ذلك أن هذا الأمر إنما يرجع إلى مشيئة الله سبحانه

(قل يوشع الله ما نوتنه عبيكم ولا أدراكم به فقد شئت فيكم عمر من قبله
فلا تعقلون ؟) يونس / ١٦ (١) .

ويطلب إليهم انقروا أن تتفكروا في أمر صاحبهم هذا لدى شأبيهم . وترعرع
على مرأى ومسمع منهم . من كانوا يعرفونه كمن يعرفون ساءهم ، يصدق . والأمة
ورحاحة انعقل . قال تعالى

(قل ياعظكم بوحده أن تقوموا لله مشي وهردى . ثم تفكروا .
ما يصاحكم من حنة إن هو إلا يدبر لكم من يدي عدب شديد) ص ٤٦
ولم أشك في أمره مع أنه قد محرد من كل مطمع ديبوى ؟
(قل ما سأنكم من آخر فهو لكم . أخرى لا على الله . وهو على كل شيء
شاهد) ص ٤٧ /

ولم أشكك في أمره وهو مني لا يفر ولا ينك ؟ ومن كات حله هذه لا يمكنه
أن يستمد ما يقول من كتب . قال تعالى .

« الذين آمنوا ، ووسطوا وسعدوا » ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ وما جاء به
من الكتاب ، فيندرجوا ويعرض كل واحد منها محمول فكره على صاحبه وينظرون فيه مصداق لا يميل بها الناع
هرى ولا يبعث في عرو عصبه حتى لا يجمع بين الفكر لصالح والنظر الصحيح على جادة حتى يستقر
(والآية ص ٤٦ من سورة صبا . وتسمى على ما ورد في الزمخشري : محضه ، ياعظكم بوحده ، أن تعملوها
أصم الحق وتخلص . وهي أن تقوموا بوجه الله خلاصاً ، وكذلك الفرد . يفكر في نفسه بعدل ونصفه ، من غير أن
يخبره . ويعرض فكره على عقله ووجهه وما استمر حقه . من عادات العلماء وعلماء سواهم
والذي هو من عبيهم متى أدى أن الإجماع لما شئوس الحرامات ومنع من الرأية ومع ذلك ينزل الاصناف
وكم الاعتصاف

وهو علمهم ، عبيد ﷺ ما به من جه . بل علمه . رجع فربس عقلا ، صلهم رايه ، واصدقهم هولاء ،
واتهم نفساً ، فكان مطقة لأف نظير به الأخير ، وأنا فعم ذلك كما كن أن نظايوه بان يأتيكم بآيه

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تحصى بميثاق إذا لا تهاب المبطون)^(١)
 هذه الظروف ، وهذه الملابسات ، فضلاً عن الفرقان : ترشد إلى أن محمداً
 ﷺ كان صادقاً في دعواه

٨

معارضة العرب

بيد أن العرب تعالوا في المعارضة حتى لقد وصو أحياناً إلى حد السحق .
 ولكن لقرآن كان هم بالمرصد . وكان دائماً يهجمهم في قوة
 لقد قالوا (ما هذا لرسول نأكل لطحاه . ويمشي في الأسواق)^(٢) فرد الله
 عليهم بما يقطع حججهم

(وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم كانوا أكلوا بطعامهم ويمشون في الأسواق)
 الفرقان ٢٠ وقد (وقد أرسلنا سلاً من قبلك وجعل لهم أرواحاً ودينه)
 الزمر ٣٨

وم يجد اليهود ولا نصارى مهزاً من الاعتراف بأن رسل السابقين كانوا حقاً
 كذلك

وهل العرب : (لولا برن عليه القرآن جملة واحدة)^(٣) الفرقان/ ٣٢

إذا بالقرآن يعلن ذلك تعيلاً في غاية القوة ولوصوح

(كذلك أنشئت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً)^(٤) الفرقان/ ٣٢

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨ (٢) سورة الفرقان آية ٧

(٣) وهذا أيضاً من اعتراضاتهم ، وأقر جانبهم القائل على شردهم من حق وحاجتهم من الله . فلا ريب
 فيه جملة واحدة في وقت واحد ، كما أثبت الكتب الثلاثة^(٥) وأنه برز عن الثمانيين ٥ والقاتل مرشد وعين
 اليهود

وهذا ليهول من الهول ، ومما زاد من لا مائل تحته لأن امر الإعجاز والاحجاج به لا يخلع برويه جملة واحدة
 أو معزلاً ، وهو به تعالى (كذلك أنشئت به فؤادك) جواب هم أي كذلك أنزل معزلاً

والملك عليه أن تقرأ مصرعه فردد حتى تليه وتصطفه لأن لطفه إنما يروى قلبه على جعد الدم شيئاً به شيء . وجزءه
 عقب جزء ، ولو أني عليه حمد واحد يعل به وتعباً يحفظه والبرسر ﷺ فأدب حاله حال موسى ودارد وميسى =

وقالوا (تولوا) هذا القرآن على رحمن من القرئين عظيم (١) ابحرف / ٣١
ورد عليهم القرآن في أسلوب لادع

(أهم يقسمون رحمة ربك) ابحرف / ٣٢

ورؤا أن يكون الرسول منكاً . فإذا ما قرأ يحسبهم في منطق صارم

(ولو جعله منكاً جعله رجلاً ونسباً عليهم مايسون) الأبناء / ٩

ويدكر ذلك في موضع آخر مصور تعنيهم في تكرار السورة فيقول

(ومسمع لناس أن يؤمنوا) إذ جاءهم الهدى لا أن قالوا نعمت الله مشراً

رسولاً ؟ (الإسراء / ٩٤)

ويرد عليهم القرآن معللاً الأمر بتعليق آخر غير السابق فيقول

(قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنرنا عبيهم من السماء منكاً

رسولاً) (الإسراء / ٩٥)

وهذا التعليق في غاية العمق : فإنه يبطىء على سبب من أهم أسباب إرسال

الرسول فالملائكة ليسوا بطبيعتهم - في حاجة إلى من يهديهم من الهداية

الأخلاقية ، إنهم ملائكة

وتتعمد لقراءة أن يصممهم بأنهم « مشون مطمئين » فثبت بذلك توصيح

طبيعتهم الملائكية في دهرنا ، ومع ذلك يقول -

(لنرنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً)

لم ؟ إنهم ملائكة ، وهم مشون مطمئين فما حاجتهم إلى الرسالة ؟

الواقع أن مهمة الرسول الأولى ليست الأخلاق ، وإنما هي معرفة الله وإدراك

الأعنى وما وراء الطبيعة ، ودرب لا تنق في صحة لاشوبها خطأ منطق عقلي أو

قياس نظري ، وإنما ينق عن الله سمرانه إلى عباده وهم المرسل

والملائكة كالشعر عجزوا عن معرفه الله إلا به . ولقد قالوا كما حكى القرآن

- عليهم السلام حيث كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهم كانوا قاطري كاذبين ، فلم يكن له يد من التفكر والتعقل ، فأمر

عليه سبحانه عشرين سنة ، وقبل في ثلاث وعشرين ، وأيضاً فكان يزل على حسب المصادف وجواب السائلين

دع الزمخشري ج ٢ ص ١٠٩ = (٦٠ - القرن) (١٢)

عندهم في صورة ابقرة .

(سبحانك لا عيم لنا إلا ما عمننا) (١) . أما لأحاديث فيها في المرتبة الشابة بعد

معرفة الله

وأرحمهم . أما محمد ﷺ يستمد القرآن من شخص معين هرد عليهم القرآن في

قوة

(السان يندى يلحدون إني أعجمي . وهذا سان عري مني) نحل ١٠٣

ولما استئشس العرب من الحدن المطلق تغمصوا عقلية انصبين .

وقالوا من يؤمن لك حتى تفجر من الأرض سوعاً . أو تكون لك حنة

من بحيل وعنت فتفجر الأنهار حلالها تمحيراً ، أو تسقط السماء كي رعمت عينا

كسها أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي في

السماء ، ومن يؤمن لرقيبك حتى نزل علينا كتاباً نقرؤه) (٢) .

فيجيبهم القرآن في سهولة قوية لادعة حادة ساحرة

(قل سبحان ربي إلا هن كنت إلا بشراً رسولاً) (الإسراء/٩٣)

ونشور العرب ، حين يرون مصطفهم يهز فينادون

(مأني يدي بل عبده انا كر . إلك محبون ، وما نأينا بالملائكة إلا كنت من

انصافين) (الحجر/ ٦ ، ٧

ويرد عليهم القرآن مبيناً هم ماقد نحي عنهم

(ماسرل الملائكة إلا ما خلق وما كانوا إذا مطرين) (الحجر/ ٨

وبصور القرآن في النهاية موقعهم الحقيقي الذي لا يخرج عن أن يكون عباداً

لأشأنه فيه لطلب الحق ، ولا تفرعة في هدى فيقول

(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقاتوا يومئذ سكرت أنصارنا

بل نحن قوم مسحورون) (٣)

(ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فمسوه بأيديهم فخلال الدين كهروا إن هذا إلا

(٣) سورة الحجر آية ١٤ ٥

(٢) ٦ ٢٢

(١) سورة الإسراء آيات ٩ ٢٠

سحر مبین (الأنعام / ٧

فما أحدثهم الخفة من جميع أقطابهم وروا أنهم أضعف من أن يعلوا بأصطلي
عرصوا وقالوا -

(قلوبنا في شكة مما تدعون به ، وفي آدابنا وقرآننا وبك حجاب
لما عمل إننا عامنون) (١)

فذكرهم القرآن موقف الأمم قبهم ، وسدرهم بعددكم كم هي ستة مع مد
سوع من المعادين .

(وبن أعرضوا فصل أندرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فصت ١٣
حق لقد كانت حصومه العرب للرسول ﷺ عيفة قوية ، ولقد صور هذا القرآن
في قلوبها وفي عهدها ، ولم تأب أن تذكر مذهب نه لعرب مما يسيء رسول ﷺ ،
فذكر وصفهم نه بالجنون ، وبالشر ، وأنه ساحر أو مسحور ، وأنه ليس من
عظماء القريتين (٢) وأنه بأحد القرآن عن غيره ، أو بأن القرآن ليس إلا سحراً ، أو
ساطر الأولين اكتتبها فهي نقي عليه بكرة وأصيلاً

ذكر القرآن كل ذلك ، رصور لخصومة في عهدها عارضا أدلة الخاطئين
دلت أن العرب هداية الله ، وهدايته سبحانه وتعالى هي الحق الذي بقذف على
لباص فيدمعه فإذا هو راهق

٩

وجود الله

بعد كان من لطيفي بعد أن نسب أسوة أن يبنى العرب كل ما جاء في
قرآن بالصور ، ولكن القرآن لم يكن يبنى القول على علاقته ، وإنما يبنى بالفصه
مبرهاً عليها بالليل تلوها بين عيسى بعقل ، ويعظم النفس ، ونقود لصمير
إلى الإدعان

وبرحمه أن وجود الله واضح من أن يبرهن عليه فقد وجد في كل لأزمه من
 جحدوا اصناع المبر العالم لهادر ، ورعمو أن العالم لم يرل موحود كدك نفسه
 وبلا صانع ، وم يرل حيوان من النطفة ، وسطفة من الحيوان كدك كد .
 وكذلك يكون يد^(١)

على هؤلاء في كل زمان ومكان يد لقرآن في ستفاضة وفي نوع ، وما من
 شك في أن مسألة إثبات وجود الله لم تكن في يوم من الأيام هدفاً من أهداف
 لقرآن ، ولم تكن في يوم من الأيام هدفاً من أهداف الرسول ﷺ ، أو أحد
 صحبه ، وذلك أن الإيمان بوجود الله مسألة نظرية ودينية ، ونحن هنا نسير على
 أنه يمكن أن يؤحد من القرآن أدلة على وجود الله وإن لم تكن دلت هدفاً من
 الأهداف القرآنية ، وقد سبق لأدلة أو نظمتها في يرجع دلت إلى امتساح من
 خصوص هدفها الصحيح يدل عظمة الله وتديره وفدره وهيسته على كل ما في العالم
 من صغيرة وكبره ويات عديه لله ورعيته وإحكامه التحكم ويدعه المتقن لكل
 ميسرى في العالم من فوايد ونومس إن القرآن يمكن أن يؤحد به لرد على من
 انحرف فطرتهم فيقال : إنه يرد عليهم أولاً بصورورات فكرية ، فيشت الدلالة
 الضرورية من الخلق على الخالق :

(أق الله شك فاطر السموات والأرض) (٢)

(ومن آياته : أن خلقكم من تراب) (٣) ، (ومن آياته خلق السموات

والأرض) (٤)

ويؤكد هذا مبدئ مقرر يعرف بها كل إنسان عندما يفكر فيها تفكيراً بسيطاً
 أنه من غير أن الشيء لا يمكن أن يوجد بدون علة ولا يمكن من حيث آخر أن
 تكون عنته صبيعة نفسه

(أم خلقوا من غير شيء أم هم خالقون) (٥)

(١) المجمع من الصلا للفرز طبعة دار مكتب خدته (٤) ب ه الروم آه ٢٢

(٢) سورة إبراهيم به ١

(٣) سورة الروم به ٢

(٤) سورة الروم به ٢

(٥) سورة الروم به ٢

ولا يقتصر القرآن على ذلك بل يورد في غير ما موضع وفي غير ما سورة ذلك الدليل الذي يقول عنه «كانت» إنه يذكركم مع الاحترام أعني الدليل الذي يطلق عنه حديثاً ، دليل بعثاته ، وأحياناً أخرى دليل انطوائه ، والتدبير ، أو العائنية ، وهذا الدليل ، هو الذي يستند إليه المرء في العالم من تدبير ، وتصاميم واستحجام ، ومن تدبير محكم ، وعدية تامة بكل صغيره وكبيره ، وترايط لا يفصام بين أجزاء العالم وأجزاء وحداته أيضاً .

وقد ستخدم مقدمة هذا الدرس ، ولا يزال المحدثون يستخدمونه ، ويعتبره بعضهم أوضح الأدلة على وجود الله ، بل فهو لها ، وهو في لوقت نفسه أسهلها دليلاً للإدراك الإنساني قال الله تعالى :

(وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) (الله الذي سخر لكم البحر) ^(١)

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) ^(٢)

(وهو الذي يرسل الرياح بشر بين يدي رحمته) ^(٣)

(والله جعل لكم الأرض بساطاً) ^(٤)

(أَمْ يَحْسِبُ الْأَرْضَ مَهْدًا ، وَحَسْبُ أَوْنَدًا ، وَخَلَقَكُمْ ذَوَا حُلٍ ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَنَازِلَ ، وَجَعَلَ بَيْنَ يَدَيْكُمْ سَبْعَ شُعَبًا ، وَجَعَلَ سَرَاحًا وَهَاجًا ، وَأَنْزَلَ مِنَ الْمَعَصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ، لِيُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ، وَجَنَّاتٍ نَاقِطًا) ^(٥)

وإذا تصفحت القرآن تبين مصداق قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ^(٦)

وكثير من آي القرآن يجمع بين دليل خلق ودليل العناية

(إِنْ فِي حُلُوفِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافٍ لَيْلٍ وَنَهَارٍ ، وَالْفَلَکِ الَّتِي تَحْمِي

١ - سورة النحل آية ١٥

٢ - سورة البقرة آية ٢٩

٣ - سورة البقرة آية ٢٩

٤ - سورة البقرة آية ٢٩

٥ - سورة البقرة آية ٢٩

٦ - سورة البقرة آية ٢٩

٧ - سورة البقرة آية ٢٩

٨ - سورة البقرة آية ٢٩

٩ - سورة البقرة آية ٢٩

١٠ - سورة البقرة آية ٢٩

في اسحرى ينفع الناس . وما قرب الله من السماء من ماء فأجبا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة . وتصريف الرياح . والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون^(١) .
وفي سورة الروم آيات متتالية تجمع بين الدلائل : الخلق والعناية . وهي قوله تعالى

(يخرج الخي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) ،

(ومن آياته - أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تشرون)
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ،
ومن آياته - خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن في ذلك لآيات للعالمين

ومن آياته مامكم بالليل والنهار وانتهاؤكم من فصره . إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون

ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً . وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ،
ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره . ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون^(٢) .

هذه الأدلة تكاد تنصص كل ماحدها من أدلة قديمة كانت أو حديثة برغم اختلاف أساليب التعبير . بحسب اختلاف البيئة أو الزمن .
إنها تنصصها في صورتها البسيطة : الأثر يدل على المؤثر
وتنصصها في صورتها الفلسفية القديمة : الممكن والواجب
وتنصصها في صورتها الفلسفية الحديثة سواء رجعا بها إلى شعور لوحدان أو فكرة الكمال أو غير ذلك .

الإيمان في رحلة البحث عن الله عز وجل

من روائع مباحة ابن عطاء الله السكندري مبدئي .
 « هي ، كيف ستدرك ذلك في وجوده ممتقراً ، تكون تعبرك من
 الظهور ، ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ »
 « متى عت حتى تحتاج إلى دليل يدب عبيك ؟ »
 « متى بدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك »
 إن مسألة وجود الله لم تكن في يوم من الأيام محل بحث عند ذوي شعور
 لديني السليم

ولم يشأ الخذل في هذه المسألة إلا في عصر يهودي ، فهو عصر لدى جعل
 من مشكلة قاطلة للأحد وانرد ، والقصور والرفض .
 والواقع أن ظروف العصر يهودي انعدم هي التي جعلت منه مثلاً سيئاً في كل
 ما يتعلق بالدين والحق .

لقد كان عصر حلا من الدين الحق ولم نعم بالعرفه الصحيحة عن طريق
 الوحي . فحاولت طائفة منه أن تصل إلى لوحى عن طريق الكهنة ، ومن ذلك
 كهنة معبد دني المشهورات

وحاولت طائفة أخرى أن تصل إلى الوحي عن طريق السك والعبادة وذكروا
 ومن هؤلاء عناءورث وتباعه وأهل الطون والأهلطيون انقدماء منهم
 والمحدثون ، لقد حاولوا أن يقتصر الوحي اقتصاصاً ، وأن يكشفوا عن الحجب وأن
 يربوا الأسماء ، وأن يصلوا إلى الله ، فنصروا بالخيال والحلال وخير المصنف
 منذ أن طريق الذي سلكوه ، بما هو طريق خاطئ لأنه لم يؤسس على وحي يرسم
 طريق هديه صحيح ، وإنما أسس على سجع عقلي بشري ، أو على تعاليد
 متوارثة

() حينما يكتب الخليل عن مثل هذا الموضوع مدعون عادة بالثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، ويحذرون أن هذه
 مسألة هم ما في الموضوع وهذا السجع بما يرى لا يفرق بين رذائعه فطره وقد جاء في بعض آيات القرآن
 نهج مبين أن الدين لا يصح مسألة وجود الله موضوع بحث ، وأن الفطرة السليمة لا تقبل ذلك

ومن أجل ذلك لم ينتج انثراث مرحوة ، ثم هو طريق صعب المرتقى . لأنه
يحرص انثراث الحيوانية في الإنسان . ويحدون انسموها وإعلاءها ، ويريدون
يرقى بالإنسان إلى ما يقرب من المستوى الروحي للملائكة
ولكن بين الشرقي لأعلى مهم يجلدون إلى لأرض ، ويتبعون أهواءهم
ولذلك كانت فئة قليلة تلك الفئة التي حاولت اتساع هذا التيار في صرامة
وبحلاص

أما الأعنية عظمى من اليونان فقد ابعوا لتيار الذي يعتمد على العقل البشري
اعتماداً كلياً ، وكان دعيمهم الأكبر ذلك أرسطو فهو الذي وجد أركان العقل
استشرى وأشاد ، كأساس لسبحث في علم ماوراء الطبيعة ، وفي عالم تعصبة أو
الخبر

وما كان العقل في يوم من الأيام عند حكماء المصريين وحكماء اليهود هلاً
لأن يكون مصدر المعرفة في عالم العيب

وحدد العقل عقل أرسطو ومن لفّ لهه يحدد ويمر في الحقائق
صعرت أو كبرت ، ودقت أو حلت ، وصحة كانت كوصوح النهار ، أو حقه
كانها عمت بقطع من سبل المظلم ، وتحررت أقلامهم على تناول عالم العيب وعالم
الخبر بالإنكار أو التشكك . أو ترجيح الوجود أو ترجيح العدم

وحاول كل رعيم أن بصور الأمر في هذين الميدانين ميدان ماوراء الطبيعة .
وميدان الأخلاق بحسب مرحه وأهوائه ، وبحسب ما تمليه عنه ثقافته وبسته ،
وبحسب ما تمسه عليه طبيعته الحسية وجملته الحقيقة

ونتهى الأمر بأن حاول المثبتون الرد ، فحاولوا أن يثبتوا برفض
وراث قدسية البرصوع وأصبح أمام جو من تلجج والمهارة لا يتيق محلات الله
وعظمته (وماقدروا الله حق قدره) (١)

ولو قيض الله نبية اليونانية حو من خير وهدى ، ولو أنعم الله عليهم بشأه
رسول بهم . لما كان هذا الاخراف لدى نشرهم منذ أرسطو تشاير النبوءة

الحديث ، والذي نعمل حتى وصل به الأمر وهو انحراف محرف إلى أن أصبح وكأنه الوصع الطبيعي - فساداً في كل بيئة ، وعرا كل عقل ، وكلهم تقدم به الزمن ارداد رسوخاً وثباتاً ، وازداد انتشاراً ، حتى لقد عرأ الأديب نبي تألي أن تقره أو تعترف به

لقد تعلم في لمسيحية ، موضع رجال المسحة مسألة وجود الله وقضية القضية موضع البحث ، ونزلوا إلى مجال المجاداة والمباراة ! وأخذ هذا الموضع يتحظى لقرون حتى جاء الإسلام ، موضع الأمر في بصره ، ووجه الأذهان إلى أن الأمر الأساسي إنما هو مسألة توحيدية « أشهد أن لا إله إلا الله » وجه للإسلام الأذهان في عطف وفي قوة إلى التوحيد ، لا إلى إثبات الوجود بعد وجه الإسلام الأذهان إلى أن الله لا يحتاج في إثباته وفي وجوده إلى دليل وهو - على عكس - تدبير على غيره ، فغيره ثابت به ، وانعدم ثابت بشته والسموات والأرض والعرش والكرسي - كل ذلك موحود بوجوده ، ثابت شته - ووجوده بأكمله محتاج في كل لحظة إليه فضلاً عن احتياجه إليه في شأته الأولى ووجوده لأصلي (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزلزلا)^(١) به يمسكها في كل آونة وفي كل لحظة - فإذا ما تخلى عنها طرفة عين تلاشتا فكانت هباء ، وكانت عدماً وكل درة في العالم ، وكل حبة في كائناته إنما شأته بالله وقيامها به .

ومثل الإنسان كمثل أي كائن آخر من حيث وجوده وقيامه بالله ، وقد كرمه الله وأعطاه الكثير من النعم والمزايا ووهب له هداية التمييز والفهم ، وسخر له الكثير من العوالم الأخرى وجعله خليفة في الأرض ومن أجل ذلك كانت مسؤوليته فيما يتعلق بتصحيح الفضة بينه وبين الله عظيمه خطيرة .

أما تصحيح هذه الفضة فإن دروتها العليا ومشها الأسفى إنما هو ما أمر به صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى :

(قل إن صلاتي وسكني ومحيي ومميتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)^(١)

ورق هائل بين من يتخذ هذه الآية القرآنية شعاراً ، ومن يحاول - متحاوراً - قدره - الاستدلال على وجود الله بمحقوق من مخلوقاته

إن الفرق بينهما هو الفرق بين طريق الهدى والصواب ، وضريق حديد والشك وحاء الإسلام كما قلنا تصحح الأمور في بصاها ، ولتصحح الأوضاع التي انحرفت

ومن هذه الأوضاع المنحرفة اشرك بالله ، ولإنسان يشرك بسبب الضعف على وجه العموم ، وقد يكون هذا الضعف فقرًا ، وقد يكون جهلاً ، وقد يكون طمعاً وحشياً ، وقد يكون خوفاً وفرعاً ، وقد يكون غير ذلك ، ومنها يكن من أمر يشرك فيه - أيها واحد - ليس إلا مطهراً من مظاهر الضعف .

وحاول الإسلام أن يماحون أن يظهر أسفوس من هذا الضعف ، وأن يعيدها بالتوحيد - إلى محالات العزة والكرامة (والله العزة والرسولة وللمؤمنين)^(٢) . فكانت دعوته للتوحيد

أما ما في القرآن مما تحمله بعض ساس استدلالاً على وجود الله ، واعتقد أن القرآن قصد بذكره الاستدلال على وجود الله ، فليس إلا بياناً لمصدر قدرة الله وعابته بالعالم ومن ذلك مثلاً .

(وفي لأرض قطع متحاورات وحنات من أعصاب وورع وبحل صنوان وغير صنوان يسقي ثماء واحدٍ ومفضل بمصها على بعض في الأكل)^(٣) .
وبالله سبحانه وتعالى جعل .

(لأرض مهدداً ، والحمل أوتاد ، وحقناكم أروجا ، وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، وسبنا فوقكم سحاباً شداداً ، وجعلنا سرحاً ومهاجاً ، وأمرنا من المعصرت ماء ثجاجاً ، سخرج به حيا ونباتاً ، وحنات كفافاً)^(٤)

(٢) سورة الرعد آية ٤

(٤) سورة النبا الآيات ٦ - ١٦

(١) سورة الأنعام آيات ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) سورة الشورى آية ٨

و(بارك لى يده دنت وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت والحياة
يسوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ، الذى حين سمع صموت طافاً ما ترى
فى خلق رحم من تفاوت فارجع بنصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر
كرتين ينقب إليك البصر حاساً وهو حسير) ^(١١)
وما مثل هذا فى تصوير قدرة الله إلا كمثل .

(ويسألوك عن حساب حساب فعل يسفها رنى سفا فيسرها قاعاً صمصص لا ترى فيه
عوجاً ولا مناً ، يومئذ يتعجبون مدعى لا عوج له وحشعت لأصوات للرحمن فلا
سمع ، لا همساً ، يومئذ لا تسمع الشفاعة إلا من أدب به الرحمن ورضى به قولاً ، يعلم
ما بين يدهم وما بينهم ولا يخطوب به عبد ، وعب انوجوه بحى لقيوه وقد حب
من حمل ظمماً) ^(١٢)
ب ذلك وكثير غيره إنما ذكر سبب عظمة الله وحلاله ومبرته . وسبب رحمة
عباده وعنايته بهم

وما من شك فى أنه يمكن أن يوجد من دنت أدبه كثيرة على وجود الله
وما من شك فى أن الأدب الذى يوجد من دنت يمكن أن يصنع فى أسلوب منطوق
فى قياس يشتمل على المقدمات و نتائج ، ويكون متفقاً مع قواعد المنطق لأرسطى
ومبادئه ، فكان دنت لى يكون نداءً تصويراً هدف من هدف القرآن ، فإقرار
لأصبع نداءً وجود الله موضع شك حتى يحتاج إلى الاستدلال عنه
ومن القصص التى تروى عن نداء شىء ، وبأساليب مختلفة تنص على الجوهر
تختلف فى رسم ما يحكى من أن بعض مشاهير العلماء ألف كتاباً صحيحاً فى
اثبات وجود الله ، فأقدم له صدقة حقه بكرمه من أجل عمله الصالح هذا ، ومن
بهم بعض أصحابه فأخذوا يحدثونه عن عقوبة المؤلف ، فسأل :

ومتى عذب الله حتى يكون فى حاجة إلى إثبات ؟
فوجم جميعهم . ولم يستطع المؤلف الإجابة وتركهم ارجل اصالح وهو

بردد

(قل لله ثم درهم في حوصهم يعون)^١

وقار رجل للثوري الصوق المعروف ما ادليل على وجود الله ؟
 قال : الله .

قال الرجل : هذا العقل ؟

قال : العقل عاجز ، وماحر لادل إلا عن عاجر مثله

كل ذلك يؤيد مقاله الشاعر .

من رام بالعقل مسترشداً سرحه في حيرة يلهو

وشاب بالنسب أسراراً يقول من حيرته هل هو ؟

والسيجة التي تريد أن تصل إليها هي

أن روح القرآن إله هي قيادة النفوس إلى التوحيد

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي إليه إلا أن نأمرهم)^٢

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، بل يوحى إليك أنما يحكم به وحد فهل

أنتم مسلمون)^٣

ونأتى مشكلة الملاحدة والوحوديين سكراً ووجود الله . ماذا فعل بأرثم ؟

إن مثل هؤلاء لا وجود لهم في مجتمع سليم طاهر ، ويكفي اغترافهم كمرص

حيث سهر لإنسان منه ، ويكفي عرطهم عن أن تصدوا الآخر تلاميد كانوا أو

طلبة ، أو عمالاً أو أرباب ، ومن تمر فترة طويته عليهم في هذا الوضع حتى يرتدعو

ويعدلوا عن اتباع أهوائهم وشهواتهم

وما الوجودية إلا لغوي بها هوى النفس التي لا تخفى نهم بالواجب

الاجتماعي والديني

والإحاد ضعف ؛ لأنه محاولة للفرار من الكايف

ومع كل ما تقدم فإنه لا يأتى لي أن ترك هذا المحل دون أن أذكر قصه سمعتها

١ : سورة الأنعام آية ٩١

٢ : سورة الأنبياء آية ٢٥

٣ : سورة الأنعام آية ١٠٧ ، ١٠٨

حديثاً هرتى من الأعماق نُبصاً ، ووقعت من نصبي موقعاً من الروعة والجلال
لا يمكن تصوير مده

يقدر ذكرى هذه لقصة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مدثر الحجار وكيل جامعة
ثم درمان ورئيس الطريقة التجانية بالسودان :

في إحدى القرى البائدة المهجرة من قرى السودان - كان يعيش رجل عائد
صالح ، وكان يقضى وقته بين المسجد والبيت ، لم يكن يفارق القرية يوماً ما ،
والقرية في نهرها كآف - بالنسبة له - أعام كنه

وفي يوم من الأيام ، ولطروف معينة عذر هذا الرجل لصالح القرية بصحة
صديق له ، وجد في السير حتى وصل إلى الطريق الذي يؤدي إلى المدينة
وما إن وصل إلى الطريق حتى رأى - بطريق المصادفة - رجلاً من رجال
الحيش الإبحري ملبسه العسكرية مزوف المظهر ، متحلياً بكل ما يمكن أن يتزين به
رجل لحيش المدف الأنيق ولم يكن الشيخ الصالح قد أتاحت له الظروف رؤية
مثل هذا المظهر في قريته أو في عاين المدعى الثاني الذي احتصره الشيخ مع
صعده - من قرية إلى بيت إلى مسجد .

وبأمل شيخ رجل الحيش لإبحري في دهشة ، ثم سأل صديقه مشيراً إلى هذا
الشيء لعريب

- ما هذا ؟

هذا حواجة وما كانت كلمة حواجة قد دخلت في قاموس الشيخ
فقال لصديقه : وما حواجة ؟

- هذا كافر

وعاد الشيخ يسأل في دهشة أشد ، وفي استعرب أقوى

- أهو كافر بالله ؟

فقال صديقه نعم

وما إن نظر صديقه بذلك حتى تحدث شيخ شعور بالاشعثر معه من أن
يتلفظ أو يطق ، وعمره إحساس بالغبيل أحد يفوى ويرداد بسرعة سريعة وإد

بالشيخ بتقايًا اشتماراً وعشائناً وتقرر من هذا الكافر . ١

هذه هي القصة

أترى تصويراً أدق للشعور بالسنة لسلحد من هذا الاشتمار ؟

وأى قلم يسمع في التعبير ما بلغ هذا الشيخ ؟ وأي أسلوب ؟

إن جميع الأعراف في جميع أرجاء الكون تنفق في الاشتمار من يسكو

الخميل ، وهذا الاشتمار يتفاوت بسبب قيمة الخميل الذي يسدي . وبسبب درجة

السكر الذي تقاسه وبسبب صفاء النفس التي تعلم أترى هذا النكر

والإنسان يجددًا وحيفًا وتصويرًا من صنع الله وهو نصرًا وسمعًا ودوقًا

وإحسانًا وشعورًا من صنع الله وهو عقلاً ومكرًا من صنع الله .

وكل نعمة طاهره وباصرة - ونعم الله لاتعد - إنما هي من صنع الله

(وبن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ^(١) (ومابكم من نعمة من الله) ^(٢)

من نعم يتقلب فيها ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً - إن كل ذلك من الله

فإذا ما كهر إنسان بالله فإنه يكون أحسن من أن يعاقبه الإنسان بالصمغ ، وأحقر

من أن يصفق الإنسان في وجهه ، ولا يستأهل إلا الاشتمار إلى درجة التقايؤ . .

أما الحراء في الدين الإسلامي فإنه معروف .

يستتاب ، فإن لم يتب قتل مرتداً .

ومما لاشك فيه أن من الوسائل الكريمة التي تحو دون انتشار هذه القيادات

الفايدة الملهدة في المجتمع ما يرجع إلى علماء الدين فإنهم وقد هباً الله هم أن

يتولوا قيادة المجتمع ديباً لاشك يكون تأثيرهم جارهاً إذا كانوا مثلاً عالية لفصيلة

لفصيلة في أسمى معانيه وأشبه أي إذا كانوا حقاً ناسرة التي ترصى لله

ورسوله عملاً وحلقاً وحساً للخير ، وإخلاصاً في كل ما يأتون وما يدعون وقد نبى

لله مقاييس الخير وموارين لفصيلة ؛ وفي طريق الخير وسبل الصلال ، وعلماء

لدين أعرف بذلك من غيرهم ، مسئوليتهم أشد ووحشتهم أصرم ، وتأثيرهم في

المجتمع - بادية وحاصرة . لاشك كبير والله يهدينا جميعاً سواء السبل

١٠

الوحدانية

وإذا كان القرآن لا يجعل من أهداه إثبات وجود الله فإنه يجعل من أهداه الكبرى إثبات التوحيد والإسلام هو دين التوحيد والله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ويستدل القرآن بمشاهدة الصداقة (توكان فيهما الهة إلا الله لقصدنا) ^(١)

هذه لمشاهدة العاديه تلس صورته مطعيه رائعه ، فهو كان هالك إله غير الله إذن (لذهب كل إله عما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ^(٢)

على القرآن لا يكتفى بمشاهدة وبسط ، وإنما يرجع بالأسان إلى وحدته ويثبت الوحدة عن طريق العظم والعناية والتدبير فيقول في آيات رائعة :
(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، الله خير من يشركون ، أم من
حق اسموات والأرض ، وربكم من سماء ماء فأتت به جذائق ذات شهوة
ما كان لكم أن تستو شجرها ؟ أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون

أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي ، وجعل بين
البحرين حاجزاً ؟ أإله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون ،
أم من يجيب المصطر إذا دعاه ويكشف السوء ويحكمكم حماء الأرض فإنه مع
الله ؟ قليلاً ما تدكرون .

أم من هديكم في ظلمات ليل والنهار . ومن يرسل الرياح بشرأين يدي رحمته ؟
أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ،
أم من سد الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ؟ أإله مع الله ؟ قل
هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ^(٣)

(٣) سورة النحل الآيات ٦٩ - ٦٦

(١) سورة الأنبياء آية ٢٢

(٢) سورة المؤمنون آية ٩١

العلم

والله سبحانه وتعالى عالم ، إله عالم العيب والشهادة .
 (الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيص الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده
 محقق ، عالم العيب والشهادة الكبير المتعالي ، سوء منكم من أمر القلوب ومن جهر
 به ومن هو مستخف بالليل وسر به بالنهار)^(١)

والله تعالى لا يعلم لما صي والخاص محجب . ولكنه يعلم المستعمل أنصاً
 (ما أصاب من مصيبة في الأرض ، ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن
 نبرأها إن ذلك على الله يسير)^(٢)

وهو يسخر من جعلوا لله شركاء ، ويسأهم في سحرية وإكثار
 (وجعلوا لله شركاء ، قل سمعوه ، أم نسئوه نالاً يعلم في الأرض أم نطاهر
 - من القول)^(٣)

وفي القرآن آية يرى بعضهم أنها تشير إلى العقل الباطن أو للا شعور
 (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى)^(٤)

والقرآن يرشد إلى أن عنه ليس مقصور على دونه كغيره المصنوع ، وليس
 مقصوراً على لاداب والكلية كما يرى بعض الفلاسفة . ولكنه علم شامل لادات
 والكلية والحريات جميعها من الوجه التام

(يعلم ما بين في الأرض ، وما يخرج منها ، وما بين من السماء وما يعرج فيها ،
 وهو الرحيم العفو ، وف للذين كفرو لا تأتي الساعة قبل بلى وري لتأنيسكم ،
 عالم العيب لا يعرف عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك

(١) سورة الرعد الآيات ٨ - ١٠ . (٢) سورة الرعد آية ٣٣

(٣) سورة طه آية ٧

(٤) سورة الحديد آية ٢٢

ولا أكبر إلا في كتاب مريم^(١)

(وعنده مفاتيح لعب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر . وما تسقط من ورقة إلا يعلمها . ولا حبة في ظمت لأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين

وهو الذي يتوكلون بالليل ، ويعلم ما خرجتم بالبر ثم يبعثكم فيه ليفضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ، ثم ينشئكم كما كنتم تعملون^(٢))
 أم دليل القرآن على علم الله فهو في عانة الوصوح والقوة
 (لا يعلم من حق وهو الصفي الخبير ٩)^(٣)

١٢

مظاهر صفاته

الله عالم ، وهو مريد ، قادر ، وحكيم ، ومن مظاهر صفاته هذه التخصيصية هذا الكون وما حوله من تدبير صفته ، والقرآن تحدث في سببها عن مظاهر هذه الصفات في كثير من السور ، من لا يكاد تخلو سورة من هذه المظاهر كلها أو بعضها وإليك نموذجاً يتحدثك بذلك .

(الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفضل الآيات لعلكم تلتقون ربكم توفون

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها روي و أنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعضى الليل النهار . في ذلك الآيات لقوم يتفكرون
 وفي الأرض قطع متجاورات وحات من أعاب ودرج وبحل صواب . وغير صول يسقى تماء واحد ومفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون^(٤))

(٣) سورة الملك آية ١٤

(٤) الرعد الآيات ٢ ٤

(١) سورة مريم آيات ٢ ٣

(٢) سورة الانعام آيات ١٠٩ ٦

البعث

الله سبحانه وتعالى خالق ، وهو وحده مريد ، عالم قادر ، إلح ، وهو أيضاً
 باعث . ومسألة البعث مسألة أنكرها قوم بطن عبيهم لإمام العراق (لطبعون)
 وهم قوم أنكروا البعث مع ، عتروهم بالصانع
 لقد اعترفوا بالصانع لما رأوه في عجائب الطبيعة من تناسق بحكم لا يمكن أن
 يكون وليد لمصادفة . ولكمهم رأوا أن نفس تابعة للبدن . ولذلك نهى عنه
 وكانت نتيجة ذلك أن جحدوا الآخرة . وأنكروا الجنة والنار والحساب
 على هؤلاء وأصرهم على اختلاف بيناتهم وأساليبهم يرد القرآن في غير ما وضع
 وطبعوا العرب م يكن عندهم في هذه المسألة مطلق حدى فلسفى . وليس لهم من
 دليل سوى الإنكار والاستبعاد .

(وبأنوا ، أأد كن عظاماً ورفاتاً أنا لمعوثون حنفاً حديداً) ^(١)

(قال من يحيى العظام وهى رميم ؟) ^(٢)

والقرآن يرد عليهم بتذكيرهم بمظاهر قدرة الله السائدة في الكون . وأنه ليس
 من امعالة الإلهية أن يترك الإنسان سدى فلا يحارى على مقدم
 (أنجس الإنسان أن يترك سدى ؟ ألم يك بطفة من ملى يحيى ؟ ثم كان علقه
 فحق فسوى فعمل منه الروحين الذكر والأنثى . أليس ذلك بفاذر على أن يحيى
 لموتى ؟) ^(٣)

وفي القرآن كثير من الآيات ترد عليهم مستندة إلى مظاهر قدرة الله وعذاته
 وفيه آيات متتالية في آخر سورة يس تحدث عن رأى مكبرى البعث ، ثم ردت
 عليهم ردوداً متنوعة مختلفة و صحة قوية . ونحن نذكر هذه الآيات . ونذكر تفسير
 الكندى لها نقلاً عن كتاب الكندى للأستاذ أبى ريبة

(٣) سورة القيامة الآيات . ٣٦ - ٤٠

(١) سورة الإسراء آية ٤٩

(٢) سورة يس آية ٧٨

(قل من يحيى العظام وهى رميم ٢ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ، أوليس الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يحيى مثلهم ؟ بلى ، وهو الخلاق العليم ، بما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، فسجد من فى يده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) (١)

ونقول الأستاذ أبو ردة عن تفسير الكدى هذه الآيات إن فيه يبرر فيسوفها الأصول النظرية التى تتضمنها هذه الآيات من جهة ، ويستخرج انتفع الى تلمع بها من جهة أخرى ، وهى ١ وجود انشئ من جديد ، بعد موته وحلله السابق ممكن بسبيل مشاهدته وجوده بالفعل مرة ولاسيما أن جمع المنفرد أسهل من إيجاده وإبدعه عن عدم . وبما كان لا يوجد بالنسبة لله شيء هو أسهل وشيء أصعب ، هذا دليل موحود فى لآيات فى كميات هائلة

(قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم)
٢ ظهور انشئ من يقبضه كظهور نار من الشجر الأخضر ممكن ، وواقع تحت الحس

وإذن يمكن أن تدب الحياة فى الحسد المتحلل الهامد مرة أخرى وذلك أيضا على أساس المسأ الأكبر وهو أن انشئ يوجد من العدم المظنون جعل الله الحق . هذا الدليل موحود فى آية (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون)
وقد انتفع به الأشعرى فى إمكان البعث

٣ - خلق الإنسان أو إحيائه بعد الموت أسهل من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن . وهذا هو مضمون آية (وليس الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم بى وهو الخلاق العليم)

٤. الحق والمعل مصدقاً مهما عظم مخلوق لا يحتاج من جانب الله المدع لا إلى مادة ولا إلى رمز . خلافاً لعمل الشر لذي لا يتم إلا في رمز . ويحتاج إلى مادة تكون موضوع العمل ، وهذا هو معنى آية .

(إعما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

وهذه الآية في رأى الكندي : إجماعها في قبول المكافاة من الكبير بسبب طهرهم أن العمل الإلهي المتحلى في حق العالم الكبير يحتاج إلى زمان يناسب عظمتهم قياساً منهم عمل الله على فعل البشر ، لأن فعل البشر لما هو أعظم يحتاج إلى مدة زمانية أطول فحاشا الآية حاشية في بيان نوع العمل الإلهي وأنه إبداع

ولا يردده الخالقة وإقداره المطلقة لا تحتاج إلى مادة ولا إلى امتداد زمانى . فأنى شر كما يقول كندي . يقدّر بنفسه شره أن يجمع في قول يدر حروف هذه الآيات ما جمع الله حل وتعالى . إن رسمه ^{صلى الله عليه وسلم} فيها من إصباح . إن العظام بحسب بعد أن نصير رميمات ، وإن قدرته يخلق مثل السموات والأرض ، وإن الشيء يكون من بقيصه ؟ كالت عن ذلك الأسس المطلقة المتحاشية ، وقصرت عن مثله مهابات الشر ، وحشت عنه العقول الخالية . ١ هـ (١)

على أن لا نترك موضوع بحث دون أن نوجه ذهن قارئ إلى هذا التطوير السبع الذى ذكره القرآن الكريم بين الأرض الموت التى يحياها الله فتست من كل روح سببح . والعظام والرفات التى يحياها الله وبصورها فحسب تصويرها

(أبها ساس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مصغرة محقة وغير محقة ليس لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أحل مسمى . ثم نخرجكم طفلاً ثم تتدعوا أشدكم . ومنكم من ينوى . ومنكم من يرد إلى أرواحهم ليعلم من بعد علم شيئاً ، ويرى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها ماء اهترت وربت وأنبتت من كل روح سببح ذلك أن الله هو الحق ، وأنه يحيى الموتى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) (٢)

١٤

مشاهد القيامة .

ويسبق لعث ويعقبه أمور تحدث عنها القرآن في كثير من الآيات ووصفها في روعة أحادة . إنها تصف يوم القيامة ، وتحدث عن الحساب والميزان وتصف حالة المؤمنين وكافرين وتصور النار في صورتها الشعة الكريمة ، الجنة في روحها ورخاها وصورها ووصفها انصحاء . وسكتي من كل ذلك آيات من آخر سورة الزمر

(وما قدرنا الله حق داره ولأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوَّياتٍ بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون . وضع في الصور فصق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . ثم جمع فيه أخرى فإد هم قيام ينظرون . وشرق الأرض نور رب . ورضع الكتاب وحى بالنبيين والشهداء . وقضى بينهم بالحق وهم لا يظنون . ووفيت كل نفس ما عملت . وهو أعلم بما يصنون .

ويسبق الدين كفرو إلى جهنم رمراً ، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنة ألم بأنكم رسل منكم يتنول عليكم آيات ربكم ، وسددوكم لقاء يومكم هذا قلوا بلى ولكن حفت كلمة العذاب على الكافرين

فقبل ادخلوا أبواب جهنم جالدين فيها ، فشن مثوى المتكبرين ويسبق دين اتقوا ربهم إلى الجنة رمراً ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها . سلام عليكم طم فادخلوها جالدين

وقالوا الحمد لله الذي صدق وعده وأورثنا الأرض تنبؤ من الجنة حيث نشاء ، فهم آخر لعاميين وترى الملائكة حافين من حول لعرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق ، وقبل . الحمد لله رب العالمين^{١١}

القرآن ومعتقدات العرب .

إن ما قدمناه سابقاً لم يكن إلا مساحي موحدة من العقيدة الإسلامية لم تستوعبها ، فحين لم تنتج الفرقية به ، أو سورة سورة ، يصل من ذلك إلى إعطاء فكرة عامة عن العقيدة الإسلامية على أن يصاح هذه العقيدة يستلزم حيناً توصيف موقف القرآن مما كان منتشر في حرية العرب من معتقدات .

لقد قلنا سابقاً إن حرية العرب كانت مملوءة بمختلف العقائد سواء ما استند منها إلى حيان والوهم ، أو ما استند إليها في أسسها إلى كتاب سماوي ، والقرآن يتحدث عن هؤلاء وأولئك ويناقشهم ويجادهم ليقتودهم في سبيل إلى الطريق المستقيم .

وإذ كان القرآن قد تحدث عن هذه المعتقدات فلم يكن ذلك ، لأنها في حرية العرب فحسب ، وإنما كان ذلك لأنها أخطت من معتقدات منتشرة في حرية العرب وفي حارجها ، وكان هدفه من ذلك طبعاً تحييض فكره الأوثان عن كل ما يشوبها من حصاً ووهم وصلال .

تحدث القرآن عن معبودات لا تتصف بصفة الحياة كالأصنام والكواكب وفي قصة سب ذكر لعبادة لشمس ، وفي قصة إبراهيم ذكر هذس سوعين وهما ما يبطها أما فيما يتعلق بالكواكب فإنه من السبب أن الإله لا يطرأ عليه لمعيب يد الإله منزله عن ذلك .

(علم من عبه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي هذا من قال لا أحب الآلهين

فلما رأى لقمر راعاً قال هذا ربي ، هذا أعلى قال لن لم يهني ربي لأكوس من الصوم الصائين

فَمَا رَأَى الشَّمْسُ مَا عَاقَبَ قَالَ - هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، وَلَمْ أَفَهِمْ مِنْهُ يَهْجُومُ لِي
بِرِيءٍ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١)

يبدو أن عبده لأصم كانت متعلقة في حربة عرب إلى درجة هي من نفوه
حيث اقتضت لقرآن أن يعتنق في الرد عليه ، واحتلف أساليب رده بين الخذل
بصارم . والسحرية اللادعة . والتهكم المرير

(واتل عبيهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه ونومه . ماتعدون ؟

فلو بعد أصماً فطرح لها عاكف

قال هل يسمعوكم إذ تدعون أو يسمعوكم أو يصرون ؟ (٢)

أما لأسلوب المطلق اسأحر لتهكم فإنه ينمط في الآيات التالية

(ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به على . إذ قال لأبيه وهرمه ما هذا

فما نيل الذي أنتم لها عاكفون ؟

قلوا . وحددنا آباءنا لها حديد .

قال . لقد كنتم أنتم وآباؤكم في صلات من

قلوا . أحسنا نأخي أم آت من اللاعنين ؟

قل بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وما على ذلكم من

لشاهدين . وتالله لأكتبننصركم بعد أن توبوا مبشرين . وجعلهم حذاداً إلا

كثيراً لهم نعلم إنيه يرجعون

قالوا . من فعل هذا ، بأهتنا إنه لمن الظالمين

قالوا . ممعنا قبي نذكرهم فقال له إبراهيم

قالوا . فأتوا به على أعين الناس لعنهم يشهدون

قالوا . آتت سمعت هذا بأهتنا يا إبراهيم ؟

قال بل فعنه كبيرهم هذا وسأؤوهم إن كنوا سطعون . ورحموا إلى أنفسهم

فقالوا . إنكم أنتم الظالمون ثم بكروا على رؤوسهم لقد عمدت ما هؤلاء يطقون

قدس أحمدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يصركم ؟ أف لكم وما تعدون من

دون الله أفلا تعقرون؟ (١)

فما جعل بني إسرائيل عهداً كان به حوار ، ثم به (ألا يرجع إليهم فولاً ، ولا يملك لهم صرا ولا شعاعاً) (٢)

ومع ذلك اتخذوه إلهاً . يقول تعالى

(و اتخذ قوم موسى من بعده من حبيهم عملاً حسداً له حواراً ، فلم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين) (٣)

وم يقتصر نقرآن في صحيح فكره لألوهية في العاء - على الرد على عده لأصنام أو الكواكب ، إذ كان هناك عدة فرعون ، وعنده الخرس ، وعنده الملائكة .

وقد ذكر القرآن كل هؤلاء ، وهم جميعاً بخلق عليهم ما سطس على الذي حاح إبراهيم في . به فليس في استطاعتهم أن يعيروا محروى سير الكواكب على رسمه الله لها منذ أن وحد العالم

(لم تر إلى الذي حاح إبراهيم في . به أن أتاه الله الملك ؟ إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت ، قل . أنا أحيى وأميت

قال إبراهيم فإن الله نأى بالشمس من المشرق فأتت من المغرب فسمت الذي كهر والله لا يهدي القوم الظالمين) (٤)

وليس في استطاعتهم ، مجتمعين أن

(نحسبوا دينا ونوحيتموا به وإن يسبهم ندين شيئاً لا يشقده به صعب لطلاب والمطلوب) (٥)

فإذا كانوا قد عجزوا عن أن يعيروا به واحده من سن الله الكونية ، وعجزوا عن أن يحسبوا دينا ، بل يعجزون عن أن يسعدوا بها ، ستلته مهم . إذ كانوا قد عجزوا عن ذلك فليسوا بآله ، لأن من خصائص الإله لشده نعمه الشاملة

(١) سورة الأنبياء - الآية ٦٦ ٦٧ (٢) سورة البقرة - ٢٥٨

(٣) سورة طه - ٨٩ (٤) سورة الحج - ٧٣

٣ سورة الأعراف - ١٤٨

المسيحية .

على أن نصرع القوى إنما كان بين الإسلام من جانب ، والمسيحية واليهودية من جانب آخر فقد كان اليهود يعتزون بالتوراة ، ويعتزون بـبراهيم وموسى ، ويظنون في كل من عداهم نظرة احتقار ، يسروها أحياناً ، ويعلموها حتماً تواتيهم الظروف

وكان المسيحيون يعتزون بالإصحاح ، ويعتزون بعيسى وموسى وبراهيم ، ويظنون إلى غيرهم بطرتهم إلى لقطيع الصن يتطرب رعباً يقوده إلى الخطيرة وقد راد اعترارهم بأدبهم حينما عترف القرآن بموسى وعيسى ، وعترف بما نزل الله عليهم من تورا وإصحاح وحقاً لقد كان موقف القرآن كريماً دلسه إلى مسيحيين بطرأيه في سموه إذ يقول

(إذ قالت الملائكة مريم إن الله يشرك بكمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وحيها في لذيها والآخرة ومن يقربن ، ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين

قالت رب أنى يكون لى ولد وم عيسى بشر؟ قال كذلك الله بخلق ما شاء إذا قصى أمراً بما يقول له كن فيكون . وبعد ذلك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل . ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد حبسكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهينة لطير فأنمى فيه فيكون طيراً يرد الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى يرد الله وأنسكم مما كنون وما تدحرون في ميوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين^(١))

وبينا يرمى اليهود مريم بأشنع القائص خمسها ندوب رواح إذ بالقرآن يقول

(يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين)^(٢)

ولكن القرآن لا يعرف محامله في حق ، وتندعاً قال أرسطو كلمته المشهورة

(١) سورة آل عمران الآيات ٤٥ - ٤٩ (٢) سورة آل عمران آية ٤٢

«أحب أهلاطون وأحب الحق وأوثر الحق على أهلاطون»

وإذا كان القرآن يعترف بأن أقرب الناس مودة إلى المؤمنين هم الذين قالوا إياهم بصري ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وأهمهم لا يستكبرون فإنه لا يحامل في بيان الحق ، وتصحيح الحادة ، وتصحيح فكرة الألوهية التي حرّمها الصاري بعد عيسى

فقد رسل الله عيسى برسائله إلى بني إسرائيل فحرّمها من بعده الذين اتسبوا إليه أقطع تحريف ، وشوهوها أشنع تشويه وأبعدوا في الصلال فرعموا نارة أن مسيح هو الله ، ورعموا أن الله ثالث ثلاثة بل لقد أهوا مريم ! وكل هذا صلال تنزه عنه الرساله الإلهيه

وقد رد عليهم القرآن من طريق منطق تارة ، ومن طريق كنههم وما جاء فيها تارة أخرى ، وفي كلتا الحالتين كان أسلوبه قوياً عبقراً كأنه الصواعق تنزل على اهترائهم فتحطمه تحطيماً .

(وقالوا - اتحد الرحمن ونداً ! لقد حثم شيئاً دأاً ! تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض ، وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً وما يسمى للرحمن أن يتحد ولداً إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً^(١)) ويرد عليهم القرآن وعلى غيرهم في هذا متحداً أساس الرد عقيدة من عقائدهم ، إهم يعتقدون أن يسس لله تعالى راحة فيقول القرآن

(سبح السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وحق كل شيء وهو بكل شيء عليم)^(٢)

(١) سورة مريم الآيات ٨٨ - ٩٢

(٢) يقول صاحب البحر المحمد في تفسير هذه الآية من سورة الأنعام ١١ - «كيف يكون له ولد وهذه حاله أنى أن الولد إنما يكون من الزوجة وهو لا زوج له فلا ولد له - وفيه يذهب الرشد من ثلاثة أوجه : أحدها أن مبدع السموات والا من - وهي اجسام عطية لا يستقيم أن يوحده بالولادة ، لا الولادة من صلب الأجسام ومخرج الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون وائداً والثاني أن الولادة لا تكون الا بين اثنين من جنس واحد - وهو تعالى متعال عن الجنس ، فلم يصح أن تكون له صاحبه ، فلم نصح الولادة والثالث أنه مناس شيء الا وهو مخالفه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان شيئاً عن كل شيء والولد مما يطلبه المحتاج إليه - هذا انبر الخاد من البحر ج ٤ ص ١٩٤

ثم يرد النصارى هذا المسيح زعمه عندهم سلام . ونحن نقرآن برد عليهم في هذا
مختلف الردود

(وإذ قال الله . يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس . اتخذوني وأمي إلهين من
دون الله ؟ قال . سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق . يا كثر قلته فقد
علمته نعمم ما في بصري ولا أعلم ما في نفسك . يا كثر أنت علام الغيوب ، ما فعلت
لهم إلا ما أمرني به . يا عدو الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت
فيهم . فما توفيتني كنت أنت ربوبهم عليهم وأنت على كل شيء شهيد . يا بعدهم
فإنهم عبادك ، وإن تعمر لهم فيك أنت العزيز الحكيم)^(١) .

(لقد كهر الدين قالوا . إن الله هو المسيح ابن مريم . قل من يملك من الله شيئاً
إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟ والله ميت . سموات
والأرض وما بينهما يحق ما يشاء والله على كل شيء قدير)^(٢) .

(لقد كهر الدين قالوا . إن الله هو المسيح ابن مريم . وقان مسح ربى إسرائيل
اعدو الله ربي وكم . إيه من شرك بالله فقد حرم الله عنه الجنة وماؤه النار ،
وما للصليين من نصيب . لقد كهر دين قالوا . إن الله ثلث ثلاثة ، وما من إيه إلا
إله واحد وإن لم يسبوا عما يقويون يحسن الدين كهرو منهم عذاب أبهم)^(٣)

وبه القرآن مسيحين إلى أن المسيح ، وأمه كذباً كلاب الطعام .^(٤) ومن أميين
أن ندى يأكل الطعام . فتشحب في حسنه دماً وخملاً وعظماً . ويصبح عرفاً .
ويخرج فصلة بونقيت في الحسم لصرته من لواصح أن كائناً من هذا عظم لا يمكن
أن يكون إلا بشراً . حاصداً لكل قوانين البشرية التي لا تؤدى إلى نقص في مرتته
كرسول

لقد كان ميلاد مسيح يدور أن أثر قوى في ديع كثير من النصارى وكثير من
سبوا . لقد عانى النصارى فقالوا . به ابن الله . وسرف اليهود في عبادهم هموا
أمه . لطاهرة بالصخور

(٣) سورة المائدة آية ٧٢ ٧٣

(١) سورة المائدة الآيات ١١٦ ١١٨

(٤) سورة المائدة آية ٧٥

(٢) سورة المائدة آية ١٧

على هؤلاء وأولئك يرد القرآن في بساطة ووضوح بأن
(ب) مثل عيسى عبد الله كمثل آدم حقيقه من تراب ثم قال له كن
فيكون (١)

وسهود ولصارى يعترفون بأن آدم حقيقه الله دون آب وأم . فأمره إدم أعجب
وأعرب من أمر عيسى . لما كان هم أن يعالوا في أمره غير الحق . أو يسرفوا في
الانتقاص من أمه

اليهود .

وإد كان مسيحيون هم أقرب للناس مودة لمسلمين فإن أشد الناس عداوة
لمسلمين هم اليهود . ومنهم في دين مثل الذين أشركوا . هكذا يصفهم القرآن
وستتضمن في جدول معهم استقصاء تناسب هي وناريخهم العلويين . وعندهم
لشديد ومكرهم اخبث

ولقد كان الصراع قوياً عيباً بين الإسلام واليهود . كان صراعاً بالمنطق
والرهف . وكان صراعاً بالسيف والرمح . ولا يعيب هذا التحدث عن سيف
والرمح وإنما نتحدث عن الصراع بالمنطق والرهف .

وقد حص القرآن آل عمران من بني إسرائيل سورة من أكبر سورته هي سورة
آل عمران مماها باسمهم وسورة البقرة . وهي من أكبر سور القرآن أيضاً تكاد
تكون مقصورة عليهم وفي القرآن سورة يوسف وسورة إبراهيم وسورة مريم وسورة
الأنعام وكلها مملوءة بالحديث عن بني إسرائيل . أما سورة الأعراف فإنها تروى قصة
موسى مع فرعون ومع السحرة لمصرين . وتتحدث عن إخراج بني إسرائيل من
مصر . ومخاطبة موسى لربه وأحده الأنواع . وتذكر انحراف بني إسرائيل .
واتخاذهم المعجن معبوداً وغير ذلك من شئونهم

على أن القرآن لا يقتصر في الحديث عن بني إسرائيل على هذه السور التي
ذكرناها . وإنما نحلل الحديث عن بني إسرائيل كثيراً من السور

(١) سورة آل عمران آية ٥٩

من ذلك يرى ملع لأهميه التي وجهها القرآن إلى بني إسرائيل لإرشادهم إلى الحادة ، ونقد صور القرآن في أحاديثه هذه أخلافهم في وصوح ، وكان في ذلك كطبيب يشخص المرحض تشخيصاً دقيقاً حتى يسهل لعلاج ، ولكن اليهود الذين بدعوا من موسى ملعاً جعله يقول

(رب إنى لا أملك إلا نفسي وأحقى فغرق بسا وبين تقوم عاسقين) ^(١)

كانوا عصيين على العلاج ، حتى نقد أئسوا داود وعيسى عليها سلام فلما هم

(لن ليس كفروا من بني إسرائيل على ساد داود وعيسى بن مريم ، ذلك لما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن مكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ^(٢)

ولقد وصل بهم الأمر إلى أن كانوا يقتلون أنبياءهم بغير حق بيد أن هذه الحاجة لأخلاقية نسبت من أهدى الأولى في هذا الكتاب وتصيح القرآن غير ما د يعرفها ، راندى بعينها ما إنا هو عقيدة اليهود والقرآن يذكر أنهم تحذر العجل معبوداً وأنهم قاءو : « عزَّزَ إِنْ لَّهِ » وبكروا رسالة سيدنا محمد وعيسى - عليها السلام - وقد تحدثنا عن رد القرآن على هذه الأمور فيما سبق

تعميد فكرة الإلهية :

وإذا ندد القرآن كل شبهة خلقت في سماء فكرة لألوهية ، وثية كانت تلك الفكرة أو كتابية فإنه حص فكرة لألوهية بسوره واصحة ، حية ، سهية ، موحزة ، سماه سورة لإخلاص - تنحليصها تلك بمكة من شوائب كل - طل وصال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله بصد . لم تد ولم يولد ولم يكن له كفو أحد ^(٣)

(٣) سورة الإخلاص

(١) سورة المائدة ٢٥

(٢) سورة المائدة ٧٨ ٧٩

وقد ورد في الخبر أنها تعدد ثلث القرآن : لأن من عرف معانيها حق المعرفة ، ودرك ما أشارت إليه إدراك صاحب النسيئة المستنيرة لم يكن بقية حاجاء في التوحيد والتثنية عنده إلا تفصيلاً بما علم . وشرحاً بما حصل^(١) في هذه السورة بوصف الله : بأنه « واحد » وكلمة « واحد » أبلغ في دلالة على الوحدة من كلمة « واحد » فأحذية الله لا تركب فيها بوجه من الوجوه . إنها ليست كواحدية الإنسان الذي يتركب من أعضاء ووحيدات . وفي هذه الآية فكرة الإسلام في مقابل فكرة التعدد عن أي وصع كانت (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)^(٢)

٣١ نبي التثييث ونبي التركب ، بها رد على النصارى ، وعلى مشركي العرب ، وهي رد على مشبهة الإسلام فيما بعد

و (الله واحد) قبله يرجع الأمر كله ، وهو وإن كان قد سبب الأسباب وأخرى سببه على أوصاف محددة ، وطب إسماً أن يتحد الأسباب مع ذلك هو المرجع الأول والأخير لكل ما جرى في هذا العالم من شئ ، فإذا ما توحشت الآمال إلى سره فقد صفت واحرفت . ولقد صلت بسبب ذلك النصارى واليهود فقد (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله)^(٣)

وفي هذه الآية ، بصورة عامة توحية لكل من كان يعلق آماله على غير الله (لم يلد ولم يولد)

يتره الله عن أن يلد أحداً ويشير إلى هساد رأي القائلين بأن له مناً ، أو نبات ، وهم مشركو العرب ، ولحد ، والنصارى ، وغيرهم ، ويبين لهم أن الآية تستلزم الولادة والتعير بالامثاق ونحوه لا يغير المعنى ، والولادة إنما تكون من الحي الذي له مراح ، وما له مراح ، فهو مركب ، وسأيه إلى الحلال - وفناء ، وهو حل شأنه منزه عن ذلك .

وقوله لم يولد يصرح بطلان ما يرعونه بعض أرباب الأديان من أن الله

(١) الشيخ محمد عبد - جز، عم من ١٧٩ (٢) سورة التوبة آية ٣١

(٣) سورة المائدة آية ٧٣

وكان القرآن سجلاً يصور الكثير من الأمثلة ويعطى الإحادة عما ، وهما هي دي
آيات متتالية من سورة البقرة توصلح هذه الفكرة

(يسأولك ماذا يعقوب ، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين وإيتامى
والمساكين ، ومن السبل ، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم ، كتب عليكم
القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً
وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون

سألت عن شهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبل الله
وكفر به ، ويسجد الحرام وإحراج أنه مه أكبر عند الله ، ولعنته أكبر من
القتل ، ولا يزالون يقاتبوكم حتى يردوكم عن دينكم ، يستطعوا ، ومن يرتدد
مكم عن دينه فبعت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون ، إن دين أئمة والدين هاجره وحاهدوا في سبل
الله أولئك يرحون رحمة الله ، والله عفو رحيم

يسأولك عن الحمر والبليس ، قل فيها إثم كبير ومذموم لئس ، وإثمها أكبر من
نفعها

ويسأولك ماذا يعقوب ، قل ، كفوا ، كذلك بين الله لكم آيات لعلكم
تذكرون في الدنيا والآخرة

ويسأولك عن البتاني ، قل ، صلاح هم خير ، وإن تحلصوهم فإخوانكم ومن
نعم لمفسد من مصلح ، ولو شاء الله لأعنتكم ، إن الله عزيز حكيم ، ولا تسكحو
لمشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تسكحو
لمشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم ، أولئك يدعون إلى
النار ، والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، وبين آياته مناس نصهم يتذكرون
ويسأولك عن الميصر ، قل : هو أدى فاعتبروا ، النساء في الميصر ،
ولا تقربوهن حتى يظهرن ، وقد تظهرن فأنوهن من حيث أمركم الله ، والله يحب
التواضع ويحب المتطهرين (١)

أظهر أنما بعد الذي قدمناه لسا في حاجة إلى الرد على الأستاذ دي بوي في قوله :

« جاء القرآن للمسلمين بدين ، ولم يحشهم منطريات ، وتلقوا فيه أحكاماً ولكمهم لم يتلقوا فيه عقائد »

لقد رأينا بوضوح فيما سبق أن القرآن جاء للمسلمين بدين ، ومنطريات ، وبأحكام وبعقائد

ولاشك أن الإمام الرازي كان أصدق رأياً ، وعمق عوراً إذ يقول معبراً عن الحقيقة

« إن الآيات الواردة في الأحكام الشرعية أقل من ستائة آية ، وأما سوق هي بيان التوحيد ، والنسوة والرد على عدة الأوثان ، وأصناف المشركين »

ويقول « وأما محمد عليه الصلاة والسلام فاشتغله بالدلائل على التوحيد والنسوة والمعاد - أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل » هـ .

ولم يرفع الرسول ﷺ إلا وقد أكمل الله دينه . وأنتم نعمته على المسلمين .

(اليوم أكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١) .

لقد أكمل الله للمسلمين الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أدياً وقد أتمهم عز وجل فلا ينقصه أدياً ، وقد رضى به فلا يخطئه أدياً .

الفصل الرابع

في تفسير القرآن

(حم) والكتاب المنين . إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا مندرين . فيها يعرق كل أمر حكيم . أمر من عندنا ، إنك مرسلين . رحمة من ربك ، إنه هو السميع العليم) .^(١)

لقد أنزل الله في ليلة مباركة منه سبحانه ، ولقد أنزل في ليلة القدر ، ليلة السلام والهداية ، ليلة السلام بقرى ، وهدية الفردية ، وليلة السلام الجماعي ، وهدية الجماعة .

إن القرآن رسالة رب العالمين برحمن الرحيم إلى يكون كله مجمع عوالمه وهو رسالة رحمة : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)^(٢)

وهو لم ينزل بعصر دون عصر ، ولا ليلة دون ليلة ، وإني أنزل بالإسبابة حاصرها وبأدبها وحاصرها ومستفنيها . ومن أجل ذلك فإن الرمز هو الذي يحل معانيه على مر الأيام ، وإن حيز تفسير له هو لرمز .

وانقرن هذا حديد استمرار ، بصر على لدوام . لا تنقصي عنائه ، ولا يبل على الرمز ، وكل شرح مطول له مهم استقص لا يؤدي كل معنيه . ولقد تحب رسول الله ﷺ أن يبي له شرحاً مستفيضاً ، أو تفسيراً به مطولاً . رعة منه صلوات الله وسلامه عليه في أن يقرأه بقارئون بالأسلوب الإلهي البصر السامع . وتوحيها منه صلوات الله عليه في أن يقرأه بقارئ وكأني شفاه من هم الوحي مباشرة عصاً بصرأ ، فيكون له مصدر هدية ، وبعث رشد ، وبعث فياصاً بالحكمة .

ونحب كبار الصحابة رسول الله عليهم أن تستفيض أقلامهم بشرحه وتفسيره . مأسس في ذلك بالرسول صلوات الله عليه ، ورعة مهم في ألا تقوم لآراء البشرية ستائر تحجب النور بقرآن أن يصل إلى القلوب مباشرة صديقاً نفياً ولم يحاولوا أن يكونوا حجاب بين القرآن وقلوب لقراء . وكان في استطاعتهم أن يكتبوا في تفسيره

(١) سورة الدخان الآيات ١-٦ (٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧

وتأويله ، شاء الله أن يكتبوا ، وقد روى عن بعضهم أنه كان يتأني له أن يكتب في تفسيره بفاعه وحده حمل بعير من الأسفار ، ولكنه لم يفعل ، كدبت لم يفعل كتاب الصحاح حتى لا تتدخل الشربة المحدودة في لمحات الإلهي اللامحدود ، وما لا ريب فيه أن التفسير تحديد ، وأن الشرح تقييد ، وأن التأويل تتخلله عنصر من التحمين ، وذلك كله تحديد لما لا يمكن أن نحد ، وتقييد للمطلق لتوراني وتحمين في محب يتسامى عن التحمين

(قل لو كان البحر مدادا لكتب ربى بعد البحر قبل أن بعد كلمات ربى ولو جنتا مثله مدداً)^(١) .

(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر بماء من بعده سعة أحر ما بعدت كلمات الله ، إن الله عزيز حكيم)^(٢) .
أرأيت إلى شعاع الشمس فياضاً مسترسلاً ، بعمر الكون بالألأله ندهي .
لا يحججه عيم ولا يسره حجاب ؟ أرأيت إلى صوة انقمر قصاً متأنقاً ، لا يسره سحاب ولا يحججه شيء ؟ أرأيت إلى أنوار والصباء يرل من اسماء مباشرة صفاً نقاً فتلقه الإرسال ، وسعم به ؟ إن مثل ذلك كمثل بو . القرآن ولألأله . يصل إلى لقب مباشرة طابع الخلال للإلهي والجمال الربى لا يحججه شرح ، ولا يسره تفسير ، ولا يحول بينه وبين القلب تأويل متحكم ، ولا تتدخل فيه شربة بأي نوع من أنواع نقصها وقصورها

ونحن كبار لصحة إبد أن يصل انقرب إلى قلوب الدس من خلال شروهم وتأويلهم توحجه بشريهم ويحدده أدهاسهم

وقد أرسل الله القرآن ، يعمل في فيه ، لا لتساري في جعله كتاباً في علم لكلام نصرت بعضه بعض ، تسهي برؤى شرى يعارضه رؤى شرى ، فام هو الآخر على جعل كتاب الله كتاباً في علم الكلام ، أحد نصرت بعضه بعض .
لقد أرسل الله القرآن هدية ، لعمل بآياته المتكلمات انوالى من أم الكتاب .
وستعد عن الخوص فيما نشانه منه ، ولجميعه في كل حالة من الحالات بما يلتزم

هديه وتتحقق بأخلاقه ، حتى يكون بحسب قرآننا ، متسبين في دينك برسول الله صلوات
 الله عليه . الذي كان على وجه الأرض قرآناً كريماً

١ - الإمام النسي

من علماء المذهب الحنفي المشهورين . ومنهم هم قدم راسخة في كثير من
 العلوم . المفسر حافظ الدين . أبو بكر عبد الله بن أحمد بن محمود لنسي .
 المنسوب إلى سيف بلاد الهند بن حنوف وسمي قد
 كان عالماً بفقته وأصول الدين وأصول الفقه وتفسيره . وامتازت مؤلفاته بحدة
 التحري ودية التعبير وشده التركيز وحشد المعومات المتنوعة في حيز بسيط ، حتى
 يعسر على غير المتخصص الأحد عنها وفهم كل ما يشير إليه .
 وقد استفاد من شتى طرق البحث السابق عليه ، فخرج عن استدلالات
 المتكلمين وحدل الأصوليين وسماط الفقهاء ، وتغير بطريقته الخاصة في
 التأليف ، كما استفاد من شيوخه المشاهير ومنهم شمس الأئمة الكردي .
 وأحمد بن محمد العثاني . وغيرهم من كبار العلماء المتخصصين
 وبالإمام لنسي مؤلفات كثيرة شتهر بها كمفهم وفقه وناحث في أصول الدين
 وناحث في أصول الفقه ومنهم

١ - عمدة العقائد في الكلام

٢ - شرح عمدة المعانيد وسماء الاعتماد

٣ - منار الأنوار في أصول الفقه

٤ - النكاح في شرح الوائ في الفقه الحنفي

٥ - كبر الدقائق في الفقه الحنفي

وكان على سبيل غيره من كبار علماء المسلمين معروف بالزهد والمصالح
 والتهوى ، فصلا عن تفرعه للعلم والدراسة والبحوث . وقد اشتهر علمه وفصه في
 عصره وبعد عصره ، وبارك الله في مؤلفاته . فأصبحت مرجع الباحثين ، ومعال

البحث بين الدرسين . لما فيها من تدقيق وتحقيق و كفاء بالإشارة عن التفصيل
وبالإيجاز عن الإطبات

وقدره العلماء حق قدره . فقد كتب عنه صاحب (ندرر الكوفة) . فوصفه
بهذه الكلمة الملوثة : (علامة الدنيا) .

وكتب عنه الحافظ عبد القادر في طبقاته . فقال : « أحد الزهاد المتأخرين .
صاحب انتصايف المفيدة في الفقه والأصول . له المستقصى في شرح اصطومه . وله
شرح الدع سماء بالشافع . وله البكاف في شرح الواقي . وله كبر البقاتق . وله المار
في أصول الفقه . وله العمدة في أصول الدين . تفقه على شمس الأئمة الكردي .
وروى الزيادات عن أحمد بن محمد بن محمد العتاني »

ولسبى ناعته من أنه أهل سنة كان له مواقف في غاية لقوه . وفي غاية
لعنف . في الرد على كل الخراف في تفسير القرآن . وخصوصاً تفسير الكشاف . ولم
يقتصر في الرد على المعتزلة على ما كتبه في تفسير الكشاف . وإنما فعل ذلك في كل
كتبه الكلامية التي كانت محل اهتمام في رحاب الأهرار . وقررت على الطلبة في
مختلف مراحل التعلم . وقام الأساتذة باحصارها وشرحها والتعليق عليها
مستفيدين منها ومهينين لغيرهم بها .

وكانت وفاة الإمام السبى رحمه الله عام واحد وسعمائة من هجرة بلدة يدح
بين حورستان وأصفهان
رحمه الله ومع علمه

تفسيره .

سماه لإمام السبى (مدرك التبريل وحقائق التأويل) . ويعتبر من تفاسير
العلمية المخررة . ليس بالطويل المجل ولا بالقصير المجل

وقد تحدث الإمام السبى عن السب الذي دعاه إلى تأليف هذا التفسير فقال
(سألت من تتعين إحاطته كتاباً وسطاً في التأويلات . حاملاً لوجوه الإعراب
والقراءات . متصفاً لدقائق عمي بتدريج والإشارات . حالاً بأقوال أهل السنة

والجمعة . حالياً من تأويل أهل لدع وإصالة يسر بالتحويل اسم ولا بالقصير
(لحل)

ثم ذكر أنه تردد في الإحقة ، ولكنه قطع هذا التردد ، وسار في تأليه محد حتى
أتمه في هذه بسيرة

وساير في هذا التفسير محد فهما وعياً ، وحدة دفقة ، وإطلاع وسعاً ،
وحسن استعدة من هذا لإطلاع

وفد استعد من تفسيري اليصاري وكشاف أما استعدة فأحد من
ليصاري معناه الدقيق وفهمه وعى وتوجيه اسد ويحاره المركز وأحد من
برمخشري في كشوفه حتره الوسعة بالغة ومماشته للآراء متعددة

على أنه لم يقع فيما وقع فيه الرمخشري في كشوفه من النقص مدع لا غير ،
وحمل الآيات في نصف على تأيد أصوله وقواعده ، إنه على انعكس من ذلك
اتخذ موقفاً مضاداً ، وحارب ما يحاف لمذهب الأشعري مستنداً لطريقه الرمخشري ،
راداً على حججه

ويذكر تفسير السبي بإقلاله من الإسرائيليات ، واستعاده ما استطاع عها ، كي
يقتار بتحريه في احتار الأحداث وبظهر دنك بيع ما يظهر في تركه ذكر
الأحاديث المرووعة في فضائل اسور .

كما أنه لم ينوسع في الإعراب ولم يدخل في تفصيلات فرعة تشتت الدهر ،
وتبتعد بالفارسي عن الخو نفري

ولم يحل تفسيره من الإشارة ، بل ذهب العفوية في بعض آيات لأحكام ،
والانتصار لمذهبه الحنفى

ولا يسلم تفسير السبي على وجه العموم من النقد
فلقد اكس بإشارات في عاية لإيجار إلى لآراء مختلفة فيما يتعلق بالآيات التي
استدل بها بفرق ، وكأنه يحرص شهره هذه الآراء ومعرفة أنكس بها ودوام هذه
لمعرفة ، ويتمثل بذلك في تفسيره لقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

الخير) من سورة الملك آية ١٤

ومسلم من لإسرائيليت برعم احتياطة وتحفظه . فتراه عند تفسيره لهونه تعالى من سورة النمل آية ١٦ (وورث سليمان دود وقب نبيها لناس عمن منطق بطير وأويسا من كل شيء رب هذا هو الفصل المبين) يقول روى أنه صاحب حاجته . فأحبر أنها تقول لت ذا الحق لم يخلو وصاح طاروس فقال ثم ذكر أصفاً من الطير ، وفول كل صنف من هذه الأصناف دون أن يعقب على ذلك . بل دون أن يحرر من ذكر مثل هذه الأقوال التي لا بد من الأحاديث لصحتها وتأخذ عيبه أن أسنونه يعنى مستوى العامة . حيث حشد فيه ثوباً من العلوم المتعلقة بالقرآن لا يفهمها إلا من عنده فكرة سابقة عنها وفى آية أدلة يذكر آراء عن الحسن وعن وهب وعن غيرهما دون أن يوجه النظر إلى ما رواه الترمذى بسنده عن عمار بن ياسر قال رسول الله ﷺ (أركلت المائدة من السماء حبراً ولحمها ...)

عمادح منه

١ - يقول الله تعالى :

(واستبقون الأوثان من المهاجرين والأنصار . ودين الله عنهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . جالسين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

(والذين آمنوا) مسند (الأوثان) صفة لهم (من المهاجرين) تبين لهم وهم الذين صبروا إلى الفتن أو الذين شهدوا بدرًا ، أو بيعة الرضوان (والأنصار) عطف على المهاجرين . أى ومن الأنصار وهم أهل بيعة العقبة الأولى . وكانوا سبعه نفر . وأهل العقبة (الثانية) وكانوا سبعين (ودين الله عنهم بإحسان) من المهاجرين والأنصار . فكانوا سائر الصحابة . وقيل هم الذين سبواهم بالإيمان ويطاعه إلى يوم قيامه والحر (رضى الله عنهم) بأنعمهم الحسنة (ورضوا عنه) أى أعاض عنهم من نعمته الدنية والديوية (وأعد لهم) عطف على رضى (جنات تجري من تحتها الأنهار) من جنات مكى (جالسين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم)

٢ - يقول الله تعالى

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنت حرص عليكم بالؤمنين
 رءوف رحيم ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش
 العظيم) النوبة آية ١٢٨ ، ١٢٩

« لقد جاءكم رسول » محمد عليه السلام (من أنفسكم) من حركم ، ومن
 حركهم عرلى قرشى مشكم (عزيز عليه ما عنت) شددت عليه شاق لكونه بعضاً
 منكم عنتكم لفؤؤكم لمكرهه ، فهو يحارب عبيكم (حرص عليكم) على
 إيمانكم (بالؤمنين) منكم ومن غيركم (رءوف رحيم) فيللم يجمع الله اسمين من
 أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ (فإن تولوا) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وباصورك
 (عقل حسبي الله) فاستعن بالله وهو صابره أمورك ، فهو كافيتك وبصرك عبيهم (لا
 إله إلا هو عليه توكلت) فوصف أمره بأنه (وهو رب العرش) هو أعظم خلق
 لله ، حتى مطافاً لأهل السماء ، وقلة لندعاء (الأعظم) بالخر وقرىء بالرفع على
 بعث الرب حل وعز ، وعن أبي آخرا يده برئت (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية .

٢ - جمال الدين القاسمي

من علماء الشام الكبير محقق الخليل جمال الدين من محمد سعيد بن قاسم
 القاسمي

ولد في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ، وبشاً في حجر والده . وتلقى مبادئ
 العلوم الدينية والشرعية على يده . ثم تنق سائر العلوم على كثير من علماء عصره ،
 ومن أبرزهم الشيخ مكرى الخطار والشيخ عبد الرزاق السعد
 مدحه أمير الدين شكيك أرسلان . فكان مما قال فيه كان في هذه لحظة
 الأخيرة جمال دمشق وحب انقطر الشامي بأسره في عرارة فصله وسعة علمه وشغوف
 حبه ودكاء نفسه وكرم أخلاقه وشرف مبارعه وجمعه بين الشرائع الناهية والعارف
 المتأهبة

وقد سما في العلم والفصل حتى صار وقال عنه الشيخ رشيد رضا هو علامة
 بشاء وبادرة الأبياء محدد لعلوم الإسلام بحسب سنة بالعلم والعمل والتعظيم والتهديب
 والتأليف وأحد خلقت لاتصال بين هدى بسف ولا تقاء الذي يقتضيه لرس
 الفقه الأصولي بمصر المحدث لأدب المصنف انتهى لاواب الخليم الأواء العفيف
 لثريه صاحب التصانيف المحتعة والأبحاث المنقعة

بدأ الشيخ حياته العامة مدرساً في حياة والده . ههنا تولى واده تولى مكانه في
 خدمة إمامة في جامع السائين بدمشق . ومدرس شططه العلوي في تاتيف وشرح
 والنقد والإصلاح حتى اردمهرت تأليفه وكثرت مصنفاته . ووصل عدده إلى
 ما يقرب من اثناين ما بين مخطوط ومطبوع ومن أشهرها

- محاسن التأويل في تفسير القرآن الكريم
- فصل للكلام في حقيقة عود الروح إلى الميت حين الكلام
- بحث في جمع القراءات المتعارف عليها
- دلائل التوحيد

• موعظة المؤمنين من حياة علوم بس
 • قواعد التحديث من قرون مصطلح المحدث
 وتعتمد طريقته في التأليف على النقل الودعي من التراث الإسلامي الزاخر ،
 والاكتماء بالترتيب والتبويب ، بعقيد مصنف ، الاستدراك الخفيف وكان من
 معجبي بالشيخ من تيمية ومن أقطاب لمدرسة النسفية وقد اكتسب خبرة واسعة
 في الاصلاص والإحاطة ، حتى لقد حكى عن نفسه أنه قد من الله عليه بمفصلة فاستمع
 صحيح مسلم رواية ودرية في مجلس من أربعين يوم ، وسبب من ماحه إحدى
 وعشرين يوم ، وانوطاً في تسعة عشر يوماً . وحانغ نفسه لنفسه كتاب تقرب
 لتهديب لاس ححر مع تصحيح سهو العلم فيه وصسطه وتحشته من بسحه مصححه
 جداً ثم من وهدده الكتب لرأسها بعض فاجهدت عني وبصري حتى
 رمدت

ونقد ذكرن ذلك ، لنعرف بهمته وإطلاعه الواسع وعلمه العرير وعنايته

بالإصلاح وإخلاصه في بث الدعوة وبشر ندين والحرص على التحدث
وقد نهم بالدعوة في مذهب حايه في دس سمي نالذهب الخيالي ، وقبص
عليه ، وحقق معه ، ولكنه رد البهمة ، وثبت براءته ، فأحلى سيله
ولم تخل حياته من المنقل والأرحال ، فرحل إلى مصر ، وزار المدينه ، وعاد إلى
دمشوق . فانقطع في مربه للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة وعامه في التفسير
والأدب وعموم الشريعة ، إلى أن وافته المنية في شهر رجب من سنة اثنين وثلاثين
وثلاثمائة وألف من الهجرة
رحمه الله وجمع له

تفسيره

إذ أحست أن ثقر تفسيراً كاملاً لقرآن لا يجد فيه خرافه ولا أسطورة ولا شيئاً
من لإسرائيليات المدمومة التي حشيت بها التفسير - فعملت بكتاب الإمام القاسمي
« محاسن التأويل » الذي فسر به القرآن الكريم تفسير معتبر نموذجاً إلى حد كبير
وقد تحدث قاسمي في مقدمه تفسيره فقال بعد أن أشي على القرآن
(ربي كنت حركت همه إن تحصيل ما فيه من المعون ولا اكتشاف ما يند مصدله
لتوير عبود . فأكنت على خطر فيه ، وشعفت تدبر لآتي عقوده ودر ربه ،
وتصمحت ما قدر لي من تفسير السفين وتعرفت حين درست ما تحدي من
بعث السمين ورأي كلاً بقدر وسعه حام حول مقاصده ومقدار طاقته
جاء في ميدان دلائله وشواهدة وبعد أن صرفت في الكشف عن حقائقه شطراً من
عبري . ووقف على المصحص عن دقائقه قد . من دهرى أردت أن أخرج في مسك
مفسر به لأكابر قبل أن تبلى السرائر وتضي المصاصر)
وقد استجار الله تعالى في تسميه وتأليفه ، ثم شرع في تصب ما عزم عليه ، وكان
هذا الكتاب الخليل

وكان شروعه في هذا تفسير بعد تكرار لاستنجاه في عشر الأول من شوال سنة
ست عشره وثلاثمائة وألف من هجره وكان هذا عمل الخليل تفسير حافلاً في

سبعة عشر مجلداً . سد فرغاً وحقق دعماً للعامة وخاصة وضع له به مسلمين
وساطر في هذا التفسير يجد أن مؤلفه قد أفرد جزءاً كاملاً مقدمة لتفسيره وفي
هذه المقدمة يتحلى منهجه في التفسير ، بل في تأليف عموماً
قد ناقش قضايا عامة وحظيره في اتصال بالتفسير ، ونقل آراء كثير من مشاهير
العلماء في الأصول والتفسير وسائر العلوم القرآنية
قد تحدث عن مصادر التفسير وعد أن أصولها أربعة
الأول : النقل عن النبي ﷺ وعلى تفسير بضربين : نقل عن خبر من إصعق
والموضوع

ثاني : لأحد بقول أصحابي . د هو معاصر بشريل ، لعالمهم خو ، قرآن
ثالث : الأحدث عطلق النعه

رابع : تفسير ما يقتضيه معنى الكلام ومفهوم الشرع ،
ومصادر مقدمته عالمياً من الشيوخ المعروفين .

الإمام الشاطبي والإمام ابن سبنة وشذرات من كلام العرب عن عهد السلام ،
وكذلك الإمام عمرى والواعب الأصمهاني وبعض العلماء المحدثين مثل شمس محمد
عنده والشيخ رشيد رضا .

تقد كات الإمام تقاسم بوفرة اطلاعه ودقة فهمه وأمانته في النقل يسبق أنحود
لأقوال فيما يختص بموضوع بحثه . ثم يفتنه في كتب
وعنى هذا بهج حرن في تفسيره ، فكان شبه ما يكون كحدهة عداء لا ترى فيها
لا رعاء ، صرُ وورد عاصراً ، ولا حد فيه ما يؤدي نفس ويثير شعور . وكثير
هذا التفسير الخليل ، بالإضافة إلى التحرى في السقل وحسن الاحتراز والبعد عن
الضعيف والموضوع - كما يأتي :

١ - العناية باللعاني المعوية للمفردات وتوجيه الإعراب في سهوله وسر دور
صريح أو تطويل

٢ - اعتماده على القرآن منه ، ثم على السنة الصحيحة ، ثم على أقوال
الصحابة وآراء السلف الصالح

٣ اهتمامه بالآيات نبي تحتاج إلى بحث وإطلالة النفس فيها ، وذلك أن في القرآن آيات بيّنة وصحّة لا تحتاج إلى بحث ، إنها واضحة من ناحية المعنى وفي القرآن آيات وصحّة ، ولكن بعض المفسرين قد حاول إثارة الجدل فيها أو أخطأ في فهمها أو فسرهم إسرائيليات أو انحرف بها لأهواء على أي وضع كانت ويشتمل اهتمام مفسريه على هذه الآيات شارحاً ومبيناً محققاً للتحقق وكاشفاً للربط الباطن ، وينقل في سبيل ذلك عن لقمة ما يؤيد فكرته ، ويتحد من هذا لتأييد كمصده: أول ، القرآن ، فإنه يفسر بعضه بعضاً ، ويتحد كذلك الأحاديث الصحيحة الشريفة عن رسول الله ﷺ كمصده آخر ، ثم ينقل عن العلماء القدامى وعن العلماء المحدثين ما يؤيد وجهة نظره وهي في الألعاب لأعم وجهه نظر سيبه

٤ اهتمامه بذكر وجوه القراءات مع الترحيح بينها يقول في تفسير قوله تعالى (فأرلها شيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه) آية ١٦ من سورة البقرة **فأرلها الشيطان عنها** أي أذهبها عن حبه وأبعدها يقارن برل عن مرتته وروى عن ذلك إذا ذهب عن برل من الشكر كما وقال ابن حرير فأرلها تشديد اللام بمعنى استزلها . من قولك رل لرحل في ديه إذا هفا به وأخطأ فأتى ما ليس له إتيان فيه . وأزله غيره إذا سببه ما يرل من أحله في ديه أو دياه . وفريء (فأرلها) بالالف من لتمية فأخرجها مما كانا فيه من الرعد والبعيم والكرامة .

ولقد تأثر الإمام القاسمي أيما تأثر بالإمام ابن سبمة وسنده ابن القيم ، اهتماماً واضحاً بكل ما ورد فيه من إراء إيه نقل عن ابن سبمة ديه في محاربات القرآن ، وهو من الآراء التي أشهرها ابن سبمة وحالف فيها كثيراً من العلماء وأعجب بالإمام محمد عده أي إعجاب ، ونقل عنه رأيه في وجوه لتفسير ومراتبه ، نقلا عن مقدمة تفسير الإمام محمد عده المشهور نقله مؤثراً به مقرأه . وسنطع أن نقول نحن لقد تأثر القاسمي بمسح الإمام محمد عده وسبق سببه

تسببه . وبكفة كان من مد منه من يمينه في ثياب الخفه وفي عنقه صفت . وهذا صدر على هذا النحو في تفسيره .

وهذا المذهب غير مسلم به عند جمهور العلماء من أهل السنة وما يؤخذ على الإمام غاصبي في عسيراته أو استمداده من لإمام من كثير بلغ حد كبير . به يكاد يشبه تفسير الإمام ابن كثير في جديد من موضوعات ومع ذلك فإن هذا التشبه القوي لا يبره عن صحته فهو تابع من حد الرأي وتشبه الأفكار لا من النقل والتقليد

موضح منه

قال تعالى

(و من أعاق أقوامهم فليصد سواك ولأرض ومن فيها من نكسهم
لذكرهم منهم عن ذكرهم معصون)

(م تساهم حرجاً فحرج ذلك خير وهو خير الراغبين)

(وإذ تدعوهم إلى صراط مستقيم)

(وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كون) (١)

(ولو منع الحق أهواءهم فصدت سموات ولأرض ومن فيها) :

أي لو كان ما كرهوه من الحق الذي هو التوحيد والعدل لمعوث بهم الرسول صواب لله عنه موافق لأهوائهم المنتصرة في أصل الدشة عن هوسهم ضالة لعظمه لفسد نظام الكون لأن مناط لنظام ليس إلا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتسبب على سمو مكانه ما لا يحصى

(بل نبيهم بذكرهم) . صرت عن توبيخهم بكرهته وبتقارب من أومهم

بأنهم عما ترعب فيه كل نفس من حيرتها . أي ليس مكروهاً بل هو عظة لهم لو انعطوا و فحرمهم أو متمناهم . لأهم كذب يقولون . أن عدداً ذكراً من الأولين لك من عباد الله المخلصين

(فهم عن ذكرهم معرضون) أى بالكوص عنه ، وأعاد يذكر تفصيلاً وإضافة
 ثم نسفه فى سورة الأنبياء (ذكرهم) لاقتضاء ما قبله له .
 (أم سأنهم حرجاً) أى جعلاً على أدواءهم فلاحل ذلك لا يؤمنون (فحراج
 ربك حير) أى عطاؤه

(وهو حير لربهم وابتك ابتغواهم بن صراط مستقيم) و ب ليس لا يؤمنون
 بالآخرة عن الصراط ساكنون)

أى مسحرون قال نقشائى « صراط المستقيم الذى يدعوهم إليه هو طريق
 التوحيد المستلزم لحصول العدالة فى النفس ووجود المحبة فى القلب وشهود الوحدة
 والدين محتجبون عن عالم النور بالظلمات وعن القدس بالرحس إيمانهم مبهكون فى
 الظلم وبعضاء والمداوة والركون إلى الكثرة ، فلا جرم أنهم عن الصراط ساكنون
 مسحرون إلى صلبه ، فهو فى واد وهم فى واد ! وقال الرمحشرى

قد أرمهم الحجة فى هذه الآيات وقطع معاديرهم وغلظهم بأن الذى رُسِّلَ إليهم
 رحل معروف أمره وحجته محو أمره وعينه حقيق بل يحجب منه رسالة من بين
 ظهر بينهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى بمثل هذه الدعوى عظيمة ساطل ، ولم يجعل
 ذلك مستلماً إلى النيل من دسائهم واستعطاء مؤمنهم ولم يدعهم إلا إلى دين الإسلام
 الذى هو الصراط مستقيم مع إرر المكشوف من أدواتهم وهو إحلالهم بالتدريج تأمل
 وسببهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعلمهم بأنه محو بعد ظهور الحق
 وثبات تصديق من الله بالمعجزة والآيات النبوية وكرهتهم محو وإعراضهم عما
 فيه حظهم من ذكر

٣ - الإمام الخازن

هو لإمامه حقيقه لمصر أحدث المؤرخ علاء الدين نور الحسن بن إبراهيم بن
 عمر بن حنبل الشيبلى البغدادى الشافعى الصوفى المعروف بالخازن .
 ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ومات فى « شعبة » بقرية من حلب

ولقب بالحارث نقيامه بالإشراف على مكتبة إحدى المدارس الهامة بدمشق .
 وأحد في السياحة مد أن اشتد ساعده على طريقة العلماء الذين لا يكتفون
 بالقطر الذي يعيشون فيه ، والذين يسافرون دارسين متاملين متصدين بكمال العلماء
 لقد سافر إمامنا من بغداد إلى حلب . ومكث فيها فترة طويلة من الزمن . حتى
 لقد بسب إلى بلدة بالقرب منها . ورحل إلى دمشق . وكانت تدرج بظنعة كبيرة
 من العلماء مثال القاسم بن المظفر . بل إلى دمشق إذ ذاك كان بها ساء وصل في
 العلم إلى درجة من الدرجات العظمى فجلس للتفسير والتحديث . وممن ورثه
 ست عمر .

ومن الإمام الحارث من كل جامع العلم في دمشق - شيوخاً وكتباً . وحاهد
 جهاداً مستميتاً في سبيل التعريف بالعلم جمعاً وشرحاً وتأليفاً فجمع تفسيراً كبيراً
 سماه - باب التأويل في معاني التبرير
 واهتم اهتماماً كبيراً بالحديث فصف كتاباً يدل عنوانه على هدفه وهو -
 مقول المنقول .

وقد حاول مصنفنا أن يجمع في كتابه هذا المقبول من المقول . فشرع عن ساعد
 الحد . وكتب عشر مجلدات جمع فيها بين مسند الإمام الشافعي ومسند الإمام أحمد
 بن حنبل . وكتب الصحاح الستة - سحري ومسلم وأبو داود والبيهقي وأبو يعلى
 وابن ماجه . وصم إلى كل ذلك موطأ للإمام مالك ومسند الدارقطني . فأصبحت
 عشرة كتب رتبها على الأبواب . وهو عمل ليس بالسهر ولا باليسر . ولا بد فيه من
 الصبر العميق والجهد الكبير

وفصلاً عن كل ذلك فإنه جمع سيرة الرسول ﷺ في صورة مطبوعة مستعينة
 في كتاب سماه « سيرة خير الخلائق محمد المصطفى سيد أهل الصدق ونوره »
 ولا عجب في ذلك ؛ فإن من جمع كل هذه الكتب في الأحاديث ورتبها ، بحيث
 بسيرة رسول الله ﷺ

ويروي عن الإمام الحارث أنه كان حسن السمعة ، معبياً بخلقه وسيره .

متابعا لقوله تعالى (حدوا دينكم عند كل مسجد^(١)) ولقوله (قل من حرم
 ربة الله التي أخرج لعباده ونطيات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا
 حائلة يوم القيمة كذلك فصل الآيات قوم بعموم^(٢)) . ومتابعا لقول الرسول
 ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال» . وكان دائم البشر ، وكل من كان حسن انشقة
 في الله فإنه باستمرار دائم بشر . وكان متسماً في السرء ولصرء . لأنه ثق في
 حكمة الله . كان متفائلاً في العمر واليسر . وكان من خلقه لتودد إلى الناس
 وهذا التودد هو الذي جعله يفيد أكبر مجموعة من الناس علماً وهداية
 وكان من أحمل خلقه التواضع ، وهضم النفس ، وعدم الاعتداد بما وصل
 إليه من علم

لقد كانت حياته - في سبيل الله علماً وعملاً . دراسة وتدريساً ، هداية
 وإرشاداً

ووصل إلى رحمة الله في آخر شهر رجب أو مستهل شعبان سنة إحدى وأربعين
 ومئة سنة بحسب
 رحمه الله ، رحمه وسعه

تفسيره

يعتبر تفسير الخازن من أقرب لتفسير المسبوطة تناولاً ، وأسهلها فهماً ، وأكثرها
 نفعاً للعامة والخاصة
 وقد تحدث عن تفسيره فقال

« لما كان كتاب الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود سعي . من أجل المصنفات
 في علم التفسير . وأعلاها ونسبها وأسنها ، خامساً للصحيح من الأقاويل . يحكى
 بالأحداث النبوية . مطروفاً بالأحكام الشرعية ، موثقاً بالقصص العربية ، وأخبار
 المناصب العجيبة ، مرصعاً بأحسن الإشارات مخرجا بأوضح العبارات . مفرعاً في

قلب الخيال بأفصح مقال . حيث أن أنتحب من عرر فوائده ، ودرر فرائده .
ورواهر بصوصه . وخواهر فصوصه . مختصر جامعاً لمعان التفسير ، ونبات التأويل
والتعير . حاولاً لخلاصه منقوه . منقصباً لمكنه وصوره مع فوائد نقدها . وفرائد
خصبها . من كتب التفسير لمصنفة في صائر علومه المؤلفة . لأنه أقرب إلى تخصيص
المراءد .

ثم بين مبهجه فيما يتعلق بالأحداث السوية في تفسيره . لقد حذف منها
الأسيد . واكتفى بالمتون سهله ساول وشحفة لإخبار . ولما كان حذف
الإسناد يحتاج إلى التيقن من درجة الحديث ومكانته - فقد ذكر من حرج الحديث
من الأئمة وبين اسمه ورياده في الاختصار . اكنى عن سم الصرح به كحرف بدلا
عه ، وأشار إلى السحاري بحرف حاء ، وإلى مسلم بحرف ميم ، وإلى ما اتفق عليه
بحرف قاف ، وإلى أئمة الحديث لأحريين كأبي داود والترمذي باسمائهم .
وقدم لتفسيره خمسة فصول

الأول . في فصل القرآن وتلاوته وتعليمه

انثنى في وعيد من قال في نفران برأيه من غير علم ، ووعيد من أوى لقرآن
فسيه وم يتعهد

الثالث في جمع القرآن وترتيب بروه ، وفي كونه رول على سبعة أحرف

الرابع في معنى رول القرآن على سبعة أحرف ، وما قل في ذلك .

الخامس . في معنى التفسير والتأويل

وفرغ من تأليفه في يوم الأربعاء ابعشر من رمضان سنة خمس وعشرين
وصمائة من الهجرة

ومما يؤخذ عليه استطراده في تفسيره بلا حدود . والاستطراد قد يحس في بعض
لمواطن ، ولكنه في عابها مدموم . وقد حره حدث في الإفرط في النقل ، فقل
كثيراً من القصص الذي لا أصل له من الكتاب واسمه ، أنه أصل ، ولكن شوهه
الزيادات والاستطرادات ، من المحرفين

وأنتحب تفسيره من تفسير المعوى ، وتفسير المعوى نموذج حتى التحرير

وندقق على حرد تفسير الشعبي من الموضوعات والآراء العديدة عن أصواب
يقول ابن تيمية

وكان الشعبي حاصب ليل نقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعف
وموضوع . والمعوى تفسيره مختصر من التعليق ، لكنه صلب تفسيره من الأحاديث
لموضوعة والآراء المستدعة . هذا الطول الملبس مع زيادته . وم كلف بالأحد
عن المعوى . وإنما أضاف إليه من غيره . ويبدو أنه أرجع ما تركه المعوى فحشا
به كتابه .

ويظهر من هذا الاستطراد في تفسيره سورة الكهف مثلاً . حيث ذكر (قصة
أصحاب الكهف) وقيل رواية محمد بن سعد ومحمد بن يسار . ونقل روايته
أخرى عن عبد بن عمرو . واستغرق هذا من تفسير ثلث صفحات من تفسيره
كثير . وكثير مما ذكره ابن لم يكن كنه فيما يتصل به الموضوع . لا أساس له
من صحة

على أنه إذا كان ينقل هذه القصص فإنه سحرى في كثير من الأحاديث فيما يتصل
بعضه النساء من أحاديث وروايات . به يدكره ثم يعقب عنها بسند والتقييد
في مجال الحديث عن داود عليه السلام مثلاً . ذكر القصص التي ليست بصحيحة
بأنسبه إلى سندها داود عليه السلام . ثم عقب عليها بفصل عو به نقوه (فصل
في سره داود عليه السلام عما لا ينبو به ويست به) ونقل في هذا الفصل
الروايات التي تفسر عصمة داود عليه السلام

وختار بعقب أحداً - على ما يرويه من قصص مينا درختها من صحة
والوضع على أن هذا التفسير مع ذلك لم يحل من كثير من الفصوص التي تحتاج
إلى تحرير

ومع النقد لابد من ذكر المحاسن

لقد أمر تفسير مختار بالإشارة إلى مصادر الأخبار . وبعض الاستطراد فيه
طريقة مثلاً في تفسير قوله تعالى (فتسم صاحبك من هولها وقاب رب أورعى أن
أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعن والديّ وأن أعمل صالحاً برصاه وأدخلني

رحمتك في عبادك الصالحين) " يستطرد إلى ذكر صحت الأنبياء فيقول
 قل أكثر صحت الأنبياء تبسم
 وقيل معي صاحبك متبسم
 وقيل : كان أوله التسم وآخره الضم
 وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت نبي ﷺ - مستحماً قط
 صاحبكاً حتى أرى منه هوانه ، وإنما كان يتسم .

عاج منه

قال تعالى (وما نحن أولاء ونسخي رب وما أرسناك إلا مشر ومدير
 فرماه لتقرأه على الناس على مكث وبرلناه تنزيلاً)
 وما نحن أولاء ونسخي قول يعنى أنا ما أردنا بإزاد القرآن إلا تقريره معنى .
 في أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أرسنا نقرآن إلا الحق
 لمقتضى لإبره . وما رب إلا مستأسخو لاشباه على الهداية إلى كل خير وما
 أرسناك إلا مشراً : يعنى بالحنة للمطيعين
 ومدير أى بحوقاً بالبار للعاصين
 فونه عروحل (وقرآنا فرقاه أى فصلناه وبيناه . وقيل فرماه به بين الحق
 والباطل . وقيل معناه أنناه بحونا لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى :
 (لتقرأه على الناس على مكث) أى على تودة . وترسل في ثلاث وعشرين مرة
 وبرلناه تنزيلاً أى على حسب الخواص

قال تعالى

الحمد لله الذى أمر على عبده كتاب وم يجعل له عوجاً . فيما ليدير بأش
 شديداً من لدنه ويشتر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن هم حراً حسناً . ما كثرين
 فيه أنداء . ويدير الذين قدوا أحد الله ولداً ما هم به من علم ولا لأبائهم كبر

كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً^(١)

قوله عز وجل الحمد لله الذي أرسل على عبده الكتاب أنبي الله سبحانه وتعالى على نفسه بإيمانه عن خلقه ، وعم عبده كيف شؤن عنه ويحمدونه على أنزل بعائنه عليهم وهي لإسلام وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب لدى هو سبب نجاتهم وفورهم ، وخص رسوله ﷺ - ذلك ذكر ، لأن إزال بقرآن كان بعبدة عليه على الخصوص وعلى صائر لناس على العموم ولم يحسن له عوجاً .

أي لم يجعل به شتاً من العوج قط ، والعوج في معاني كالعوج في الأعيان ، ولورد في الاختلاف ولناقص عن معانيه ، وقيل معناه لم يجعله مخلوقاً روى عن ابن عباس في قوله تعالى (وآنا عربياً غير ذي عوج) قال . غير مخلوق

قيماً أي مستقيماً ، وقال ابن عباس عدلاً ، وقيل قيماً عن الكتب كلها مصداقاً لها وناسخاً لشرائعها .

ليُنذر بأساً شديداً معناه لينذر لدين كفروا بأساً شديداً ، وهو قوله سبحانه وتعالى (بعذاب بئيس) لأعراف ١٦٥

من لديه أي من عبده وبشر المؤمنين دين يعمون لصلوات أن لهم أحراً حسناً - يعني لحنه . ما كثر فيه : أي مقيم فيه أنداً ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم أي بالولد باتخاذ - يعني أن فولهم لم يصدر عن علم ، بل عن جهل مضطرب فبقت اتحاد الله ولداً في نفسه محب فكيف قيل ما لهم به من علم اقلت انتهاء نعم قد يكون للجهن بالصريق الموصل إليه . وقد يكون في نفسه محالاً لا يستقيم تحقق العلم به ولا لآبائهم أي ولا لأسلافهم من قبل كبرت عظمت .

كلمة تخرج من أفواههم - أي هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقوبهم وفكرهم

أثبتة لكونه في غاية الفساد ونظلائه فكأنه يجري على سائرهم على سبيل
التقليد

إن يقولون إلا كذاً ، أى ما يقولون إلا كذاً

٤ - الشيخ طنطاوى جوهرى

الشيخ طنطاوى جوهرى علم من أعلام المعرفة الإسلامية في العصر الحديث
ولد في قرية كفر عوض الله بحجازى مديرية الشرقية سنة سبع وثمانين ومائتين
وألف ، وشأناً عاديه في أسرته ، ثم تعلم مبادئ العلم في كنف بلدة (العار) ،
وأشهر بحودة لحفظ والدكاه المعرط وسديهة الحصرة وساعده ذلك على
الالتحاق بالجامع الأزهر ، وبنى العلم على مشاهير علماء عصره ثم استكمل
دراساته في دار العلوم ، وتخرج منها سنة عشر وثمانمائة وألف وعين مدرساً بمدرسة
دمهور ، ثم بالمدارس الابتدائية ، ثم بدار العلوم ثم ، بالمعتمدين بالقاهرة ، ثم
بالخديوية وتعلم الإنجليزية وهو مدرس بها ، ثم اشتغل مدرساً بالجامعة المصرية
وكان له نشاط ديني واجتماعي كبير ، ورأس جمعية النهضة الإسلامية ،
واشتغل بالعلم ، الأدب والفلسفة والتفسير والتأليف ، وأظهر قصته في عصره وفيما بعد
عصره إلى الآن

ولقد تحدث عن نفسه في مقدمة تفسيره فقال :

أما بعد فإن حقت معرفتي بالعجائب الكونية ، معجناً بالسنائع الطبيعية ، مشوقاً
إلى ما في السماء من حجاب ، وما في الأرض من سماء وكمال ، آداب بياب ، وعزوب
بهراب شمس بدور ، وبدر يسير ، وبحم يطير ، ووحش يسير ، وأنعام تسير ،
وحياوان يجرى ، مرجان ودر ، وموج يمر ، وصعاء في محارف الأحواء وليل ذاح ،
وسراج ودهج ، وكتاب من العجائب مسطور ، في لوح طبيعة مشور ، وسقف
مرهوع
وتحدث لشيخ عن طفولته في تفسير سورة يوسف وكيف تأمل في المجتمع من

حولہ ؟ وقار بن محمد الربیع و ابن مصری و ابن لمختمع العربی المتقدم ، و کیف برعت نفسه إلى بحث لعموم لی سبب فی ذلك ، و الوصول لی طریق الخلاص من هذا التأخر و الاتصال إلى عالم الحصار و المذیبة .

و كانت مؤلفاته أربع تعیر عن بحیش به نفسه ، و كانت بوحیها حیاً إلى الحصار المذیبة و الروحیة علی أساس من المذیبة ، و بطلافاً من مبادئه ، و من مؤلفاته

١ - الأرواح .

٢ - أصل لعدم

٣ - ابن الإنسان

٤ - التاج المرصع بخواهر القرآن

٥ - حجاب عالم

٦ - الفرائد الجوهریة فی انطریق الحویة

و أظهر مؤلفاته هو تفسیره لکثیر الذی جمع خلاصة مؤلفاته فی م یکس کتبا ، و صار کما قبل ' « کل الصد فی حوف الفراء »

و لم یقتصر نشاط شیخ طبطاوی علی العالم العربی ، بعد تعدده إلى مختلف الأقطار الإسلامیة و ترجمت کتبه إلى اللغة هندیة (الأوردیه) ، و إلى لغة مصریة بالبلاد بروسیة ، و إلى لغة حارة ، و غیرها ، و دأبت شهرته فی کثیر من الأقطار

و من طریف ما یعلق به ما ذکرته مجلة در العلوم ، عن أهل بركستان عندما سقوا استقلالاً تاماً ، و أقاموا جمهریة إسلامیة ، و أشقوا المدارس و الجامعات ، و تفقرو علی أن یسموها باسم شیخ طبطاوی جوهری و أصبحت جامعة طبطاویة ، و مدرس جوهریة ، و ألف رعاؤهم و عباؤهم کتباً فی لغتهم یتدرسون هذه الجامعات باسم الشیخ ، مثل کتاب العقائد الجوهریة ، و نحوه ، لأنه فی عقیدتهم حجة الشرق و فیلسوف الإسلام

و لعل هذا یعصیا صورة صادقة عن لشیخ و نشاطه العظمی و الذی احتار حدود المكاب کما احاز حدود الرمان

وقد عمر أكثر من سبعين عاماً . وولاه الأجل بعد حياة علمية حافلة ، في سنة
تسع وخمسين وثمانمائة وألف
رحمه الله رحمة واسعة

تفسيره .

سمى الشيخ طنطاوى جوهرى تفسيره خواهر فى تفسير القرآن الكريم .
لشتمل على عجائب بدائع المكونات ، وعرائث الآيات الباهرات .
وقد ابتدأه وهو مدرس بمدرسة دار العلوم فى نحو سنة ثمان وعشرين وثمانمائة
وألف من المحررة . فكان يلقى تفسير بعض الآيات على طلبة دار العلوم ، ويشره
محللة الملاحى عباسية . ثم استجمع همته لاستكمال التفسير ، فأنه فى اليوم
الحادى وعشرين من شهر المحرم سنة أربع وأربعين وثمانمائة وألف ، بعد أن استغرق
تأليفه ما يناهز ست عشرة سنة .

وحاء تفسيراً حافلاً كبير الحجم واسع الأفق ، استغرق حملاً وعشرين جزءاً
يباهر كل جزء منها ما يقرب من ثمانمائة صحيفة من القبط الكبير بحروف صغيرة
وطبع هذا التفسير أكثر من مرة ، وبعد أن فرغ منه كتب متحفاً له طبع فى جزء
مستقل

ويتحدث الشيخ طنطاوى فى مقدمة تفسيره عن الخلف الذى روى إليه من هذا
المجهود العلمى القدير يقول

وإلى على حياء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين ، وينح على يد هذا لتفسير
المسلمون ، ولتقرآن فى مشارق الأرض ومعاربها مقروناً باقبول وليولع
باعتنائهم السماوية وسدائع الأرضه الشرب الموحدون ، ونيكوس داعياً حثيثاً على
درس العلوم النبوية والسفوية ، وليقوم من هذه الأمة من يفوق بمرحلة فى الزراعة
والطب والمعادن والحساب وهندسة وتمدث وغيرها من العلوم والصناعات كيف
لا ؟ وفى الفرفر من آيات العلوم ما يريد على خمسين ومسمائة ، فيما لا تريد آيات
الفقه الصريحة عن مائة وخمسين آية

ولكن لتفسير لم يقتصر على لدحة العصبه المادية وتنسيط أسومب وتقريب قدر
بطاقة .

لقد وضع فيه - كما يقول - ما يحتاج إليه المسلم من الأحكام والأخلاق ثم عبر
في ثقة عن شعوره وهو يقول أيضاً :

وتعبر أيها القاص أن هذا التفسير صفحة رياضية وإشارة قدسية وبشارة رمزية .
أمرت بهذا بطريق الإلهام ، وأنفت أن له شأنًا سيعرفه الخلق وسيكون من أهم
أسباب رقي المستضعفين في لأرض (ويبصر الله من يصرفه رب الله لقوى
عزيز) (١)

ولقد ألف شيخنا تفسيره في فترة كان فيها الاستعمار ، وكان الجهل ، وكان
الفقر . ورأى الشيخ أن الجماهير المتدنية في حاجة إلى الإصلاح ، وإلى قبله بسرعته
وعن اقتناع ، ورأى أن الدين هو الطريق الوحيد لذلك فسلكت هذا الطريق .
ورأى لشيخ تفرق المسلمين ، ورأى هذا التفرق أساه ، ومن أهمها الجهل
بالدين ، وعمدى صلته بالحياة ، وارتباطه بها

ورأى الشيخ أن خير طريق توحيد المسلمين وتحقيق الإصلاح المنشود هو التوعية
بدينية عن طريق العلم ، أو التوعية العلمية عن طريق الدين ، وسار في هذا الطريق
بإصرار عجيب وعزيمة عربية

وحركة إصلاحية عمدة كالتي قام بها الشيخ طنطاوى في تفسيره لا تخلو من
الأخطاء ولقد تعرض الشيخ في تفسيره للقدح والبعير حتى - واصطرق كثير من
المواطر إلى الرد بنائر والتنديا عن يتقدونه . ويرون أن مسحة في التفسير ليس هو
المسح الملائم .

ومما لا شك فيه أن بية الشيخ في التفسير ، هي بية الرجل المحب لوطه (ووطه
هو العالم الإسلامي كله) ولدى يرى أن هذا النوص في حاجة إلى التعرف على العلوم
الكوبية وعلوم التربية وآراء العربيين في كثير من هذه الواحي . فاستفاص فيها
استفاصه خرجت به عن الأسلوب الذي يعود به الناس في التفسير ، حتى لقد وصفه

بعض بأنه كتاب طبعه وكلماء وفلك وتريه أكثر مما هو كتاب تفسير ومن أجل ذلك سمعت بعض الدول دخوله في بلادها ونقده كثير من العلماء وما من شك في أن المؤلف قد استورد استطرادات كثيرة في موضع متعددة لا تمت بصلة إلى التفسير ، كما استخرج كثيراً من علوم لقرآن بحسب الحاصل ، وهي طريقة غير معتادة في التفسير ، وأكثر من الحديث عن نفسه فيه حديثاً للقراء ورد على الأعداء ، وتلك طريقة غير متبوعة في الكتاب

ومع ذلك فإن كتابه فيه التفسير التفصيلي البطيء ، إنه يقسم سورة أقساماً ثم يذكر الآيات التي شملها قسم معين ، ويشرحها تفسيراً تفصيلاً محصوراً بطيف يدل على تمكن ومعرفة بصور التفسير ، ويصوب بعد ذلك في عونه لمشعة في شتى المجالات ولو اقتطع هذا التفسير التفصيلي من مؤلفه لكان تفسيراً لطيفاً حافلاً بأحد مكانة عالية بين التفسير

كان الشيخ في تفسيره عادياً دينياً إلى جانب شغفه بالعلوم الكونية وأفاد في الأولى ، كما أفاد في الأخرى

نماذج منه

ولكي نقدم نماذج من هذا التفسير سنتقى بعض الآيات الكونية ، وبعض الآيات الاجتماعية والأخلاقية لتتكشف لنا معالم هذا التفسير

(١) قال تعالى

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والحيات التي تجري في البحار وما يسمع من السمع من الماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)^(١)

يهور شيخ في تفسيره لهذا شرح هذه الآية في كتاب (تاح المصنع) وأنا كيف أناب نظام العالم لعبود والسفلى وارتباطها وعاشقتها ؟ وكيف بدأ بالبحث

وثي يعلم الطبيعة ، وجعلها منظمة كإنسان واحد وحيوان واحد ونبات واحد ،
فترى كل كائن مستمداً من سواه

ثم يحدث عن اختلاف الليل والنهار تبعاً لحركة الشمس ، واختلاف الحرارة
وباردة والرياح فتساقط الأمطار من السماء تبعاً لوامس الحرارة والبرودة
للمسافرين للناموس الأتلاك ، وسير الشمس في التروج ، فتشأ بممالك السمات
والحيوان والإنسان من ذلك الماء ، وتهب الرياح فتسير السحب كما تسير السحب ،
ويكن قوين في سيره فالسفن لا تتجاوز ما رسم للملاحون في سومهم من الخطوط
البحرية ، والسحب لا تتعدى طريقها المرسوم بالقوين الطسعه رحمه بالناس
وهذه جميعه مرتبطة بالعبويات وكيف تسير السحب إلا بالقوين البحرية
المستخرجة من علم الأفلاك ، ومراقبة لأصول والعروض والسحوم وسير الشمس
وقانون العنطسية ونحو ذلك ؟

ثم صور تناط هذه بقوانين جدول ، وقال : ذلك بهيد ناسق انعام ككرة
وحدة وشكلاً وهداً يسمد الأسس من الأعلى ، وبعد لأعلى الأسفل ، وبين أن
هذا لتناسق والاستخدام في عبادان على أن يبع العالم لأخروي على هذا النمط
ثم عقد مقترنة بين دورات الرياح وحركات مياه ودور الشمس والكواكب
وبين دوراتهم في أجسامها ، واستخلص نتيجة هامة وهي أن العام كإنسان
وحد وحيوان واحد له رأس وعصاه رئيسيه ومروسة (ما خلقكم ولا بشكم إلا
كنفس واحدة)^(١) وكم أن للحصم مديراً وهداً فإن للعام بارتباط أحراره واسمداً
بعضها من بعض مديراً وهداً وب عليه قوله تعالى (ويحكم به واحد)^(٢)
واستفاد بعد ذلك في إسهاب يتحدث عن اختلاف الليل والنهار ودرجات
التمارب سها ، وعقد حدوداً لذلك وقام بشرحه ، وصرب أمثلة عليه ربادة في
التوضيح

و تنقل من تعلم إلى سياسة ودرسات الاجتماعات نتحدث عن انه كما
يختلف الليل والنهار بالزبد و قصص تختلف الدول بالرفعه والعفة

وتحدث عن كتاب حطى سِر أن التقاليد انصربه في الكشف الخلدت قديمة
يرجع تاريخها إلى ما قبل ثلاثين قرناً فأكثر . وتحدث عن السم وأواعها وعن
السمك وأصنافه . وقارن بينهما . وتحدث عن كثير من مسائل الكيمياء العصور في
سبات . وقارن بين نباتات وحيوانات بحرية . وعن المادة وساطة أصلها ومعقدتها
وبعدد ثواب . وعن أصل المادة واختلاف العناصر في ذلك ثم ذكر أصنافاً متعددة
من النباتات والحيوانات موضحاً لها رسوم مشيرة إلى عجائب مشيرة في عماد معية
من كلا النوعين . وتحدث عن السموم وروائح السم الحار والقيوى الكهربائية
المتولدة عن الطقة الكايبكيه التي تحرك الآلات بسرعة ، وقد تسبب عن اندلاع
النار كما في مد أسوان

وسمعت هذه الرحلة المدهشة عشرين صفحة كاملة
وهدى يدي رحلته بغير لفظ مسط فيه كثير من الوضوح

(ب) سورة يوسف

قسم السورة إلى ستة أقسام

١ رؤيا

٢ بدء إخوة يوسف به

٣ قصه في بيت العزيز

٤ سجن يوسف عنه السلام

٥ عظيمه الخرش مصر

٦ حاتم السورة وحكمها وعجائب . وفي هذه الحاتم ذكر الآيات من قوله
بعاني (ورفع أنبيه على لعرش وحرروا له سجد) وقال يا أبا هذا تأويل رؤياي من
قبل قد جعلها في حقا وقد أحسن في إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من لدو
من بعد أن برع الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم
الحكيم (^(١)) إلى آخر السورة

(١) سورة يوسف آية ١٠٠ .

التفسير اللفظي

ورفع يديه على العرش السرير لدى كان يجلس عليه يوسف وارتفع النقل إلى أعلى .

وحروا به سجداً : أى يعقوب وأمه وإخوانه ، وهل حالته لموت أمه ، وكانت نحية القوم إذ ذاك السجود وهو لاجئاً والتواضع
وقال يا أنت هذا تأويل رؤياي من قبل إلى رأيي في أيام لصا قد جعلها
ربي حقاً : صدقاً

وقد أحس بي إذ أخرجني من السجن وأعرض عن ذكر الحب لئلا يكون
ثرباً عليهم

وحاءكم من الدو من ناديه . لأنهم كانوا أصحاب مواش يتقنون بها إلى
لبه والملاحم

من بعد أن رجع الشيطان بي وبين حوى أى أفسد بينه وأعزى يقال رجع
الرائض الدابة إذا بحسها وحملاها على أخرى .

إلى ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير ، فلا صعب إلا وانه فيه تدبير بعد هذه
مشيئته

إله هو العلم ، بوجوه المصالح والتدبير .

الحكيم - الذى يفعل كل شيء في وقته يقال

إلى يوسف طاف بأبيه في حرائه فلما أدخه حراة القراصس (١) قال يا بى

ما أعفقت ! عندك هذه القراصيس وما كتب إلى ؟ قال مررت بحبريل : قال

أوما تسأله ؟ قال : أنت أبسط منى إليه فاسأله . فقال حبريل الله أمرنى بذلك

لقولك (وأحاف أن يأكله الدئب) ، قال (٢) : فهلا خففتنى !

البحوث حول الآيات

أما ما استقص منه المفسر من البحوث حول نفسه لأحير من السورة فهي .
تتناول رؤيا يوسف ، ورؤيا الملك ثم هو يذكر حانه في طفولته (بروعه إلى تعبير
حاله المجتمع في عصره ، وبشير إلى ما ذكره عن ذلك في كتابه (التاح ابرصع) ،
ثم يذكر أنه أوضح في كتابه (أين الإنسان؟) كيف يكون لعالم أسرة واحدة ؟ ثم
يقول من كتابه (المذكرات في أدبيات اللغة العربية) قطعة في اللاعة والاعتبار
بالقصص عند العرب . ويوارى ذلك بقوة تعالى (فان هل آسكم عليه إلا كما
أمسكم على أخيه من قبل) (١) .

ثم تحدث عن العالم العلوي والسفلي ، وعن الدنيا والآخرة ، وعن الجسم
وارواح . وسبع ذلك الحديث عن مقصد الدعاء والثناء في دين الإسلام ، وعن
بحث جمع أنواع العادات لهمم في العلوم كوكبية والمادية وأنها طريق الدنيا
والآخرة

ثم تحدث باستفاضة عن كوكب الشمس ، وشكا تأخر المسمين . وعدم
كشفهم لألوان العلوم التي يشير إليها القرآن
وتحدث عن العطف لإلهي في أسبوع عبد ليس ، وكيف جمعت قصة
يوسف سياحة النفس ، وسيد المنزل ، وساسة المدينة ؟
ثم بين كيف كشف الله تعالى لبيه ﷺ حقايا لعيب في هذه السورة ، وتحدث
عن علم البدر وكيف تنفت ، وعن فكرة اكتشافها ومصدر التقدم في دراستها ،
وعبر ذلك !

وحتم الحديث عن هذه النعائف كما يسميها - بالحديث عن تفسير المسمين
في شأن هذه السورة ، وقد جاء في أول السورة (تلك آيات الكتاب) وفي
آخرها (آيات الأرض والسماء) وقد دم الله المعربين عن الآس فيدا حللها
الآات في سورة يوسف وعرف معانيها ، وحللها ألماظها واستفاد فوائدها -

بالعمل ، ولم يسه الاشتغال بالتعلم عن التكسب بالتحارة ، فاستغنى عن الحكام
والموسرين ، واكتفى بعبثة النقشف ، وأخلص للعلم حق الإخلاص
عرص عليه القصاء الأكبر ، فتعفف عنه ، وكان كثير من أسلافه يرفضون
لقضاء تورعا ونرها عن أن يحكموا حكما لا يرضى الله سبحانه وتعالى
وأتى إليه الكراء ، فعملهم معاملة عادية ، وعرض عن مد هتهم أو الترف
لهم ، بل واحهم عظامهم ، ووقف في وحوهم ، ووفى لرسالة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر حضا

اشتغل بالفقه والكلام والأصول والحج والمصنف وغيرها من العلوم الإسلامية
وامتاز بهم عجب صادق

ومن طريف ما يصفه به السابقون أنهم كانوا يقولون : إن دمه يُحرق الناس
يعون بذلك أن دمه حاد يعاد حتى إنه لو توجه إلى مس حرقه ١ وأنه ينفذ إلى
دقائق المسائل ، فيصل إلى حل ما تعقد منها .

وكان يعتمد على الفهم ، ولم يك يستطيع الخط
وكان يقول عن نفسه : (إن فهمه لا يقل الخطأ)
ولقد صاحبه التوفيق في مؤلفاته ، ومارت بالاختصار والتحرير والتفيع
وانتقاء العبارة وعودة العرض حتى حدثت الناس إنيها ودفعهم إلى الإقبال عليها .
ومن هذه المؤلفات :

كتاب شرح جمع الخوامع في أصول الفقه
وكتاب شرح المهاج في فقه الشافعية
وكتاب شرح الورقات في أصول الفقه
وتوفى رحمه الله وهو مؤلف تفسيره للقرآن الكريم ، هذا التفسير الذي قام
بإكماله تلميذه البارر الحلال السيوطي

٢ والحلال السيوطي يعتبر من أبرز رجال عصره من العلماء ، وهو الإمام
أبو الفضل حلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي
نسبة إلى أسوط .

وسرته أسرته كريمة ذات عزم وفصل توفي والده وهو في السادسة من عمره .
 وشأ يتيماً ، ولكن معالم الحياة ظهرت عليه من صغره . فحفظ القرآن ونوجه إلى
 تحصيل العلم من علماء عصره ، وذكر من شيوخه حمسون شيخاً من أعلام
 العلماء .

وقد انصح انتفاعاً لاحد له بالمكتبة المحمودية ، وكانت عامرة بالكتب النفيسة .
 وانتدأ التأليف وسه لا تحاور سبع عشرة سنة . وفي في من الثانية والعشرين .
 وأملى الحديث في من الثالثة والعشرين .

وعلى سه العلماء مسارين رحل إلى كثير الأقطار منها الشام وخراسان
 ولحد والمغرب ، فصلا عن لطواف شتى أنحاء انقطر للمصري وشرب ماء مرم
 قاصداً أن يصل في العلم إلى مراتب شيوخه لتحصيل السيرين كل في هه متاعاً
 لقول الرسول ﷺ (ماء مرم لما شرب له)

وكان استوطى جامعاً لكثير من العلوم والمعارف الدينية وسجوة كالتفسير
 والحديث وفقه والحج والسلاعة ، ووصل فيها إلى مرتبة أهله بتأليف بكثرة
 وعزارة ، يقول عن نفسه : (ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصصاً بأقوالها وأدلتها
 النقلة وانقاساة ومدركها ونقوصها وأحوتها والمورنة بين اختلاف لمذهبها
 لقدرت على ذلك من فصل الله لا يحول وقوتى)

وقد بدأ السيوطى الكناية ملخصاً ومختصراً ، ثم انتهى أمره إلى الاستقلال في
 التأليف إلا أن مسج اسقى يطلب عليه ، لأنه في نظره حاش مأمون

وحياته تمثل حياة العالم في صورها السامية ، لقد تفرغ للعلم وعكف عليه ، وم
 يشغله عه شاعل ، كان لعلم شعاره في الصباح وفي المساء ، وكان شعاره في النوم
 وبسطة ، ومن أجل ذلك كانت حبه حصه أثمرب ما يهرب من الحمساته
 مؤلفاً ، منها ما هو صغير لا يرد على صفحة أو صفحتين ، ومنها ما يسع عدة
 مجلدات

ومن أبرز كتبه .

١ - تفسيره الكبير المسمى (الدر المنثور في التفسير بالماثور)

٢ - كتاب (جمع خواص) و (الجامع الكبير) الذى حوى ما حصله من الحديث . وهو مرتب على حروف المعجم : ثم يسر سارله ولتعرف على ما فيه . وهو يعد عملاً تنوء به العصاة أولو القوة . وقد يسره الله تعالى له لذكركه القوية ولتنصحه الدقيق والاستعانة به بعض تلاميذه . فيما يندو فى الجمع والرتب

٣ - كتاب (صواب المنطق والكلام) وهو من أنفس كتبه وقد حققه أحياً

الدكتور على سامى البشار والسيدة سعد على عبد الرزق
ومن كتبه المشهورة أيضاً

كتاب (التلخيص المصنوعة فى الأحاديث المصنوعة)

وكتاب (الإنقاذ فى علوم القرآن)

وكتاب (تدريب الراوى فى علوم الحديث)

وبرهن على سعة طلاقه ورحمته أفقه فى فتاواه الكثيره حتى جمع بحمد طابعها
مها فى حرايين كثيرين بعنوان (لحوى)

ويؤخذ على التيسير المفرط فى النقل ، وكثرة استطراده فى مؤلفاته ، واعتقار
هذه المؤلفات إلى التهدب والتشفيح .

بدأ أن يراعه فى النقل سر له معرفة لكثير من الكتب التى كادت تندثر بولائه
حفظ ما أخرجه صحابة منها من ثناء كتبه ، وبولا ذلك ما عظمها عنها شيئاً
وكان يميل إلى الزهد والنبذ ، وله فيها مؤلفات وفتاوى كثيرة ودقيقة

وقد دأب فى سنة يوم الجمعة التاسع عشر من شهر جمادى الأولى سنة إحدى
عشرة وتسعين ، وصلى عليه الإمام بشارى . ودفن بالقاهرة
رحمه الله رحمة واسعة

تفسيرهما .

شرك فيه الشرح . وقامت الأقدار بدورها فى هذا لاشرى فقد أخذ
الخلل المحلى بعد تفسيراته . مستدثاً من أول سورة كهف حتى انتهى من سورة
الناس . ثم بدأ فى لصف الأول . فسر سورة الفحة لا أن لأهل واحد بعد

والذى يؤخذ على هذا التفسير أنه برغم حتمية اشتداد م يحل من بعض
 القصص التى لا أساس له من الموضوع لصحيحة . سقط ذلك في تفسير قوله
 تعالى من سورة ص (وهل تأك ما أخضم إذا تسوروا بحرب ، إذا دجنوا على داود
 فرغ منهم فلو لا أنحف حصص على بعض على بعض وحكم بسا بالحق ولا تشطط
 وأهدى إلى سواء لصرط . إن هذا حتى به تسع وتسعون بعجة وبى بعجة وحدة
 فقال أكهسيها وعزى فى الخطاب قال لقد طسك نسؤل بعحتك إلى معاده وإن
 كثير من الخطاء ليعنى بعضهم على بعض لا بد من أمه وعمه الصلوات وقبل
 ما هم ومن داود أتما فتاه واستعمر به وحررا كره وأب فعهربا به ذلك وإن له
 عدنا لزلنى وحس مآب)^(١)

قد ذكر أنها مكان جاء في صورة حصصى شبيه على ما وقع منه . وكان له
 تسع وتسعون امرأة ، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها ، وتزوجها ودخل بها
 وهذا التفسير للآيات الكريمة تفسير خاطئ لا أساس له من الصحة ولا سائر
 عصمة الأنبياء

وكذلك في تفسير قوله تعالى في سورة يوسف (وقد همت به وهم بها لولا
 أن رأى برهان ربه)^(٢) يقول (همت به) قصدت منه الخياح (وهم بها) قصد
 ذلك . (لولا أن رأى برهان ربه) قال ابن عباس : مثل له يعقوب فصر صدره
 فخرحت شهوته من أمه وحزب لولا . . . الخامعها

وهو تفسير خاطئ يجرى سبدا يوسف عليه السلام من أى مقاومة نحوه امرأة
 تعرض نفسها عنه . ولتفسير الذى ساءب الأساس ينبى وعصمة النساء هو
 ما قاله المفسر الحبل أبو السعود المراد هم يدفعها عن نفسه ، ومنعها عن ذلك
 نقيض

مما ذبح منه .

قال تعالى .

(فلولاً كان من القروب من قبلكم أولو بقية سهو عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ^(١))
(فلولاً) فهلاً (كان من القروب) الأمم الذصبة .

(من قبلكم أولو بقية) أصحاب دين وفصل (سهو عن الفساد في الأرض)
لمواد به لى أى ما كان همم ذلك (إلا) لكن (قليلاً ممن أنجينا منهم) هو
هتجوا ومن لنبال

(واتبع الذين ظلموا) بفساد وترأى لى (ما أترفوا) نعموا (فيه وكانوا
مجرمين وما كان ربك ليهلك قرى بظلم) منه ما (وأهلها مصلحون) مؤمنون
قال تعالى

(الر تلك آيات الكتاب المبين يا أرنلاه قرآنا عربيا لعلكم تعقون عن
نقص عيبك أحسن القصص يا وحيه إليك هد القرآن وإن كنت من قسده لى
العاهين ^(٢))

الر : الله أعلم بمراده بذلك

تلك . هذه الآيات

آيات الكتاب . القرآن ، والإصافة بمعنى من

المبين . المظهر للحق من الباطل

أنا أنزلده قرآنا عربيا طعة العرب .

لعلكم بأهل مكة

(١) سورة هود آيتا ١١٦ ، ١١٧

(٢) سورة يوسف الآيات ١ ، ٢

تَعْقِلُونَ تَفْهَمُونَ مَعَانِيَهُ

عن قصص عبيدك أحسن القصص كما أوجبنا إنك هذا القرآن وإن *
 محمداً أي وبيده

كنت من قسه لمن لعافين

الفضل الخامس

(اقرأ باسم ربك الذي خلق)

المنهج القرآني لحياة المسلم

عن عائشة أم المؤمنين لما رآه يحرق سحارى وغيره أنها قالت
 أو مبدئ به سوب الله ﷺ من لوحى

برؤيا الصالحة في اليوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح
 ثم حب إليه الخلاء وكان عمو يعار حراء ، فسحبت فيه (بتعبيد) البياض دهت
 العدد من أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى حديجة فيتزود مثلهما حتى
 حاءه الحق وهو في عار حراء وجاءه الملك ، فقال : اقرأ ما نرى ،
 قال فأحلى ففعل حتى بلغ من الجهد ، ثم أرسلني فقال اقرأ ، فقلت ما
 أنا بذي : فأحلى فعطى الناقة حتى بلغ من الجهد ، ثم أرسلني فقال اقرأ ،
 فقلت ما أنا بذي : فأحلى وعطى ثالثة ثم أرسلني فقال : (اقرأ باسم ربك
 الذي خلق - خلق الإنسان من علق - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ر علم
 الإنسان ما لم يعلم) (١)

فرجع - رسول الله ﷺ يرحف فواده - فدخل على حديجة بنت خويلد رضى
 الله عنها ، فقال : ملوني مبنون ، فرموه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لحديجة ،
 وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ! فقالت حديجة : كلا والله ما يخربك الله
 أمراً : إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف ،
 وتعين على نوائب الحق

ثم انصرفت به حديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عبد
 حديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من
 الإنجيل بما يعر به ما شاء الله أن يكتب ، وكان شجاعاً كثيراً قد عمي فقالت له
 حديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك - فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟
 فأخبره رصون الله ﷺ حرم ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على

(١) سورة العلق الآيات ١ - ٥

موسى ، يايتنى فيها حدع ليتنى أكون حياً إذ يحركك قومك فقال رسول الله ﷺ أو يحرقني هم ؟ قال نعم . لم يأت رجل قط مثل ما حثت به إلا عودى .
وبن يدركنى يومك أنصرك نصرأ مؤزراً

هذه الليلة المباركة هي التي سماها الله ليلة القدر ، فقال سبحانه وتعالى (يا
أزلهاء في ليلة القدر) القدر ١/

ثم أخذ الله سبحانه وتعالى يبين فضلها فقال .

(وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر حير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح
فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) القدر ٢/ هـ
ووصفها الله بأنها مباركة ، فقال سبحانه وتعالى (حم . والكتب بين .
أزلهاء ليلة مباركة ، يا كذا مدرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، أمراً من عندنا
كما مرسلين ، رحمة من ربك إنه هو سميع العلم ، رب السموات والأرض
وما بينهما إن كنتم موقنين ، لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم
الأولين)^(١)

عن هذه الليلة المباركة نأخذ في حديث متدين نأسمى أحدها ، ونسبى هذه
الأحداث هو الوحي الذي يتمثل في قوله تعالى (اقر باسم ربك الذي خلق)
وهذه المادة الأولى من الدستور الاسلامي عمة بالمعاني ، ثرية بالترحيبات
ومعانيها وتوحيدها ليست آتية من ألفاظها محسب . وإنما هي آتية أبصاً من الحو
سام الذي تشير إليه أو احدى توحى به . فهي تشدئ أولاً بكلمة قرأ
بها تأمر بالقراءة التي هي من أهم وسائل العلم والمعرفة إن لم تكن أهمها ،
ويسم لإسلام لأول لحظة رمية من حبه ولأول كلمة فيه سمة العلم ، وتتوالى
بعد ذلك الآيات موصحة ومؤكدة هذه السمة حذله منها ضاعاً وشعاراً
وإذ كانت الآيات الأولى التي برلت من القرآن في اللبنة المباركة قد أمرت
بالقراءة مرتين ، وذكرت مادة العلم ثلاث مرات ، وذكرت القلم فإن الآيات التي
برلت بعد ذلك بدأت بحرف من حروف الهجاء هـ و . وتصعدت أول قسم أقسم

به الله سبحانه في نقرآن ، وكان هذا القسم بأنهم (ب) والقسم وما يسطرون (القسم ١) .

ثم تنون آيات القرآنية في فصل لعلم ، وفي الحث على التعلم وفي تحييد العلماء

لقد أمر رسول الله ﷺ أن يلحق بـ الله متضرعاً داعياً أن يريده الله عبداً

(وقل رب زدني علماً) طه / ١١٤

وهذا اندعاء لدى يتجه به الرسول ﷺ إله الله أي هو من أروع الأمثلة في البرية . ودينك أنه صادر من الإنسان بكامل أنه صادر من رسول الله أكمل ترسل بين الأمة أن الإنسان مهما بلغت به شجرة ينقصه الارتداد من العلم ، وإدراك كان رسول أكمل محنوقات برحو أن يريده الله عبداً فما دلت أن فرد الأمة ، ونظور رعيمة تكبره وتخله وتقدس به على في صراحة لا يس فيها أنه مارب ولن يرب بحاجة إلى زيادة في العلم ، أنه يدفع الأمة بذلك الأمة التي تهديه - إلى سبر على مواله . فترجو أن يزيدها الله علماً

أما عز هؤلاء الذين سمو بأنفسهم عن مستوى عبادة فتقف وتعلموا فإن الله سبحانه وتعالى يقو عنهم مشجعاً وحداً (يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين آمنوا منكم) العلم درجت) ، اتحادله ١١١

وإن نسي شيء في حناه من غير شك أي هو الإيمان به في المرحلة المطلقة من سمو ويأتي مع الإيمان ، تالياً للإيمان مباشرة لعلم

وعلم في سطره الإسلامية من وسائل تثبت الإيمان ، وريادته وتقوته . ذلك أن علماء في أعرف لاسلامه هم أشد من خشية لله سبحانه . يقول تعالى

(إيماناً يخشى الله من عباده العلماء) . طه / ٢٨

ولا يصل دروة لإيمان الدروة المطلقة من نبي آدم إلا العلماء إن الله سبحانه وتعالى يرفعهم به وعلا تكتنه في شهادته لوحيد ، وشهادته لتوحيد في دروة مقام الإيمان إن : أشهد أن لا إله إلا الله هي قمة لإيمان وهذه القمة لا يرقى

إليها إلا لعلماء يقول سبحانه (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) آل عمران / ١٨

هذه هي لطره القرآنة بعلم الذي اتسم به للإسلام منذ «قرأ»
وقد بطل بعض الناس أن العلم الذي عبده القرآن إنما هو العلم بالدين وحسب ،
وبين الأمر كذلك فإن الله سبحانه وتعالى حيناً ذكر آل العلماء هم الذين يحشون الله
أحاط الآله بقرآنيه نحو يجمع أن تحدد بعلم ما علم ما ينبغي فقط يقول سبحانه (لم
مر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلف ألوانها ومن خضار جديد
بعض وحمر مختلف ألوانها وعرايب سود . ومن أسود والدوب والأعنام مختلف
ألوانه كذلك إنما يحشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور) فاطر . ٢٧ - ٢٨

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد من علينا بأن سحرنا سحر والأشجار والحيات
وسحر لنا الشمس والقمر والكواكب ، لقد سحر لنا الأرض والسماء وما بين
لأرض والسماء أي أنه سحرنا بكون كنه وهذا لا متنا من الله سبحانه
وتعالى عبنا لتسحيره إنما هو من أجل أن يصل إلى البصيرة عبيدنا اكتشاف القوانين
تحت وضعها لله سبحانه وتعالى لتسحيره يقول سبحانه (الله الذي خلق السموات
والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسحر لكم الفلك
لتجري في سحر بأمره وسحر لكم الأشجار ، وسحر لكم الشمس والقمر دائرين
وسحر لكم الليل والنهار) ٣٢ - ٣٣ إبراهيم

وقال تعالى (ثم ترؤأ الله سحر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسمع
عليكم نغمه صاخرة وضعة ومن ليس من يحد في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب
مبين) ٢٠ لقمان

وقال تعالى (ثم ترؤأ الله سحر لكم ما في الأرض والفلك تجري في السحر بأمره
ويعسى السماء أن تنقع على الأرض إلا يديه إن الله بالناس لرؤوف رحيم) الحج ٦٥
وقال تعالى (الله الذي سحر لكم البحر لتجري فبكت فيه بأمره وتنتعز من
قصده ولعنكم تشكروا وسحر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن
في ذلك لآيات تقوم بصكروا) ١٢ ١٣ الحاشية

إن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان بخلافه الأرضية . ومسحه بعقل
يكشف به ما يبغى له هذه الخلافة في عالم مادي . العالم مخسوس وقد سيرهد
العالم المادي نواميس محكمه مطروده . وعلى الإنسان أن يكشف هذه النواميس ،
ليطوع لكونه ، وعليه أن يكشف هذه النواميس كمظاهر لعظمة الله وحلاله
فتكون من اسباب خشيته سبحانه

إن عالم التشريع يرى الدهر في الصبح والإحكام في الكون ، ويرى هد
الإبداع الدج في تركيب الإنسان والحيوان والنبات . فيحرر ساجد المدع العام
الذي أحسن كل شيء صنعا . وب عالم لعلك شاهد تمرصده وتتصور بدهمه هذه
اسعة اشاسمه اسهله في تصورهما . ويعلم أن كل صغير وكبير فيها يسير في تقدير
دقيق (لا الشمس يسعى لها أن تدرك ثمر ولا الليل سابق النهار وكل في ذلك
سبحون)^(١) . يرى ذلك فيحرر ساجد المدع . ويردد مع لمرآة المكرم .
(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز العفور . الذي خلق سبع سموات طاقاً متزوي
في خلق الرحم من تعاون فارجمع انصر هل نرى من فطور ، ثم ارجع انصر
كرتين ينقلب إليك النصر حاسماً وهو حسي)^(٢)

أرأت أن عرو انصاء والوصول إلى لكو ك . وكشف نواميس نكو في
عرو اسجار وعلى من حمار . وفي محلات لحو . إن كل ذلك في لأعراف
لإسلامية لصادقة واحب على المسلمين . وبه من سوء الفصد أن شيع مشيع أن
لإسلام يعارض عرو انصاء ووصول إلى الكواكب . إن لإسلام على العكس
يوحب كل ذلك على لأمه لإسلامه التي حب لله ورسوله أن نكو أقوى أمه في
العالم حتى تؤدي رساله لله التي كلعت دءه

ويعود هقول : لقد اتسم الإسلام بالعلم مد و اقراء .

وإذا كان القرآن قد وجه الأمة الإسلامية إلى نعم باب الرسول ﷺ وهو

(١) سورة يس آية ٤٠

(٢) سورة ملك الآيات ٤١

صورة قرايه كاملة - قد حث المسمين على العلم في تسليب شتى يقول صلوات الله وسلامه عليه « من سلك طريقاً يتبعه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، وإن العالم يستعصر له من السموات ومن في الأرض حتى الخيتان في الماء ، وفصل العالم على انعاند كفصل انقصر على سائر الكو كب ، وإن العبد ورثة الأساء ، وإن الأساء لم يورثوا دساراً ولا درهم ، بل ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (رواه أبو داود والترمذى)

ب. الاتجاه العلمى في الإسلام بدأ في صورة صريحة « اقرأ » ، وكفى « اقرأ » في الإسلام مشروطة بشرط يوجه للإسلام ويعتبه ، إنها ليست مطلقاً ، وإنما هي مقيدة بأن تكون « باسم ربك » وهذا يعبرق العلم في صورته الإسلامية عن العلم في صورته لأوربيه ، بل تفرق حصاره الإسلامية عن الحصاره الخديثة ، من تفرق حياه الإسلامية فيما يجب أن تكون علمه عن الحياه لأوربيه ، وذلك أن كل أمر من أمور المسلم يجب أن يكون : « باسم ربك » .

والعلم أنساً وبواعث يجب أن يكون « باسم ربك » والعلم هدف وغايات يجب أن يكون « باسم ربك » ، يجب أن يكون العلم في سبيل الله ، أى أن يكون للخير والفصيلة والإسعاد الإنسانية ، فإن ما كان « باسم ربك » يحقق كل خير ، وكل مكرمة ، وكل فصيحة ، وتسعد به الإنسانية

والواقع ، وإحقيقة أن بقراءة المأمور بها في الآية الكريمة ليس إلا دمرأ محسب ، إنها دمرأ يسمى أن تكون عليه جميع أعمال المسلم ولاية يريد أن تقول تكلم باسم ربك . قم باسم ربك . اعمل باسم ربك ، لتكون حياتك كلاماً وصفتاً ، حركة وسكوناً ، باسم ربك

ولاية الكريمة واضحة وصوحاً بيباً في الصورة الإحسانه من لأعمال ، مد أنها تنصص الصورة السنية يصباً ، هذه الصورة التي صرحت بها الآيات في بعد (ولا تأكولوا مما يدكر اسم الله عليه وإنه نفسى) (١١) . وكذلك كل ما دبح باسم

للأصنام ، فلم يذكر اسم الله عليه فسق ، يجب اجتنابه (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به غير الله به وامسحفة ولموقوده والمنردية والطبيخة وما أكل السبع إلا ما ذكنتم وما دبح على النصب وأن تستقسموا بالألام ذلكم فسق . اليوم يشن الذين كفروا من دينكم فلا تحوشوهم وحشوا ، اليوم كُفست لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم للإسلام ديناً فمن صطر في محمصة غير متحالف لإثم فإن الله عفو رحيم) المائدة : ٣

وسواء أكن مصداقاً صرحت به لأمانات الكريمة ، « اقرء باسم ربك » أم مصداقاً ما تضمنت فإن هذه الآية الكريمة التي أحملت دستور الأمة الإسلامية إيجاباً وسلباً ، صراحة أو رمزاً أو إشارة تفصلها بوعاً من التفصيل ، آية أخرى فيها أمر إلهي لمن أعده الله ليكون أسوة حسنة للإمامة (قل إن صلاتي وسكوتي ومحبي ومحبى الله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .

إن الله سبحانه وتعالى يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) الأحزاب : ٢١ وهذه لأسوة الحسنة كتاب صلاته ، وكان سكه ، وكانت حياته كلها من كان مماثله كان كل ذلك حالصاً لوحه الله الكريم لا يشركه سبحانه فيه شريك والمسلمون مأمورون بأن يسيروا على سبيل رسوله ، فتكون حياتهم سلباً وإيجاباً ، حركه وسكوناً . من ويكون مماثله لله وفي سبيل الله بها في جميع مطايرها وطوايرها يجب أن يكون قراءة « باسم ربك » (ألا الله الدين لخاص)^(١) تكن ما لم يكن حالصاً لوحه أوكل ما لم يكن قراءة باسمه فليس عملاً إسلامياً (لمن كان الله حومه ولا دمهؤها ولكن يباله انتقوى منكم) الحج ٣٧

ولكن لما عدلت الآية الكريمة عن لفظ الله إلى لفظ « ربك » في الآية الكريمة (اقرء باسم ربك الذي خلق) وبعد كما نتوقع ونحن مصداق أول آية نزلت من القرآن أن تأتي الآية بلفظ « الله » فتكون « اقرء باسم الله الذي خلق » وذلك

أن هذا اللفظ بكرم الله . . تنصص جمع صفات الله وجمع أسمائه ولكن
لآية الكرمه عدت عن ذلك إلى لفظ « الرب » وهذا عدول إلى هو لحكمه
بأنه ذلك أن الله سبحانه به من أول الأمر إلى أن القراءة يجب أن تكون باسم
« الرب » . باسم « لمي » أي أن لقراءه يجب أن يكون في الإيجاب والسلب .
في الحركة والسكون ، في الطول والقصه في إطار التزمه الإهية ، في إطار
الأوامر والنهي ، في إطار مارسمة الله بفرد وفي إطار مارسمة الله لمتجمع
والعدول عن لفظ بكرم الله إلى اللفظ الكرم « الرب » إنما كان في
بعض هذه الحدا . إن هذا العدول يريد أن يقول للإنسان إنك حينما
تدخ حراً محتاجاً في عهد الله وفي ديه وفي ميده يجب أن تروص نفسك
من البداية على أن تسحب استجابة مطلقه لله سبحانه وتعالى في أمره وميجه يجب
أن تعقد انعم على أن تكون ربانياً

فما يبرر ضروره هذه الاستجابة إلى « ربك » فإن البرهان صحيح الخامس
يتمثل في قوله تعالى (الذي خلق)

وذلك أن الذي خلق أي الذي كون جميع أحرثك . وركب جميع
أعضائك . ورتب جميع خلايا جسمك وجميع درت وحدثك . وأنشأك حقاً
سويًا - أن هذا الذي فعل ذلك هو الأعرف بك .

وحما يصع دستور لك . وحما يرسم لك الحياه التي تسير عيها . وإنما يفعل
ذلك على علم ، ويفصل ذلك عن حكمة إله لئلا يئ ، به المكون ، إله الخالق .
به اسدع ، فكيف يتأى أن يعد عن تربية مخلوق . ومهي بلغت عقلية هذا المخوف
ومهي سمع نصحه فيه مخوف لا حائل مكون لا مكون . ولا يتأى في عرف دوى
الصدور المستبيرة العدول عن تربية المربوب إنه عدول عن تربية الكامل إلى تربية
الناقص

توجيهات بالنسبة للغزو الفكري ولثقافات الواحدة

وإذ قرأ الإنسان باسم ربه ، إذ استجاب الإنسان لتقضي دعوته في عفا
الإيمان لتربية الإلهية ، إذ كيف الإنسان حياته لتكون قرعة باسم ربه
عقد أسم

وإن « قر باسم ربك (حتى) لا يخرج معصدا ، في ثمره ، عن معنى
« أسم » والمسلم هو من دخل في الإسلام ، والإسلام هو أن يسم الإنسان وجهه
لله ، ونقد سئل رسول الله ﷺ عن معنى لإسلام ، فقال « أن تسم لله
وجهك ، وأن يسم المسلمون من لسانك ويدك »

والإنسان إما مسلم صادق وإما مسلم مريب ، والمسلم الصادق لا يسمح نفسه
أن يهمل من مضيع غير إلهية في الأمور التي أمر الله فيها وحياً ، بل المؤمن صادق
لا يتحد له في معصية أو في لأخلاق إماماً غير إمامه الرباني ، والأمور التي أن
تدبر وتبرل بها لوجه وصرح بها الكتب عادي لا يجوز في أعرف المؤمنين
الصادقين العدول عنها إلى غيرها

ولموقف قرأ في ذلك حاسم كل لحسم (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموا
فيها شعر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضت . وسعدوا تسليماً)
ونقد حرص رسول الله ﷺ طيلة حياته على أن يستمر المذبح حتى يسبقها
المسلمون صافية صفاء مطلقاً ، وعلى أن يسم نغزة « باسم ربك » لا يسبق
إلا من المذبح الإسلامية « صافية »

وإن مسع هو حرآب الكرم ونقد حرص رسول الله ﷺ ألا يحيط ناعراً

(١) سورة البقرة ٦٥

(٢) بلن القدرى بلا حظ أنا ستمل الفرقة هنا عن أنها من اللجاء كلها في حركتها وسكرتها كما سبق أن أوضحنا ذلك

غيره . وكان شديد حرص في ذلك إلى درجة أنه لم يسمح في العهد الأول من وحي أن تكتب لأحد شيء حتى كان يخطه بقرآن . ثم لما كانت مقام القرآن . وجدت وصافه لدنية في وصوص وصر آياته عن شخصيته سمح الرسول ﷺ مكتابة السنة

وقد حرص رسول الله ﷺ ألا يثبت الدين الإسلامي بغيره . وقد روى الصدوق في ذلك أحاديث في غاية التعقيد ، منها ما رواه الإمام أحمد . قال : حدثنا سريج بن يونس . حدثنا هشام . أن أبا جلد عن الشعبي . عن جابر . أن عمر بن الخطاب في أبي النبي ﷺ كتب نصه من بعض أهل كتاب . فقرأه على النبي ﷺ . قال : « ففعلت وفعل » . « ثم يترك فيها يابس الخطاب » . « ولدي نفسي بيده نقد حشركم بها بصفة فيه . لا بأسوهم عن شيء محروكم بحس فكذبوه أو سائل فتصدوه . ولدي نفسي بيده أن موسى كتب ما وسعه لأن يتبعي » . وأخرج عبد الرزاق في المصنف . والبيهقي في شعب الأيمان عن جرير أن حصاة جاء إلى النبي ﷺ بكتاب من قصص يوسف في كتب . فجعلت تقرأه عليه وحي عليه نصلاه ولسلام يتلو وحده . فقال : « ولدي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأن يسكنكم فاعلموه وتركتموني ضللم أنا حطكم من بيني وأنتم حطى من الأمم » .

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي نصاً عن أبي قلابة : أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر برجل يقرأ كتاباً فاستمعته ساعة فاستحسسه . فقال لرجل : كتب في من هذا كتاب . قال : نعم فاشترى أدباً فيها ثم جاء به إليه فسمح في ظهره وخطه . ثم أتى النبي ﷺ فجعل يقرأه عليه . وجعل وجه رسول الله ﷺ يتلون . فصرت رجل من الأنصار لكتاب وقال : شككت أمث ما من خطب ألا ترى وجه رسول الله ﷺ منذ اليوم وأن تقرأ عليه هذا الكتاب ؟ فقال النبي ﷺ : « قد عرفت ذلك » . « فقلت فاحاً وحائلاً » . « أعطيت جرم الكلم وحوثيمه » . « واخترت الحديث حثماً » . « فلا يهلككم المتكبر » . (أي الواقفون في كل أمر بغير روية .

وأخرج القرطبي . والدارمي . وأبو داود في مراسيمه . وابن جرير . وابن

المدر . وابن أبي حاتم عن يحيى بن حعدة قال

جاء ناس من المسلمين بكشف قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود ، فقال رسول الله ﷺ ، « كفى ب قوم حمقاً أو صلالةً » يرفعوا عما جاء به منهم إليهم ، إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم . هربت (أو هم يكفهم) أنا أنزلك عليك الكتاب ينسب عليهم إن في ذلك برحمةً وذكراً لقوم يؤمنون (العنكبوت / ٥١) .

وبعد اختلف موقف المسلمين دوى الألسن الرأفة اختلافاً صريحاً سافراً نسبة للأحد من محال الحصار المادى والروحى ، أما موقفهم باسسية للمحال المادى من الحصار انسى لم نشأ في بحر لإسلامى سوء كان ذلك في القديم أم في الحديث فقد كان ولا يزال موقف مشجع على لأحد منها أنى كانت ، وعلى المساهمة فيها مساهمة فعلة وعلى الارتقاء بها وتطويرها تطويراً مستمرًا ، إن اكشاف موميس الله في الكون من واحبات لمسلم ولقد ترجم سيدنا عمر بن عبد العزيز كتاباً في الطب ، رأى حاحه لمسلمين في ذلك ، وما ترجمت كتب الكيمياء والطبيعة والطب وبحث في عهد أبى جعفر لمصور وبعده لم يجد ذلك من المسلمين إلا كل ترحيب

ولكن موقف المسلمين في الجانب الروحى من الحصار ان نقدية والحديث موقف بحالف ذلك كل الاختلاف

لقد تنهر لرسول ﷺ سيدنا عمر في شدة لأنه أنى تصحف من التوراة يتلوه ، وعصب صلى الله عليه وسلم على كل من حاول أن يستقى في العقيدة والأخلاق من منبع غير القرآن وانسبه النبوية الشريفة ، وسأ المسلمون على هذا المنوال من التفريق بين الجانب المادى والجانب الروحى حتى كان عصر المأمون ، ومما تحدثت لتحدثون عن الازدهار والقوة والمجد في عصر المأمون ، ومما قالوا من أنه لعصر الذهبي للأمم الإسلامية فإنه مع ذلك عصر يتسم بسببتي . إحداهما لا يعمرها له الخيون لمحرره ، والأخرى لا يعمرها له أهل الصلاح والتقوى

نما لأولى قيامها دحول المأمون في سراع الذى كان بين علماء المسلمين في مسألة خلق نقرآن ، لقد دخل المأمون في هذا البرع بقوة الدولة وعنه ورهه ، لقد دخل

متحيراً لفئة ، منكلاً بالفئة الأخرى .

ونقد نخير للمعتزلة . والمعتزلة عموم حكوا أهواءهم في الدين وحسوا أن ما فعلوه إنما هو حكم العقل ، ولو كان حكم لعقل لا احلصوا هم وتفرعوا شيعاً وأحراراً . بهم لم يأخذوا ديناً مأخذ المستهدى . ولم يعترفوا بأن الدين برل هادياً لعقل . وإنما رأوا أن لعقل هو المرتبة الأولى في معرفة خير والشر ، وهو قوم كانوا يتسمون بالتحمس الشديد لنجدال النظرى ويتسمون بالصور الشديدة للحدث العملى من الدين ، ومن أجل ذلك انصرف جمهور الأمة الإسلامية عنهم

وكان في مواجعة هؤلاء طائفة من علماء المسلمين تتسم بالصالح والتقوى . وبوطن النفس على الاستهداء بالدين وعلى السير في ركاب النص القرآنى أو الحديث النبوى . وهذه كانت هذه الطائفة تسم بالتحمس الشديد للحدث العملى من الدين ، وكانت تتسم بقوة الإيمان . فصار ذلك حاداً إلى جهاد في سبيل الله وكفاح من أجل المسير على ما كان عليه رسول الله ﷺ وحفائؤه رضى الله عنهم والصدر الأول للأمة الإسلامية ، وكان يضم أمثال الإمام أحمد بن حنبل والإمام (مالك) وكان يهتدى بهديهما ويقنطى سلوكهما جمهور لأمة إسلامية

لقد ترك المؤمنون هذه الطائفة ونجا إلى المعتزلة . انجار إلى المعتزلة بقوة الدولة فعدق المال على أنصاره ، وأحد بكل لكل من يعرضه ، وكان المعارضون لهم يتسمون بالصالح الحقيقي والتقوى الصادقة . إهم أمثال الإمام الصالح أحمد بن حنبل

وما كان لنا أن نعب دحور المؤمن في راع علمى لو أنه دخل دحور الأب الرحيم المهدي للراع . لو أنه دخل دحور الأخ لأكرم منقطعاً ومانعاً للحدة بين الإخوة ، إنما لاسعد الدحور في الراع بما سقد بكيفية وبصورة ، إنما ليست صورته دحور علمى في موضوع نقش دينى ، وإنما هى صورة دحور حرونى . دحور من يريد أن يأمر ليطاع . دحور من لا يريد أن يصعب إلى نصح ولا أن يستجب لبرهان

هذه سنة ، وهى سنة لا يرضى بها أحرار الفكر ولا يرضى بها المعتدلون

أما الأخرى فهي أنه برغم موقف جمهور المسلمين الحاسم من ترث الروحاني للأئم الأخرى وبرغم معارضة الشديدة لعموم المفكرى - فإن المأمون تحداهم خدياً سافراً ، ثم بترجمة التراث الروحاني والتراث الأخلاقي للأئم الأخرى ، بوضعية كانت أو غائبة أو غيرهم

لقد طعن المأمون أن ذلك سيقتصره في القصبة التي اتخذ الخصومة فيها مسألة كرامة

دائمة

ولقد حكى ابن أبي عمير في ذلك رؤيا للمأمون معرفة أوضح ما يكون التمييز بين برعة المأمون أو عن برعته ، لقد رأى المأمون في يراه للأئم رجلاً أنصت اللون ، مشرباً حمرة ، واسع الحمة ، حسن الشئ ، حائساً على سرير فان المأمون وكأني بين يديه وقد مثلت هيئة من هو هـ رجل ؟ هو أحد الخلفاء الراشدين ؟ أم هو أحد كبار الصالحين ؟ إن المأمون يصفه وصف حملاً ، وصورته تملأ المأمون هيئة من هو يا ترى ؟

يقول المأمون : فقلت من أنت ؟ فقال : أنا أرسطو فسرت له ، وقت أيها الحكماء ، سألتك ؟ قال : سل . قلت ما الحسن ؟ قال : ما حسن في العقل قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن في الشرع . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما حسن عند الجمهور . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ثم لا ثم . قلت : ردى قال : عليك بالتوحيد وسواء أصبحت هذه الرؤيا ثم لم تصح فإن تعبير صادق عما كتب في نفس المأمون وفي نفس المعتزلة من إكبار أرسطو

وبل القارئ قد لاحظ مدأ في غاية الخطورة وهو مدأ تقديم العقل على الشرع . لقد جعلت رؤيا المأمون ، العقل في الدرجة الأولى ، وجعلت لشرع في الدرجة (الثانية) ، وهو مدأ معروف عند المعتزلة وعند المأمون ، وهو مدأ لا يقره أمثال الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين . أما التوحيد في الرؤيا فإنه التوحيد لدى هذه المعتزلة والذي عبر عنه أهل السنة بكلمة « التعطيل » واستيقظ المأمون من رؤياه . فأمر بترجمة كتب أرسطو

ولأقت هذه البدعة الجديدة بدعة ترجمته كتب العقائد وكتب الأخلاق

معرضة شديده في لأحواء الإيمانية فقد رأت هذه الأحواء أن في عفاثد مسلمين
و في أخلاق مسلمين من الصدق ومن الحق ومن الوضوح ما يعنى عن غيرها و رأت
أن عهدئد مسميين وأخلاق مسميين قد حددده لأسلوب الإلهي رسمها الأسلوب
لمبوي .

إن لله سبحانه وتعالى هو لدى غير عفا ، و ب رسوله ﷺ قد صفا . وهذه
ميرة لا توجد في غير الدين الإسلامي .

أمن المعقوب أن يدع عفاث من العفلاء رسم الإلهي لصلة الإنسان بربه و صفة
الإنسان بالآخرين إلى سم بشرى هذه صلة ، رسم يخطئ ويصيب . ويصل
ويهتدي .

أمن المعقوب أن يدع الإنسان لأسلوب الإلهي في بصره ودقه وإحكامه . وفي
وضوحه . وبلاغته . وإعجازه إلى أسلوب بشرى يترجمه أسلوب بشرى آخر ؟
إن بشرى في تأليفهم بشرى معها من الدقة . ورحم الله العباد في قوته
شهوة من أنه لا ينهي الإنسان من تأليفه ، لا يسمى أن لوعاد لتأليف من جديد
يعبر ويبدل ويريد وخذف . وهذا شأن البشر ، شأنهم على مر العصور معها سموا
من العبقريه واصبح ا

وهذا تأليف على هذا النمط لا تفرقه بعة صاحبه . وإما نقرأه بعه مترجم
ترجم معهم هو من معنى المؤلف . إن لترجمة معها بعت من بدقة يست إلا فهم
المترجم لكلام المؤلف

وم ترجمة ؟ أي لعقبه نبي جاء به القرآن ولسته نقص سنكر ؟ في
الأخلاق نبي رسمها الله ورسوله حل نزيه ترجمه كتب الوثنيين ؟

إن الآراء لا تستند إلى وحى معصوم وهي آراء وثنيه وإن افرق بين الوثنيه
والإيمان إنما يرجع إلى أن الإيمان مصدره الوحى ، أما الوثنيه فمصدرها الشرية في
عجرف وفصورها وجهها . وإن اشترى معها بعت من برفي الحصارى لا تصك
متسمه بالعجز والفصور والجهل وإن الاكتشافات الحديثة انى لا تقطع والى
نطلع علينا الأخبار مياكل يوم يجددهى أوضح دليل على عجز الشرية وفصورها وجهها .

وس تسمع الشره يوماً ما حد الكمال ، لأنه من فصل الشرية يوماً إلى الانهاء
من اكتشاف كل مجهول وكشف عن كل غامض ، وإزالة الخجب عن جميع
المعانيات

أنكر العصمة المطلقة في نوحى ، وبرك بيان من لاسطقس عن الهوى ، سأخذ
بقول هذا أو ذاك من يتسمون دائماً بالفضول والمعر ومن جهلهم أكثر من علمهم
مهما دعوا في المعرفة والعلم ؟

هذه الآراء التي كانت تدور في بيئة الإسلامة إذ ذك ولحقى كان يؤمن به
ويتقنها الأعنية من شعب لم يقف في وجه الترحمة ولم تكن دور بعيد
المأمون لشكرته

لقد بعد المأمون لشكرته ، ووجد لأمره من إرضاء المأمون أن يؤثر لإسناد
هذه لشكرته ، وأحب لأمره إرضاء المأمون مساهموا في مشروع لترجمة ووجد
الأثرياء أن من وسائل التهرب إلى المأمون أن مساهموا في مشروع الترجمة ، فعمموا
على المساهمة بما هم في مشروع الترجمة ووجد للثقوب أن من عو من التهرب إلى
المأمون أن يشيروا آراء أرسطو وأفلاطون وغيرهم ، فتعمموا ، ودرسوها ،
وعلموها .

وبدأ كانت أفكار اليونان قد بدأت الدخول في بيئة الإسلامة على سنجية
فيها تم الزمن استوطنت ، وأنها كثير من الناس عن طريق لتكرار ، وشاعت
الآراء واستقرت بالآلاف والعادة والتشي والبدعة

ومع ذلك الحق أصبح محور (قرأ باسم ربك الذي خلق) أصبح
محور « اقرأ باسم أرسطو » ، و « اقرأ باسم أفلاطون » وفي العصور
الحديثة « اقرأ باسم ديكارت »

وبدأ بحلال الأمة الإسلامية لأنها لم تعد تقرأ « باسم ربك » ، « قل : إن
بحلال الأمة الإسلامية وصنعها » ، منذ أن بدأت شرك مع التعاليم الإسلامية
غيره

وبدأ كان عصر المأمون يورح العصر الذهبي للأمة الإسلامة فيه أنصاً يورح

لمحظات الأولى لديب الصعف في هذه الأمة .

إن الفلسفة اليوسية والفكر النطري في العقيدة والأخلاق والاصراف إلى ذلك ولاشعاع به وجهه مظهرًا للحصارة والرئ والمذهب لايتسع إلا فتور في الإيمان وتحدلاً في العرائم وتشككاً في كل القيم

هل ينتج البحث عفى البحث في العلم وانعابير الدينية والأخلاقية عن أسلوب الإنكار الإثبات ، والأحد ورد ، وحدد والمبالاة إلا فتور واستهانة ؟ هل أسجت الفلسفة إيماناً قوياً ؟ هل نتجت عرائم من جديد ؟ هل قادت إلى النصر ؟

ونأمل معي ملياً في أسباب نهضة أوربا في عصورها الحديثة إنا نعرف أن أورب عاشت زماناً متطاولة في جهل وضمجيه وإخطاط ، ولقد عاشت كذلك لأنها كانت تسي برعه رسطو أو مهب أرسطو أي أنها كانت تسي الحذل الفارع ندى لا يودى إلى نتيجة ولا يهي إلى ثمرة ، اللهم إلا الفتور والتحدان والشك .

ثم بدأت أوربا تنس إلى مهب في الحياة آخر وبدأ « بيكون » يعس عن طريقة وسلوب لمعرفة لا يعتمد على جعل انطري السحت ، وبدأ مهب التحررة والملاحظة والاستقرء .

وأرح هذه الانحاه التحريبي بدء عصر نهضة الأوربية وكما أرح بدء دحور مكر الأسطى ^(١) إخطاط للأمم الإسلامية - فقد أرح بدء التحلي عن هذا الفكر بدء نهضة الأوربية الحديثة

وإذا كان المسلمون قد سموا فم محمدهم حين كانوا كفرون « باسم ربك » وحده فيهم ينفو فم صعبهم حين دعيت هذه « باسم ربك » حدها لأننى أي حينما تحلوا وكادوا على أن يبعثوا من متابع دينهم الصافية موحها وقائداً ومن يصلح آخر هذه الأمة إلا جاء صلح به أو لمَّا أي العودة إلى « اقرأ » ^(٢) باسم

(١) لا مصلح أو سطر بالذات ، أو لا سطر مصلح ، ربما قصد الفكر النطري في مسائل مابور ، الطيعة والأخلاق الذي

لايتحد إلى سبي مصوم

(٢) « اقرأ » معناها اقرأ ، ومعنى الحياة كلها في حركتها وسكرها في صحتها وطقها

ربك الذى حق ؟

وبكى هل يعنى ذلك أن تتبع الترجمة ؟ هل يعنى ذلك أن نعبر في عرلة عن
الفكر العالمى ؟ هل يعنى ذلك أن نمنع أنفسنا عن الاطلاع على شئ سقى أنتجتها
عقول العاقرة مثل فلاتون وديكوت وأسيودا وبرجسون ؟ ليس إلى هذا
قصدنا . وإنما قصدنا إلى معنى يعلمه في وضوح كل من يتبع تاريخ الفكر الشرقى
عبر القرون

إن ظاهرة واضحة في تاريخ الفكر الشرقى ندى لا تستد إلى التحريم أو
الملاحظة أنه متغير مستمر . وهو لا يستقر على رأى ، وأنه في صيرورة دائمة
وهذه الصيرورة ليس من ختم أن تسير دائماً في طريق الحديد ، بل يجوز أن يعود
القهقرى . فترجع إلى مذهب تحلت عنه . وتعود إلى ما كانت قد عرفت عنه .
ويأخذ القديم طريقه إلى الانتشار من جديد ، ثم يعنى عليه الزمن مرة ثانية وثالثة .
وهكذا يعيد التاريخ الفكرى نفسه نارة ويتحدد بحرف
ومن الملاحظ أيضاً أنه ليس من الختم أن يكون الحديد ترقياً في الفكر أو سموً في
الآراء ، بل قد يكون على العكس من ذلك ، شكاساً واحداً !

وهذه الظاهرة النادية نكن دارس جعلت بعض المفكرين قانوناً لا راء
الطرية المحنة مثلها كمثل أرياء ، نساء مستبدن كل عام ، وهذا انتشه بالآراء
العقبة المحنة في جانب العقدة وفي جانب الأخلاق بأرياء النساء في التبدل والتغير
والاختلاف ولتطور من القديم إلى الجديد ومن جديد إلى القديم تشبه في عامة
الصدق ، كادت فرنسا يوماً أن تؤبه « أوغسط كومت » ، وكان أتباعه ومريدوه
يقدمونه ويضعونه على القمة . ومضى الزمن وأصبح آراء « أوغسط كومت »
لا مقام لها ورن . اللهم إلا أنها حلقة من حلقات تاريخ الفكرى ندى على
الزمن

ولقد كانت السوفسطائية يوماً ما أكثر المذاهب انتشاراً في اليونان ، ثم على عليها
الزمن وندثرت ونست لأمة ايونانية أنها مذهب هدام . بل يصل به الهدم إلى

هدم نفسه . واسهت لأمة اليونانية منه ودهنته وتعص كمدتهب . ثم بعثه طائفة من المنحرفين في لعصر الحديث تحت اسم « لوجودية » وليست لوجودية إلا هذا المذهب يتعص الذي تقابله بعض المنحرفين في اليونان مد مايقرب من خمسة وعشرين قرناً من الزمن .

ونقد طنططت بديا لمذهب ديكارت ، وصفق لعدم له . وطن الديكارتيون من مبهج ديكارت سيجل كل مشككة . وبربل اسفب عن كل محجوب ، ويكشف عن كل محج . وتمصى الأمام ويدا بدشاكل هي لمشاكل ، وانمحجوب هو اصحجوب . وانمحج هو انمحج برعم استعم . مبهج ديكارت ونحكيمه عن طريق ديكارت نفسه وعن طريق انديكارتيني . وتمصى الأيام كذلك وإذا نأراه ديكارت في الفلسفة آروه بي سها مسجداً مبهجه فيصلاً - قد انهارب رأساً على عقب ، وستحدث الآن عن الفلسفة بصراحة

إن من حصنصها - على مر الزمن - أنها تبدأ من صفر أي أن كل فيسوف يأتي يعلن أن العالم مد أن وجد ثم يظهر على وجهه شخصية وصت إلى الحق في محط ماور ، الطبيعة وفي محط لأخلاق . وأن محال العقائد ومحار الأخلاق مارال بحاجة إلى نظره من الأساس ، وأنه مد ل حاجة إلى ساء يبدأ بوضع السة الأولى نسها السة الثالثة إلى أن يم الصرح . ويعلى الفيسوف بذلك أن جميع الصروح القديمة في تصميمها حلل . وفي وضعها فساد . وأن خطأ في مبهج وفي وضعها ون العالم الذي عاش هذه الطريقة قد عاش مد أن وجدت هذه الصروح في أوهام إنه بعض بذلك أن آراء فلاسفة السابقين أوهام

ومن حصنص لفلسفة أنه لامقاس ها تنحاً إليه عد الاختلاف لقد أحقق منطق أرسطو عد أرسطو نفسه وأحقق عد كى المدطقه ، إنه لم بحسم الخلاف في مسألة ما

وأحقق مبهج ديكارت عد ديكارت وعد كل من استعمه ومبهج أرسطو ومبهج ديكارت مما أشهر لماهع في الفلسفة القديمة وحديثة كيف يصل إلى الحق إذا اخلفنا في مسألة ؟ كيف بحسم الخلاف إذا أردنا ذلك ؟ كيف تنهى ؟ إن ذلك

لاسيق له في الحق الفلسفي

ب العلم المادى إذا اختلف فيه بعناء فإن عاقل في هذا الخلاف إنما هو
محررة أو الملاحظة والملاحظة والتحررة فيصلى في الحق لعلمى ممدى ماهو
لدى في الحق الفلسفى - بمثابة التحررة في الحق العلمى ؟ لاشيء

ومن هنا نشأ أمران هما من خصائص الفلسفة
أما أحدهما فهو أن لفلسفة ، في جميع آرائها عقداً طيه ذلك أنه
لا وسيلة بين الفصل بين الخطأ والصواب

أما الآخر فهو أن خلاف في الفلسفة يستمر أبداً الدهر - يستعد دائماً لتؤيد
مفكرة أى مفكرة واسبق لمفكرة أى مفكرة - سجدت واشكر
ويسج عن كل ما قدمناه نسخة لازمة هي من خصائص الفلسفة أيضاً ، وهي أن
الفلسفة لا تقدم فيها ب مسائلها قديمة هي مسائلها حديثة ، ومشاكلها مشاكلكها
في كل عصر وفي كل زمن ب مسائل نفسها ومشاكلها في عهد فلاطون هي
مسائل الفلسفة ومشاكلها في عهد ديمقريطس . وهي مسائل الفلسفة ومشاكلها في
زمن المعاصر حتى مضحكات الفلسفة والفلسفة مضحكات قد صورت
نصوره مشاكل حتى مضحكات الفلسفة لا تزال هي هي إب نرجسون تتحدث
عن مشكلات الفيلسوف سحر زيبون الذى انتدع في صوره طريقه من بدهيات
مشاكل يحاول توريط انفلاسفه فيها ، ونحن في ب حرمهم إلى بحث في
بدهيات ، وبى جعلها مشاكل ، وبى لوقوف عاقلين أمامها مع بدهيات .
وسحر مهم زيبون ، وسحر مهم كل دى بصر وبصيرة

ومن كل ذلك يصاب لاسيق أن الفلسفة - وهذا من خصائصها أيضاً - لا رأى
معيب في أية مسألة من المسائل ، وذلك أن لها في كل مسألة رأيين متعارضين أو آراء
متعارضة

ولعله أصبح الآن سافراً أن من « يقرأ باسم الفلسفة » فإنما يقرأ باسم سراب
أما التسحح التى يريد أن يصل إليها من كل ما تقدم فهي أننا لو قرأنا الآراء
الظاهرة اسحتت على هذا الوضع الذى أصبحنا فيه ، فلا بأس ، ويكون بذلك القراءه

باسم المفسدة أو باسم الخائب الطريق من الفكر للإنسان مسلاة وتسلة وسياحة في
 أجواء تختلف وتتعارض وتتفاقم ، وتستند منها عمدة فيما يتعلق بحجر الإنسان
 وقصوره ، ويعود من هذه السباحة مقتنعين بوجوب
 (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

(اقرأ باسم ربك الذي خلق)

كيف ؟

إذا أراد إنسان أن يدخل في رحاب (اقرأ باسم ربك الذي خلق)
 إذا أراد إنسان أن يتأسى برسول الله ﷺ فحاول أن يفهم ما استطاع من
 (إن صلاتي وسكوتي ومحادي وممانى لله ب عالمي ، لا شريك له) الأنعام

١٦٢ ١٦٣

إذا أراد الإنسان أن يدخل في معنى « الإسلام »

فكيف يبدأ ؟

ما هي الخطوة الأولى ؟

ما الطريق ؟

إنه يبدأ بالدخول في النظام القرآني ، والدخول في النظام القرآني معناه انغماس
 لمصمم على تسلي على ليس بقرآن ، وهذا ما يسمى في العرف الإسلامي أو في
 نظام القرآني « التوبة »

ولقد أمر الله في القرآن بالتوبة . وحث عليه . وحث فيه ، وأوحى في بعض
 الأحيان

والمواقع أنها تلك الأولى في الطريق إلى الله وهي تلك الأولى في طريق إسلام
 النوح لله

ولقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه تفصلاً منه ورحمة يقول سبحانه في
 حديث قدسي . وفي أسلوب كنه رأي . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار .

وَأَعْرِضْ عَنْ دُونِ ذَلِكَ جَمِيعًا وَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ لَكُمْ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كُلُّ
ابْنِ آدَمَ حَطَّاءٌ وَحَيْرُ الحَطَّائِينَ التَّوَابُونَ»

ورسول الله ﷺ يحذر أن الله سبحانه وتعالى «صرح» بتوبة عبده المؤمن ،
ويعرفنا رسول الله ﷺ ، أن رسوله يقول كل ليلة إلى سماء الدنيا عند ثلث الليل الأخير
«يأبى ألا هل من مستغفر فعمر له ؟ ألا هل من تائب فأنوب عليه ؟»
ويقول الله سبحانه وتعالى في صورة من تحلى الرحمة ، وسعة من شمول الرأفة
بالعباد ، يقول : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
إن الله يعمر الدنوب جميعاً إنه هو العفو الرحيم)^(١)

وبلى هذه الآية الكريمة ما يبين لطريق إلى المعرفة والرحمة فيقول سبحانه
وتعالى (وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ
لَا تُنصِرُونَ)^(٢) أى ارجعوا إلى الله بتوبة وإسلام الوجه به ثم بين لهم الطريق
الصحيح الذى يلى التوبة « صدقت بقوله تعالى (وَاتَّقُوا أَحْسَنَ مَا أُرِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ
رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) »^(٣)

والله سبحانه وتعالى في هذا يوجه الدين صدقوا في توبتهم إلى أن يتعوا أحسن
ما أُرِلَ إليهم من ربهم . وقد صدقت التوبة في هذا الصدق يستتبع كلاماً من
بوازمه أن يستقيم الإنسان على الطريق والله سبحانه وتعالى يسد على الدين بين لهم
طريق باب المغاذير فيما بعد مهدياً تهديداً يقصده به حب الإنسان على أن يسارع
بالتوبة الصادقة ، فهو تهديد من رحمة رحيم بقول سبحانه (أَلَمْ تَقُولْ لِمَنْ
يَاحْمَرْنَ عَلَى مَا فَحَصْتُ فِي حَسْبِ اللَّهِ وَبِكَتْ لِمَنْ السَّاحِرِينَ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكْرِبُ مِنْ
الْمُحْسِنِينَ)^(٤)

فإذا ما قرب الإنسان ذلك أو بعلل تأمله في الرد يأتيه من رب لعة حاسماً

(١) سورة الزمر آية ٥٣

(٢) سورة الزمر آية ٥٥

(٣) سورة الزمر آية ٥٤

(٤) سورة الزمر الآيات ٥٦ - ٥٧ - ٥٨

قريباً (بى قد جاءت ثباتى فكسب بها وستكرت وكب من تكاليف) ^(١)
 ثم بين الله سبحانه وتعالى حال الكافرين بعدة فيقول (ويوم نقيم نرى
 الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة نيس في جهنم مثوى للمكبرين) ^(٢)
 ويحكم سبحانه هذه الآيات لئلا ترسم طريق المؤمن على يشر من تبع الطريق
 وسلك سواء لسبيل فيقول سبحانه (وسحق الله الكذب بقو حذرهم لا يغتهم
 السوء ولا هم يحزنون) ^(٣)

والآن قد وصح الطريق ، فهو أولاً التوبة . وحرراً . اتباع أحسن ما أزل
 الله

وتعد كـ أسلماً رسولاً الله عليم متاعه للأوصاح الإسلامية بدهور
 أعمالهم الهامة بالتوبة الخاصة بالنصوح . لقد كانوا يبدءون أول شهر رمضان
 بالتوبة ، ويبدءون الحج بالتوبة . ولعل الكثير من دوى الصالحين قد لاحظوا أن
 لرحلة الماركة . رحله الإسراء والمعراج بدأت بشق الصدر وشق الصدر بالنسبة
 لنا إنما هو التوبة الخاصة بالنصوح . لأن التوبة بظهر وصهر وهذا باب الإنسان
 فإن دنت عنه تبت ملكين يشق من صدره ويعملانه بالثلج ولرد أو غماء رمم
 ي يظهرانه .

إن التوبة تظهر للإنسان من المعصية ، بها يحب ما قبلها حتى تزيده ويحبه
 والتوبة التي من هذا النقط لها شروط لابد من توافرها حتى تيسر للإنسان لشق
 لطريق إلى الله تيسر موهبة

يقول الإمام سوي من كتاب رصاص الصالحين قال لعلاء التوبة واحدة
 من كل دس

فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بخو آدمي فلها ثلاثة
 شروط

أحدها أن يصح عن المعصية والثاني أن يندم على فعلها والثالث أن

(٣) سورة الزمر آية ١١

(١) سورة الزمر آية ٥٩

(٢) سورة الزمر آية ٦٠

يعزم على لا يعود بيها أبداً فإن فقد أحد الثلاثة لم يصح توبه
 وإن كنت معصية تعدى آدمي فشروطها أربعة هذه ثلاثة وأن يبر من حق
 صاحب . فإن كانت مالا أو حقه ذه إيد . وإن كنت حد فهدف وخوف مكته منه
 أو طيب عهده . وإن كنت عليه استحقه منها . ويجب أن تتوب من جميع
 مذنبات فإن لم يصح بعضها صححت توبه عند أهل حق من ذلك الذنب .
 وفي غلبه ٣ :

أما اتباع أحسن ما أنزل الله فإنه يبدأ بما كان يدركه رسول الله ﷺ مع
 الدين في الإسلام أعني مودعة البعثة

روى الإمام البخاري رضي الله عنه من حديث عمادة بن الصامت رضي الله
 عنه - وكان عمدة شهد بدر - وهو أحد انتقاء ليلة عقبة أن رسول الله ﷺ
 قال وحوله جماعة من أصحابه :

« يا يعزى على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقبوا
 أولادكم ، ولا تأتوا بهتاناً تفترونه بين أيديكم وأرجلكم . ولا تعصيه في معروف
 فمن وفى منكم فأجره على الله . ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوف في أمسه فهو
 كفارة له . ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم إنتهه الله فهو إلى الله . إن شاء الله عفا
 عنه ، وإن شاء عاقبه » فبيعه على ذلك

وروى الإمام أحمد من حديث سمي بن قيس وكانت إحدى حالات
 رسول الله ﷺ ، وقد صلت معه القسي . وكانت إحدى مساء بني عدي بن
 لجرى قال حث رسول الله ﷺ ببيعة في نسوة من الأنصار ، فيما شرط
 عبيد ألا يشرك بالله شيئاً ، ولا يسرق ، ولا يزن ، ولا يقتل أولاداً ، ولا يأخذ
 بهتاناً بغيره بين أيديهم ورجلها . ولا تعصيه في معروف قال « ولا تعشش
 أرو حكن »

ولقد وردت بيعة أسس في عمر بن الكرم يعزى تعزى (يا أيها النسي يا حادك
 لمؤمبات يبابك على ألا تشرك بالله شيئاً ، ولا يسرق ، ولا يزن ، ولا يقتل
 أولادهم . ولا تأتوا بهتاناً بغيره بين أيديهم وأرجلهم ، ولا تعصيه في معروف

فدعهم واستعصر لهم الله إنا الله عفور رحيم) ^(١) الممتحنة . ١٢

وما يفصل هذه البيعة قوله تعالى

(قل دعوا آل محرم ذكركم عليكم ألا تشرکوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نذکرکم وبآههم . ولا تقربوا ما بين يدينا وهو حرام ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بسخة ذلكم وحرام به بعدكم محذون . ولا تقربوا ما بين يديه إلا بالتي هي أحسن حتى يبيع أشده . وهو لكين وميران بالوسط لا مكف قصاً إلا وسعها . وإذا قلم وعدو ووكار د مري ومعهد الله أو هو . ذكركم وصداكم به عنكم تذکرون . وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا أئسل فتفرق بكم عن سبيله ذكركم وصداكم به عنكم تنقبون)
لأنعام . ١٥١ - ١٥٣

وإذا أردنا إجمالاً لتعظيم الإسلاميه من القرآن الكريم فهو قوله تعالى
(إنا الله نأمر بعباد والإحسان وبشاء ذي القربى . وبهى عن الفحشاء وسكر
والسبي يعظكم عنكم تذکرون) لنحل ٩٠
وأول عقد من عهود السعة عدم الإشرک بالله

وحسبنا سماع انس حدث عن « عدم الإشرک بالله » ينحده دهمهم في الأعلى
لأنهم سبوا . أى حتى تعدد الآلهة إنا الله سبوا . أى هذه العقيدة حتى كانت
عند النور في عهودهم القديمة من تعدد الآلهة وعند العرب في جاهليتهم من عبادة
الأصنام . بصفة

نقد جعل اليونان بها الكل طاهره من طوهر الكون الكرى . وكذلك فعل
قدماء المصريين في عابثهم وشعبهم ، وكذلك فعل وشيو العرب
بل إنا الإنسانية وقد بدأت بالتوحيد حصص على يد آدم عليه السلام . وقد
انحرفت سريعا إلى العدد . فأحدث لأساء والرسول نزل بآء مباشرة بالتوحيد
مخاهدة في سبيل مع العدد وفي سبيل القضاء على لوثيه منتشرة

ولقد كان عدد الأنبياء والرسول كثيراً كثيرة تناسب الانحراف المتولي من الإنسانية
مد ظهورها . لقد نزل الأنبياء جميعاً يبشرون بتوحيد ، وكان كل سبي يدعو أمته

إلى مثل مادعا محمد ﷺ - الإلهية جمعاء

(لا تعدوا إلا الله بنى لكم منه سير وبشير) هود ٢

وسورة يونس وسورة هود والكثير من سور القرآن على وجه العموم تتحدث عن دعوة الرسل قومهم إلى التوحيد

يقول سبحانه (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إلى لكم بدير منى ألا تعدوا إلا الله ، إلى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) هود ٢٥ ، ٢٦

ويقول سبحانه (وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، إن أنتم إلا مغضون) هود ٥٠

ويقول سبحانه (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، هو أشاؤكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) هود ٦١

وهكذا يرى كل نبي يدعو إلى عدم شرك بالله إنه يدعو إلى عبادة الله وحده ، فإد تَحْه لَدَهْ إلى عدم تعدد الالهة ، وإلى التوحيديّة فإن هذا لا تحفه طمعى وهو تحفه حق وهذا النوع من الشرك هو الذى يقول الله سبحانه وتعالى عنه (إن الله لا يعفر أن يشرك به ويعفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء ٤٨

وهو الذى يعبه الله منطقياً بقوله (لو كد فيها آفة إلا الله لهسدنا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون) الأنبياء : ٢٢

ونقوله : (ما تحد الله من ولد وما كان معه من إله يد له هب كل إله كما خلق وأعلا بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون) المؤمنون : ٩١

ولكن لتوحيد ليس معناه عدم التعدد محض ، كلا وهو وإن كان من معديه عدم التعدد تتسع دائرته فتشمل أموراً أخرى

يقول أبو سعيد خدرار « من شرح دلت أن يكون العبد يريد الله عز وجل جميع أعماله وأفعاله ، وحركاته كلها فافهمها ونطقها ، لا يريد بها إلا الله وحده ، فائماً يعمله وعنده على نفسه وعنه ، راعياً لهمه ، فاصداً إلى الله تعالى بجميع أمره »

وهذا الذي بقوله الإمام أبو سعيد الخزاز رضى الله عنه هو بعض معاني (قرأ باسم ربك الذي خلق) .

ب (قرأ باسم ربك الذي خلق) . توحيد خاص ، واتوحيد خاص لأرباب
فيه والله سبحانه وتعالى ، يقول : (ألا لله الدين الخالص) الزمر : ٣
وأن المادة الأولى من البعثة الإسلامية معنى : فيما تعنى من معاني توحيد مقصد
لله تعالى في كل عمل وإلا فلا ثواب ولا قبول للعمل (من كان يرحل الله ربه
فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه شيئاً) الكهف : ١١٠

ونقد تحدث مرآة عن لإخلاص ونصدق . وتحدث عنها رسول الله ﷺ
فيما لا يكاد يخص من النصوص والأحاديث . وتوحيد الخالص والشرك سداً
باليه : يقول رسول الله ﷺ مبيهاً أن قيمة عمل في الخير والثواب وتقبول تنع
لية : « إنما الأعمال بالنية » (وفي رواية بالنيات) « وإنما لكل امرئ ما نوى »
من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا
يصيبها ، أو امرأة ينجسها فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه البخاري ومسلم ، وأبو
داود والترمذي والنسائي .

إذا صدقت النية استقام أمر المسلم فيما بعد ، وإذا هما الإنسان هتوة فعليه أن
يتدارك الأمر بالتوبة وصدق النية من جديد .

وصدق النية شرط من لشروط التي يترتب عليها قبول العمل عن
الصالح بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تبارك وتعالى يقول : «
خير شريك : من أشرك معي شريكاً فهو لشريكى بها » ساس خلصوا أعمالكم .
قال الله تبارك وتعالى لا يعمل من الأعمال إلا ما خلص » ، ولا تقولوا هذه لله ولرحم
، فإنها للرحم ، ليس لله فيها شيء » ولا تقولوا هذه لله ورحمكم ، فإنها
لرحمكم ، وليس لله منها شيء »

وواقع أن الإسلام يعلق أهمية كبيرة على إخلاص النية لله سبحانه وتعالى ، فإن
في إخلاصها لله صادق السريرة وطهارة القلب ، وفيها انتهاء لتملق والزيغ . وفي
تنقي الرلة وينقي الزيف والرياء . ومن أجل ذلك حذر رسول الله ﷺ من لرباء

تحديراً شديداً ، وحث على الصدق والإخلاص في صور شتى
ولقد قدم رسول الله ﷺ وحيداً هرباً يدعو إلى التوحيد بكل معانيه ، ويعبر
الحق في وجه الباطل ، ويدعو إلى الله في وسط كنه شركه ، ويدعو إلى تحطيم
الأصنام في شدة تعبد الأصنام ودعوته صلوات الله عليه وسلامه ، ورسالته إلى
العالم أجمع ، كما كان أساسها التوحيد ، والإسلام إنما هو درس التوحيد ، وليس
للتوحيد معنى إلا الإيمان الصادق بقبول باب المهيم على الكون والمتصرف فيه ، كما
هو الله سبحانه ، وأنه لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يصنعوا أي إنسان
شيء ما يصوره إلا بشيء قد قدره الله له ، ولو اجتمع أهل سموات والأرض على
أن يصنعوا أي إنسان شيء ما يصوره إلا بشيء قد قدره الله عليه .
وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك لا محالة - فإنه لا يجمع الإيمان الصادق

والخوف في قلب المؤمن

والتوحيد إذن هو لأساس الأول الأصيل للشجاعة الأدبية ، كما أنه الأساس
الحقير بكثير من العصائل أو لكل العصائل
وثبتاً لشجاعة الأدبية وحفظاً على استمرارها بين الله تعالى الأسباب التي تجعل
الشخص يحجر على قول الحق . ويتراجع في إعلان الصواب ، ونرجع هذه الأسباب
إلى أمرين .

لأمر الأول - هو ما نذكر أن يعبر عنه هم الرق أو خوف الفقر
وقد بين الله تعالى ، أن الرق مقسوم ، وأنه محدود ، وأنه ما كـ له فسوف
تنتك . وما كان لعيرك من تنانه

(وفي نساء رزقكم وما توعدهم ، فورد أنساء والأرض به حق مثل
ما لكم تطعون) الباريات ٢٢ ٢٣ (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومسودعها ، كل في كتاب مبين) هود . ٦
ومن الحق أن الإسلام يحث على العمل ويشجع على لأحد بالأسباب وأن
السماء لا تنظر دهب ولا فضة ، ولأن يأخذ أحدكم حمله ، فاحتفظ فيبيع فبأكل
ويتصدق خير له من أن يتكفف الناس ويأخذ العبا خير من أن يلد للسلي ٥

ومع ذلك فإن الرزق في يد الله . وس يجمع الرزق مانع منها كان حدوثه
وسيطه . والله عالب على أمره . وهو سبحانه قوى تحرير ألقها .

وما لأمر الآخر لدى تحال بعض مانع عن الشجاعة لأدبيه فإنه خوف
الموت . وهو خوف لا موضع له . فإنه قد حدد لأحال ونوك كك لدس في روح
مشدة ير الد كك عنهم نقل أي مصاحبتهم أي نفوس في (ود جاء
أحبهم لأسأخرون ساعة ولا يستقدمون الأعرف ٣٤

لأحال والأ في يد الله . وكل فكرة أو أي أو همس خوف في النفس
يخالف ذلك فإنما هو شر .

والآن يأتي أسؤال - إذا صدقت الية واتبع الإنسان أحسن ما أمر إليه من ربه
في العمل فما هو السبيل إلى اتباع أحسن ما أمر الله في القول ؟
ما هي الفراءة باسم ربك في القول ؟

ن لله سبحانه وتعالى بين لنا لإحسان في القول . كما ير لنا الإحسان في
العمل . يقول سبحانه في الحاسين

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً . وما من إني من المستبين)

فصلت ٣٣

ويقول سبحانه

(إن الدين هو لنا الله ثم استعانة تنزل عليهم ملائكة ألا تخافوا ولا تحربوا
و شروا بالحق لى كسم توعدون . من أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة .
ولكم فيها ما تنسهي أنفسكم ولكم فيها ما دعون . لا من عقور رحيم) فصلت

٣٠ ٣٢

وبعد صر الله لنا أمثل في نكلمه بضمه . وفي الكلمة الحبيثة فمن سبحانه
(لم ير كيف صر لله مثلاً ككلمه طسه كشجرة طسه أصابها ثاب ووعها في
سماء . تؤى أكلها كل حين بدون رها . ويصرب الله الأمثال سانس لعلمهم
سد كرون . ومثل ككلمه حبيثة كشجرة حسنة خشب من ثوى الأرض عاها من فـ

يثبت الله الدين آموا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ووصل الله
الظالمين ، ويعمل الله ما يشاء) (١١) .

ونساع تحسن ما أنزل الله في القول بما هو الدعوة إلى الله نصر الآله الكريمة
وإعلان للإسلام (وقد بينى من المسمين) (١٢) ومن ذلك ذكر ونداء

في الذكر

بقول سبحانه (ومن تولى الله يجعل له مجزاً ويرزقه من حيث لا يحسب) (١٣)
وإن مما يعين على التقوى وهو في وقت نفسه من قدر التقوى الذكر . وحدث
الله سبحانه على الذكر في أسلوب أمر

(بآياتها الدرس آموا اذكروا الله ذكر كثيراً) الأحراب : ٤١

وقال (واذكروني في نفسي بصراً وحيمة ودور الجهر من القول بالعدو
والأصاال (١٤) ولا تكن من الغافلين) الأعراف : ٢٠٥

وحدث سبحانه على ذكر في أسلوب أحد (فادكروني ذكركم) انقرة

ولقد أخرج لإمام بخاري رضى الله عنه من حديث قتادة عن رسول الله
ﷺ . في برويه عن ربه قال قل لله عز وجل « من آدم . ان ذكرني في
نفسك ذكرتني في نفسي ، وإن ذكرتني في ملاء ذكرتني في ملاء خير منه ، وإن
دعوتني شيراً دعوت منك دعواً . وإن دعوتني مياً دعوت منك دعواً . وإن
نيتني تمشي أتيتك هرولة » (حدث قدسي) .

(١) سورة إبراهيم الآيات ٢٤ - ٢٧

(٢) فصلت ٣٣

(٣) سورة الطلاق من آيين ٢ - ٣

(٤) الأصاال جميع أسبيل وهو ما بين العصر والغروب

ومن أنسعه بسبب بظنهم لله بطنه يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله حساً
وقد صحت عبيده من خشية الله

وروى البيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب قال لله عز وجل .
« من شجده ذكرى عن مسأتي أعطينه ، فصل ما أعطى السائلين » حديث قدسي
وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ سب في طريق
مكة ، ثم على جبل يقال له حمدان ، فقال « سيروا هذا حمدان ، سبق
للمعردون » قالوا وما المعردون يا رسول الله ؟ قال « المداكروا لله كثير »
وعن أم أنس رضي الله عنها قالت . يا رسول الله أوصني . قال
« احمري المعصى . فإني أفصل المحرم . وحافظي على الفرائض . فيها
فصل الجهاد . وأكثرى من ذكر الله . فإني لأقنن الله شيء أحب إليه من كثرة
ذكره » (١)

وفي رواية لها عن أم أنس
« وذكري لله كثيراً أحب الأعمال إلى الله من تقائه بها » (٢)
وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا مررتكم
برياض الحبة فارتعوا »
قالوا وما رباص الحبة ؟
قال : « خلق الذكر » .

وفصل الذكر ؛ ما هو التبعيد تلاوة القرآن ولقد كان الصحابة رضوان الله
عليهم يكثر من تلاوته تبعداً به ، وكانوا يسمونه أفسماً بعد أن القرآن هم
حرماً وأول ما يرجع إليه في التفسيرات قول رسول الله ﷺ (٣) « من قرأ القرآن
في أقل من ثلاث لم يقهقه »

ودلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت

(١) رواه مسلم واللفظ له ، والزملي ، ولفظ يا رسول الله ، وما المعردون ؟

(٢) رواه الطبراني بإسناد جيد

(٣) قال الطبراني أم أنس حده يعني الآية ليست أم أنس بن مالك

(٤) من إحياء علوم الدين

رجلاً يهذر القرآن هذر^(١) . إن هذا ما قرأ نحر^(٢) ولا سكت^(٣) ، وأمر النبي ﷺ عند الله
 أن عمرو رضي الله عنهما أن يحتم القرآن في كل سبع^(٤) وكذا كان حياجه من
 الصحابة رضي الله عنهم يحتمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزياد بن ثابت ،
 وابن مسعود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أما من حتم في الأسبوع مرة ففهم
 القرآن سبعة أحزاب فقد حارب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزاباً مروى أن
 عثمان رضي الله عنه كان يمسح بيده الخمسة بأسفله إلى مثله . وسنه تسب بالعام
 إلى هود . وبله لأحد بيوسف إن مريم وبيته لانيين بظه إلى طسم موسى وهرعون .
 وبله ثلاثاء بالمعكوب إن ص . وسنه الأربعاء سربل إلى الرحمن ، ويحتم يله
 خميس

فل أحزاب القرآن سبعة . فالحرب الأول ثلاث سور . والحرب الثاني
 خمس سور والحرب الثالث سبع سور ، والحرب الرابع تسع سور ، والخميس
 إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشرة سورة . وسابع المفصل من ق إلى
 آخره

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يصعبون أمام أعينهم قوت سور الله
 ﷺ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة وحسنة عشر أمثالها لا أقول
 « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف^(١)
 وقول رسول الله ﷺ لا أحد إلا على ثين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم
 به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو ينفق منه آناء الليل وآناء
 النهار^(٢) .

ولقد وردت الآثار في الخلف على سور وآيات معينة ويورد هنا بعض ذلك
 ليكون كمعجم فقط وذلك أسانوسنا في الموضوع في كتابنا (العبادة) ويورده أيضاً
 ليكون فيه ترعيب في حفظ بعض سور القرآنية من لم يحفظ شيئاً من القرآن
 ومن الذكر الاستعداد .

(١) رواه الترمذي بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال : بعد حديث حسن صحيح

(٢) رواه البخاري ومسلم ، ومعنى الحديث هنا النبطة

ويعود به مرة أخرى إلى التوبة في صورة أخرى من صورها . أو في رابعة من أهم رواها

يروى عنقمة ويروى الأسود عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال في كتاب الله عز وجل أنت ما أدب عند دسأ فقراهما وسعير لله عز وجل إلا عفر الله تعالى به (والدين إذا فعنو فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يعفر الذنوب إلا الله ومن يصروا على ما فعنو وهم يعمون) وقوله عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستعصر الله لعدو الله عفوراً رجيماً) النساء/ ١١٠

ولقد قال عليه السلام في شأن الاستعصار الخالص « من أكثر من الاستعصار جعل الله عز وجل له من كل هم فرحاً ومن كل حيق محرراً . وربه من حيث لا يحتسب » .

وهذا الحديث الشريف يسير في استخدام مع قوله تعالى (استغفروا ربكم إنه كان عفراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ، ونمددكم بأمن و منى ، ويجعل لكم جنات ، ويجعل لكم أنهاراً) . نوح - ١٠ - ١٢

وقوله تعالى على لسان نبي الله هود (وما قوم استعفرو ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويردكم قوة إلى قوتكم ولا تتوبوا محرمين) ^(٢) والاستعصار مستحب في كل لأوقات ، وإن لم يكن دسأ يفوق الله تعالى في إضلاق لا تحمد فيه . (عسح محمد ربك واستعصره إنه كان توباً) النضر ٣ ومع هذا الإضلاق نعام فإن الله سبحانه وتعالى ذكر الأسحار باعتذارها من الأوقات التي يستعصر فيها المنقون بقوله سبحانه (والأسحار هم يستعفرون) لدرجات ١٨ ومن أجل ذلك فإن الذين يستعفرون في ثلث الليل الأخير بحرصون على سب . فرصة تروى ربنا إلى سماء الدنيا منادياً « لا هل من مستعصر فأعفر له ؟ ألا هل من تائب فأتوب عنه ؟ ألا هل من سائل فأعطيه ؟ » فيأخذون في الاستعصار

وسيد الاستعذار هو كبح الصدوق بصدوق صوت به وسلامه عليه
 « ليهب الله ري لا إله إلا أنت خلقتني وأنا على عهدك ووعدك
 ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك نعمتك عني ، وأبوء
 بذنبي ، فأعصر لي ، فإنه لا يعصر الذنوب إلا أنت »
 وروى الإمام العزقي عن بعض العلماء أنه قال « العبد بين ذنب وبعمة
 لا يصلحها إلا الاستعذار والحمد »

وروى عن قتادة رحمه الله قوله « انقرأ يدكم عن ذائكم ودوائكم أما
 دوائكم فالذنوب ، وأما ذائكم فالاستعمار »
 ومن الذكر التهليل وهو الذكر بلا إله إلا الله
 وهي وصفت به كلمة : لا إله إلا الله أنها : « كلمة التوحيد » وهي كلمة
 لإخلاص ، وهي كلمة انتوى ، وهي الكلمة الطيبة ، وهي دعوه الحق ، وهي
 العروة الوثقى ، وهي ثمر الحمد »^(١)

وقد روى الترمذي بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير ما قلت أما
 وأسيون من قبي أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،
 وهو على كل شيء قدير » .

وقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم رضي الله عنهما من حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال .

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
 شيء قدير مائة مرة - كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحبت
 عنه مائة سيئة ، وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد
 بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك »

ومن يذكر التسبيح والتحميد والتكبير والحقبة يقول الله تعالى (وضح
 حمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل فسبحه وأدبار
 السجود)^(٢)

ويقول تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)^(١) .

ويقول حل شأنه (فسبح بحمد ربك واسعمره ، به كان نوباً)^(٢) .
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « كنهتان حقيقتان على لسان ، ثقتان في الخبر ، حستان إلى رحمن ، سبحان الله وحمده ، سبحان الله العظيم »^(٣) .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله . فقال « ب » أحب الكلام إلى الله سبحان الله وحمده »^(٤) .

وعن حويرة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ، ثم جمع بعد أن أصبح وهي جالسة ، فقال ما رب على الحال التي فارقتك عندها ؟ قال نعم لا النبي ﷺ « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو ورتبها لما هتفت بعد اليوم لورثهن » « سبحان الله وحمده عدد حبه ، ورضا نفسه ، ورتبة عرشه ، ومداد كلماته »^(٥) .

وأن من أصبح ابتاركه أطاعه أني توحيد من آيات قرآنيه والأحداث النبويه والى حرب أكثر من صاحب . فوجدوا له نور وبركة « سبحان الله ونحمده سبحان الله العظيم أستعمر الله »

ومن الذكر الصلاة على النبي ﷺ

يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) الأحزاب : ٥٦

ولقد روى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول

(١) سورة الطور آيات ٤٨ ٤٩ (٢) سورة النجم آية ٣

(٣) روى البخاري ومسلم

(٤) روى مسلم ، ولساني ، والترمذي

(٥) روى مسلم ، واللساني ، وابن ماجه ، والترمذي

« من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشر » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه - فيما رواه الترمذي وحسنه أن رسول الله ﷺ قال :

« أولي الناس بي يوم القيامة أكثرهم عني صلاة »

و روى الأئمة أحمد وابن ماجة والحاكم بسندهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« تكروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحد

لم يصلي على إلا عرصب على صلواته حتى يفرج منها » قال قتادة : وبعد الموت ؟

قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أحد الأبواب عليهم الصلاة والسلام

ومن فصل صبيح الصلاة على النبي ﷺ الصبغة التي يقرأ بها الإنسان في

التشهد في الصلاة ، وصيغ الصلاة على رسول الله ﷺ كثيرة ، وسعدى هنا أن

أذكر بصبغة التي تصعب حروفها وبالأبواب التي ذكرت حروفها في كتاب

« المدرسة الشاذلية » وهي لتفريع الكرم

« اللهم صل صلاة جلال ، وسلم سلام جلال على حصة حيث سدا محمد .

وعشه انهم نورك كما عيشته سبحانه التحدث ، فطراي وحجت الكرم . حقيقة

الحقائق كم مولاة لعظيم الذي أعده من كل سوء اللهم فرح كرمي كما وعدت

(أمر يحب بظفر إذا دعاه ويكشف سوء) سئل ٦٢ وعلى له وصحه .

آمين

في الدعاء

« اللهم اني ادعوك بمجموعة من الأدعية تناسب ظروف حياه محتاجة

فهو مثلاً غشا عن صورته المؤمنين في حروب سواء في يتعلق البعض أو في

ويبين امتناع اني رتبها سبحانه على موقعهم . فيقول تعالى :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير له وهوا لا أضاهم في سبيل الله . وما

صعبوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين) آل عمران ١٤٦

(وما كان فوهم إلا أن قالوا : وما اعترضنا دينا وإسرافنا في أمراء ، وثبت قدمنا ونصرنا على القوم الكافرين . فأتاهم الله ثواب ديننا وحسن ثواب الآخرة الآخرة ، والله يحب المحسنين)^(١)

ويعلمنا الله سبحانه وتعالى ما يقابل من دعاء عبد مرع شيطان . فيقول سبحانه (وما نرعبك من شيطان مرع فاسعدنا الله به هو السميع العليم) نصب ٣٦

ويصور سبحانه في ذلك (وقيل رب أعوذ بك من هزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضروني) المؤمنون ٩٧ ٩٨

ولقد أخذ كثير من الناس يتدبرون القرآن في مواطن لدعاء ، فاكشفوا أسراراً من أسرار الدعاء ، صرحوا ببعضها وبركوا بغيرهم أن يتدبر ويكتشف ومن هؤلاء لإمام جعفر الصادق رضي الله عنه الذي يقول متديراً لقرآن ومستنجاً منه : عجب لأربع . كعب يعملون عن أربع

١ - عجب من ادخل بالخوف كعب يعقل عن « حسنا لله ونعم انوكيل »
والله سبحانه وتعالى يقول (فاقبضوا نسيه من الله وفصل لم يمسهم سوء) آل عمران : ١٧٤ .

وأصل هذه القصة معروف يروي ابن هشام بخصوص موقف المسلمين في أحد بعد معركة ثلث يوم هي قتب من أبي سفيان - وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من عبد القيس . فقال لهم أبو سفيان أين تريدون ؟ قالوا نريد مدنه ، قتب ولم لا قالو نريد لميره . قال فهل أنتم مبعوثون عنى محمداً رسالة أيسكم به . وأحسن لكم في مهابد أذنك ريباً معكاه إد وفتيمون ؟ قالوا نعم قال : إذا واهتم محمداً فأخبروه أنا قد جمعنا المنسرين به ، وإلى أصحابه مستأصل بقيتهم ومرتكب برسول الله ﷺ . وهو محمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ وأصحابه ماصوه . لله تعالى بهوله

(الدين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزدهم إيماناً .
 وقابوا حسنا الله وبعث لوكيل . فاقبوا معه من الله وحصل من يستهم سوء .
 واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ت عمران ١٧٣ ١٧٤
 ويهوب لإمام جعفر

وعصيت لمن اتقى بمكر السر به كيف يعمل عن (وأهوص أمرى إلى الله .
 إن الله بصير بالعباد) عاقر ٤٤

واقه سبحانه وتعالى يقول . (فوفاه الله سيئات ما مكروا) عاقر ٤٥
 وهذه القصة هي قصة مؤمن آل فرعون . (وهذا رجل مؤمن من آل فرعون
 يكتم ما به) . عاقر ٢٨ فلما قال فرعون « دروني أقبل موسى » . عاقر : ٢٦
 قال للمؤمن

(تقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وإن يك
 كذباً فعليه كذبه . وإن يك صادقا بصدقكم بعض الذي بعثكم إن الله لا يهدي من
 هو مسرف كذاب . يا قوم لكم الملك اليوم ظاهراً في الأرض فمن ينصرون من ناس
 الله إن جاءنا) (١)

وأحد يدعو قومه إلى الحق . وأحد يخادع ويباشر محاولاً حرهم إلى سواء
 بسبل ثم انتهى به الأمر معهم أن قال (فسدكروا ما أقول لكم . وأهوص
 أمرى إلى الله . إن الله بصير بالعباد فوفاه الله سيئات ما مكروا . وحاق بآل فرعون
 سوء العذاب) (٢)

نقد خطاه الله حين فوص الأمر إليه حالاً ومقالاً . ويقول الإمام جعفر
 ٣ - وعصيت لمن اتقى بالضر كيف يعمل عن (أنى مسي الضر ، وأنت أرحم
 الراحمين) الأنبياء ٨٣ والله سبحانه وتعالى يقول (فاستجبنا له فكشفنا ما به
 من ضر) . الأنبياء ٨٤ .

والحادثة برويها قرأت الكريم في سورة الأنبياء ثلاثاً « وأيوب إذ نادى ربه أنى

(١) سورة عاقر آيتا ٢٨ - ٢٩

(٢) سورة عاقر آيتا ٤٤ ، ٤٥

مسي نصر ، وأنت أرحم الراحمين . فاستجب له ، فكشفنا ما به من صبر ، وأنبأه أهله ومثلهم معهم حمة من عذابنا وذكري بما نبدى لآلئنا . ٨٣ - ٨٤
ويقول الإمام جعفر :

٤ - وعجبت لمن اتلى بالعم ، كيف يعقل عن . (لا إله إلا أنت ، سبحانه ، إني كنت من الظالمين) الأنبياء ٨٧

والله سبحانه وتعالى يقول : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) الأنبياء ٨٨
ولقصة كما يذكرها القرآن (ود النور يد ذهب مغاصاً ، فطن أن لم يقدر عليه ، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ، ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين)^(١)

وعنى عرار السبق الذي ذكره لإمام الصادق ، يمكن أن يقال « عجبت من أدب كيف يعقل عن : (ربما ظلمنا أنفسنا وإن لم نَعْرِفْنا وترحمنا لنكوس من الخاسرين) الأعراف / ٢٣ » والقصة كما يروى القرآن عن آدم وحواء حينما أكلا من الشجرة « ودهما ربهما أم أنهما عن تلكما شجرة » وأقن لك أن لشيطان لكما عدو مبين قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نَعْرِفْنا وترحمنا لنكوس من الخاسرين »^(٢)

وعجبت من يجشى بعدد في الدنيا ، كيف يعقل عن الاستغفار ، والله سبحانه وتعالى يقول « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »^(٣)

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بأن ندعوه وأن نلجأ إليه ، وأن نصارع له في رحاء وفي الشدة وإن الإنسان وهو في حالة النقص ندتم لاحتاج إلى الله سبحانه ونعير . في كل لحظة ، فهو في حاجة إذن إلى مدعاء في كل فترات حياته يقول الله سبحانه وتعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قرب أحب دعوة الدع يدع دعاء ، فليستجيبوا لي . وليؤمنوا بي بعهم يرشدون)^(٤) ويقول سبحانه

(١) سورة الأنبياء آية ٨٧ ، ٨٨ (٢) سورة الأعراف آية ٢٣ ، ٢٢ (٣) سورة الاحقاف آية ٢٣

(٤) سورة البقرة آية ١٨٦ (٥) سورة البقرة آية ١٨٦

(أمر بحب المصطفى دا دعاه ، ويكشف السوء ويعلمكم خفاء لأرض إله مع الله قليلاً ما تذكر) العمل ٦٢ .

وقد التحاين الله بدعاء الأساء والمرسلون بعد دعوه في كل وقت لاحقين إليه . مستعيبين به في جميع أمورهم ومن أمثلة ذلك قوله سبحانه :
(وركبوا إدا نادى به ، لا تدرى فرد وست حير الورثين فاستجنا له
ووهبنا له يحيى وأصلحنا له روحه ، إهم كانوا سارعون في الخير ، ويدعوننا دعاءً ورهاً ، وكانوا لنا خاشعين) (١)

واستعانت به المسمون منصرعين خاشعين دعاءً ، فاستجاب لهم (٢) :
تسعينون ركنم يستجاب لهم أني أمدكم بألف من الملائكة مردفين) (٣)
وحه إليه رسول الله ﷺ حين عودته من انعطاف به دعاء ترتع
« اللهم إني أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم
راحمين أنت رب المستضعفين . وأنت ربي إني من تكللي » إني بعيد يتجهمني .
أمر إلى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي . ولكن عدوتك
هي أوسع بي . أعود سور وجهك الذي أشرفت له الطمات . وصبح عنه أمر بدب
ولآخره من أن يرل بي عصمت أو يحل علي سخطك ، لك دعسي حتى برصى ،
ولا حول ولا قوة إلا بك »

والباقى أن في دعاء تتمثل العبودية لله سبحانه وتعالى واصحة حبة أي أنه
تشبه فيه عباده في صوره من أصدق صور ما المعروف عن الدعاء فيه عادة
يشأ عن نوع من عدم الدلالة بالنسب . أسسه الكبرياء الذي يشأ عن الكثير من
المعاصي والبدع والاعتراقات ، والذي كان في جدور المعصية التي تورط فيها إبليس
حين أمره الله فمس أمر السجود لآدم لقد أنى واستكر وقاب « يا حير منه
خلقتني من نار وحلفته من طين » (٤)

ولقد حمده كثيراً على الخطأ في يسر لأتور لقد جعل مناط خيريته المدة

(١) سورة الأبياء آية ٨٩ ، ٩٠ (٢) سورة الأعراف آية ١٢

(٣) سورة الأعراف آية ٩

ماده جسم ولم يند عقله في مساعدة كبرائه إلى أن المادة مجرد وعاء ، . وأن الوعاء لا يكون مقياس التفصيل ، وأن ما في الوعاء هو الذي يكون بهت سامعاً أو حسيماً لا قيمة له

ومعه كبريؤه نصاً من أن يرجع إلى الله بشئ غرضه الصريح ، وهي من مصدر عبودته . وذلك طرد من رحمة الله لما آدم فيه مجرد أن أكل من الشجرة شعر بالخياء من الله ، فحجاً إليه مسعراً تائباً مسياً ، وتمثل فيه مظهر عبودية حبيب وأصبح الدعاء

« يا طيباً أنت رب لم يعمر لنا وبرحمته نكون من الخسرين »^(١)

آيات في الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم (حمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) سورة الفاتحة .
(وإذ قال موسى لقومه إيا الله بأمركم أن تدعوا بقرة ، قالوا نتحدثا هرواً ، قل : أعود بالله أن أكون من الجاهلين)^(٢)

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من بيت وإسماعيل ربنا نقل منا بك أنت لسمع العليم ربنا وأجعلنا مسلمين لك ومن دهرنا أنه مسلم لك . وربنا مناسكنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم)^(٣)

(ومنهم من يقول ربنا آتانا في دنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقمنا عدب النار)^(٤)

(فلما فصل طالوت بالجنود قال إيا الله من ليكم بهر . من شرب منه . فليس مني . ومن لم يطعمه فإنه مني . إلا من اغترف غرفة بيده . فشربوا منه إلا قليلاً منهم . فلما خاوره هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقه لنا اليوم بالجنود وجوده .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٧ ١٢٨

(٤) سورة البقرة آية ٢٠١

(١) سورة الاعراف آية ٢٢

(٢) سورة البقرة آية ٦٧

قال الذين يطمنون أنهم ملائكة لله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بدين الله ، والله مع الصابرين . ولا يروا لحوت وجوده . قالوا ربنا أفرغ علينا صيراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ^(١)

(آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ، والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله ، وقوا سمعاً وأطعوا ، غفر الله ربنا وإليك نصير

لا يكلف الله عبداً شيئاً ولا وسعها لها ما كسبت وعليها ما كسبت . رب لا تؤخذنا من غير حس أو خطأنا . رب ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا . رب ولا تحمنا بالملاطفة . رب واعظنا ، وادعنا ، واغفر لنا ، ورحمنا . أنت مولانا . فانصرنا على القوم الكافرين ^(٢) .

(رب لا تزعج قلوبنا بعد إذ هدانا وعبنا من ربك رحمة ، بك أنت الوهاب ^(٣))

(الذين يقولون رب إننا آمننا ، فاعمر لنا ديننا ودينا عذاب النار ^(٤))
(هاتك دعا ركب ربه . قال رب هب مني مدد ذرية طيبة لك سميع الدعاء ^(٥))

(رب أقم لنا أثر ربك واتبعنا رسولاً ، فكتبنا مع الشاهدين ^(٦) .
(وما كان قولهم إلا أن قل ربنا أعمر لنا ديننا ودينا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا ونصرنا على القوم الكافرين ^(٧))

(ربنا ما حقت علينا باطلاً سبحانه فهدنا عذاب النار ^(٨))
(رب إن سمع مدد مددي للإيمان أن موبركم هماً . رب فاعمر لنا ديننا وكفر عنا سيئات . ونوفنا مع الأبرار . ربنا وآت ما وعدتنا على رسيت . ولا تحزن يوم

- | | |
|-------------------------------|---------------------------|
| (١) سورة البقرة آية ٢٥٩ ، ٢٥٠ | (٥) سورة آل عمران آية ٣٨ |
| (٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ ، ٢٨٦ | (٦) سورة آل عمران آية ٥٣ |
| (٣) سورة آل عمران آية ٨ | (٧) سورة آل عمران آية ١٤٧ |
| (٤) سورة آل عمران آية ١٦ | (٨) سورة آل عمران آية ١٩١ |

القيامة أنت لا تخلف الوعد) ^(١)

(لندين بقولك ربنا أخرجنا من هذه غمرية الضام أهلبنا . و اجعل لنا من لدنك
وبنا واجعل لنا من لدنك بصيراً) ^(٢)

(واد سمعو يا رب إلى رسول ترى أعينهم نقص من أدمع محمد عروها من
الحق . يقولون ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين) ^(٣)

(قل عسى أن يرهم اللهم ربنا أنزل علينا من السماء تكون لنا عيد
لأول وأخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرزقين) ^(٤)

(واد صرفت نصبرهم بقاء أصحاب الدار . فاقولوا ربنا لا نجعلنا مع القوم
الظالمين) ^(٥)

(وماتنهم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما حدثنا . ربنا أخرج علينا صبياً ونوعنا
مسلمين) ^(٦)

(قال رب اعصر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك . وأنت أرحم
الراحمين) ^(٧)

(فاقولوا على الله توكلنا ربنا لا نجعلنا فتنه لنقوم الصالحين ونحن يرحمتك من القوم
الكاثرين) ^(٨)

(رب اجعني مفيم الصلاة ومن دريتي . ربنا وتقبل دعاء . ربنا اعصر لي
وبولدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) ^(٩)

(يد أوى الفتية إلى الكهف فقالوا . ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهبنا لنا من
أمرنا رشداً) ^(١٠)

(٦) سورة الأعراف آية ١٢٦

(٧) سورة الأعراف آية ١٥٦

(٨) سورة بؤسر آية ٨٥ ، ٨٦

(٩) سورة إبراهيم آية ٤١ ، ٤٢

(١٠) سورة الكهف آية ١٠

(١) سورة آل عمران آية ١٩٣ ، ١٩٤

(٢) سورة النساء آية ٧٥

(٣) سورة المائدة آية ٨٣

(٤) سورة المائدة آية ١١٤

(٥) سورة الأعراف آية ٤٧

(قال رب اشرح لي صدري ، ويسر لي مري ، وحلل عقدة من لساني فهوا
قولي)^(١)

(فتعدي الله الملك الحق ، ولا تمحل بالقرآن من من أن يعصى بملك وجهه ،
وقل رب ادلي علي)^(٢)

ودا اللون يد ذهب معصفاً فقل أن لن تقدر عبه هادي في الطهات أن لا يله
إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

فاستحنا له ، وعيناه من الغم وكذلك سحى المؤمن
(وركبنا يد هادي ربه ، رب لا تسرى فرداً وبك خير عارثين فاستحنا به ،
ووهب له حسي وضحنا له وجهه . بهم كانوا يسرعون في الحيرت ويدعونا رعباً
ورهباً ، وكنوا لنا حاشعين)^(٣)

(قل رب إما ترسي ما وعدون . رب فلا تخملي في يوم الظالمين)^٤
(وقل رب عودك من هرب لشياطين وأعودك رب أن يحصرون)^(٥)
(إله كان فريق من عبادي يقولون ، ربنا أما فاعصر لنا وارضنا وأنت خير
الراحمين)^(٦)

(وقل رب اعصر وارحم وأنت خير الراحمين)^(٧)
(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها
ساعة مستقراً ومقاماً)^(٨)

(والذين يقولون ربنا هب لنا من أرواحنا ودريانا قرّة أعين وجعدا للمتقين
إماماً)^(٩)

(رب هب لي حكماً وأخضى بالصالحين
وجعل لي لسان صدق في الآخرين

-
- | | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة طه الآيات : ٢٥ - ٢٨ | (٦) سورة المؤمن آية ١٠٩ |
| (٢) سورة طه آية ١١٤ | (٧) سورة المؤمن آية ١١٨ |
| (٣) سورة الانبياء الآيات ٨٧ - ٩٠ | (٨) سورة الفرقان آيات ٦٥ ، ٦٦ |
| (٤) سورة المؤمن آيات ٩٤ ، ٩٥ | (٩) سورة الفرقان آية ٧٤ |
| (٥) سورة المؤمن آيات ٩٧ ، ٩٨ | |

وإحسني من ورثة حبه النعم
وعمر لأني به كن من الصديقين
ولاخوف يوم يعتدل
يوم لا يسمع من ولا نور
إلا من لي لله قلب مستم

(نستم صاحكاً من قولها ، وقال رب أودعني في أشكر نعمتك لي نعمت
علي وعلى ودي وأن أعمل صابراً ترصده ، وأدعني برحمتك في عبادتك
صالحين) ^(٦)

(قال رب إلى طاعت نفسي فاعف عني ، فعف عنه ، به هو لعفون الرحيم) ^(٧)
(محرج منها حائثاً يترقب ، قال رب عني من «قوم الظالمين») ^(٨)
(ربنا وصعت كل شيء رحمة وعبداً ، فاعف لدين تبوا واتبعوا سبيلك ،
وقهم عذاب الجحيم

ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم ،
ودريائهم إليك أنت العزيز الحكيم) ^(٩)

(فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد)
(ربنا اكشف عما العذاب إنا مؤمنون) ^(١٠)

(قال رب أودعني في أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صابراً ترصده وأصبح لي في دربي إلى تت إليك وبي من المسلمين) ^(١١)
(ليس لها من دور الله كاشفة) ^(١٢)

(والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا عسر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان
ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إليك رعو ف رحيم) ^(١٣)

(١) سورة الشعراء الآيات ٨٣ - ٨٩	(٦) سورة غافر آية ٢٤
(٢) سورة نمل آية ١٩	(٧) سورة النحل آية ١٢
(٣) سورة القصص آية ٢٦	(٨) سورة الأسماء آية ١٠
(٤) سورة القصص آية ٢٦	(٩) سورة النعم آية ٥٨
(٥) سورة غافر آية ٨٠ - ٧	(١٠) سورة الخضر آية ١١

(ربنا عليك توكلنا وإليك أنصنا ، وإليك المصير

(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا رب إناك أنت العزيز الحكيم) ^(١)

(يوم لا ينجز الله النجى والذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم ، وبأيمانهم

يقولون ربنا أقم لنا نورنا واغفر لنا ، إنا على كل شيء قدير) ^(٢)

(قل أعود برب العلق . من شر ما خلق ومن شر عبث إذا وقف . ومن شر

انفثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد) ^(٣)

(قل أعود برب الناس . ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس

لدى يوسوس في صدور الناس من الخلق والناس) ^(٤) .

(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ، مالك يوم

الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدها الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

عليهم غير المعصوب عليهم ولا الضالين) آمين . ^(٥)

القرآن يرسم طريق النصر

يقول الله سبحانه وتعالى

(إنا الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم اجنة يقاتلون في سبيل

الله . فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى

بعهده من الله . فاستنشروا ببيعكم انى بايعتم به ، وذللك هو الصور العظيم) ^(١) .

أخرج أبو حاتم ، وس مردويه . عن حمير رضى الله عنه قال أرسلت هذه

الآية الكريمة على رسول الله ﷺ ، وهو في المسجد ، فكثرت أساس في المسجد .

فأقبل رجل من الأنصار نائياً طرقي ردائه على عاتقه . فقال يا رسول الله أرسلت هذه

الآية ؟ قال : نعم فقال الأنصارى : بيع ربيع ، لا نقل ولا استنقل

(١) سورة التوبة

(١) سورة الممتحنة ١٠ ، ١١

(٢) سورة الفاتحة

(٢) سورة التحريم ١١

(٣) سورة التوبة آية - ١١١

(٣) سورة العلق -

وقد فرح المسلمون بهذه لأنه حينها رآب فرحاً كثيراً . وذلك أنها ليست لهم في صورة اتيقن أن لجهاد حراؤه الجنة . سواء أكانت نتيجة النصر أم كانت نتيجته الاستشهاد

إن الجهاد على أى وضع كانت نتيجته ثمة الجنة . ورسول الله ﷺ يقول
« الجنة تحت ظلال السيوف »

ولقد صور الله سبحانه وتعالى جهاد المؤمنين . وذل أموالهم وأنفسهم فيه . وإثابة الله لهم على ذلك باحة . قد صور الله ذلك بالبيع والشرء
والمعقود عنه هو الجهاد . والشئ هو الجنة . والبائع هو المحاهد . والمشتري هو الله سبحانه . ومكان البيع هو ميدان المعركة . وتسجيل العقد في عدة جهات موثوق بها هي الكتب السماوية

والربح مؤكد على أنه حال كانت نتيجة الجهاد . لأنه سبحانه لم يجعل المعقود عليه كونه مقتولين فقط . بل إذا كانوا قاتلين أيضاً لإعلاء كلمته ونصر دينه ^(١)
أما المزمعون الذين باعوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقد ذكر الله صفاتهم وعده واحدة واحدة . فهم الثائون

وأول ما ذكر الله من الصفات التي لا تأتي للمؤمن أن يستقيم في صفته بالله إلا بها وهي صفة التوبة فهم الثائون والتوبة صفة يحبها الله سبحانه وتعالى يقول سبحانه (إن الله يحب التوابين) المقرة ٢٢٢

ولله صرح بها . بقول صلوات الله وسلامه عليه . إن لله يصرح بتوبة عبده المؤمن

وهم العابدون . إنهم عابدون بجهادهم . وهم عابدون بعبادتهم . وهم عابدون بأقوالهم . عد صبروا حبائهم في كفاحها وفي صدها وفي قولها وصبرها وفي حركتها وسكونها إلى عادة . فتحققوا بقوله تعالى

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الداربات / ٥٦

وهم المحامدون لله في السرء والبصرء . في العسر واليسر . في البرحاء والشدء

(١) انظر تفسير الكشاف في ذلك

لأنهم يعصون إر حكمة لله فوق كل حكمة وتصريحه أحكم تصريح
 وهم السائحون أى يطرقون كل وسائل في سبيل الرقي البدني بالسباحة في
 بحال المعرفة ، والسباحة في بحال العلم ، والسباحة في بحال عبادة ، وشعارهم أن
 من سوى يوماً فهو معصون ، ومن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان ، والسباحة هي
 الصرب في جميع الحالات تقريباً من تكامل الذي يحبه الله للمؤمن
 وهم الراكعون الساحدون أى المصلون في خشوع وخصوع
 وهم لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد أن تتنزه بالمعروف والنهي
 عن المنكر في أنفسهم ، وحدث ما عجز الله عنه سبحانه بقوله (ولقد طعن حدود
 الله) (١)

وبعد فإن الآية الكريمة تنهى بقوله تعالى (ونشر المؤمنين)
 ونشرها بمؤمنين لصادقين علم مطلق ، نشرهم بنور ، نشرهم بالأمس ،
 نشرهم بالسعادة ، ونشرهم بالنصر
 ونعود إلى الآية الكريمة من جديد
 (يا الله أشرك من المؤمنين أنفسهم وأموهم بأن هم حية) (٢)
 يا هذا العهد واستعاض به الله والمؤمنين بما هو عهد الإيمان يبيع فيه المؤمن نفسه
 وبذاته يقدمها إلى الله فلا سجل بالمال في نفسه سبحانه ، ولا يتحل بالنفس حينما
 تقتضي الظروف الدن وتنصحه واعدائية .
 والإيمان إذن - ومن شرطه الخود بطلب والنفس - وهو أول خطوة أساسية
 جوهرية في طريق نصر من هو خطوة بدنية لا يكون هناك بدأً بأس مستقيم ،
 تعتمد عليه الأمم ، ويعتمد عنه لصدده في سبيل اتحاد مكاب كريم بين الدول
 على أن القرب لابد للمؤمن مؤمناً صادقاً إلا إذا كان مجاهداً عنه ونفسه في
 سبيل الله

(يا أيها المؤمنون اتقوا الله ورسوله ثم لم يرتدوا ، وجاهدوا بأموالهم

(١) سورة التوبة آية ١١٢

(٢) سورة التوبة آية ١١١

وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون^(١)
 ما بدأ كان للإيمان ضعفاً مرعراً مأرحاً فإن سجد ذلك نكون ساطقاً عن
 خروج إلى الجهاد ، بل تكفياً عنه

(لاستدراك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يحشدوا بأنفسهم وأنفسهم .
 والله أعلم بالمتقين إنما يستأذلك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . وارتأت
 فلوهم فهم في . بهم يرددون^(٢))

بل أن وجود عناصر التي لا عملاً للإيمان أفق في صفوف المحمدين نصر
 قصتهم

(لو خرجو فيكم مراءدوكم إلا حالاً ، ولأوصعوا حلاككم . عوكم الفتنة
 وعكم سماعو لهم^(٣))

وصعفاء الإيمان ، ومن لا إيمان عندهم يستحقون حين يبدأ البصائر ويتخلصون
 عن الجهاد مرحين بسبب .

(خرج المحققون بمعصدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يحشدوا بأنفسهم
 وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تسفروا في الحرب . فل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا
 يقفون^(٤))

وأنمر بغير الرسول ﷺ أن يعزل هذه العناصر عن معسكر المؤمنين وألا يأذن
 لهم بالمشاركة في الجهاد

(فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فستدبوك لخروج . فقل لن تخرجوا معي
 أبداً . ولن تقاتلوا معي عدواً . انكم رصيم بالقعود أول مرة . وعدوا مع
 الخلفين^(٥) التوبة ٨٣

هذا الإيمان به هو يعني يستعد ويبقى للأمر عاده ولا يدع صغيرة ولا كبيرة
 من أمر العتة للجهاد إلا حكمها ، ومن هنا كانت لخطوة (الثانية) في طريق النصر
 بمثابة في قوله تعالى .

(١) سورة التوبة آية ١٧

(٢) سورة الحجرات ١٥

(٣) سورة التوبة آية ٨١

(٤) سورة التوبة ١٢ ١٥

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأفعال/ ٦٠

وهذه قوة لا تقتصر على القوة البدنية ، و إنما تتضمن وتوسع دورها لتشمل
التعبئة الروحية .

وبما لاشك فيه أن التعبئة الروحية قوة دفعه نحو الثبات في لقاء العدو والإقدام
في شجاعة نحو تحقيق النصر

(يا أيها الذين آمنوا إذا لستم منه أولي أمرًا فادعوا إليه فإني أخشى الله كثيرًا لعلكم تفهمون) ^(١)
والتعبئة الروحية إنما تثبت دعوتها وتؤتي ثمارها حتى يكون الهدف من الجهاد
واضحًا سافرًا

ومن هنا كانت الخطوة الثالثة التي رسمها القرآن في طريق النصر . وهي وصول
الهدف والمهدف القرآني من الجهاد ، ولا بأس من ذكره مرة (ثانية) ليس عرصه
مدياً أو حظاً دنيوياً وما كانت محركة لمجاهد يدب بصيها . أو امرأة يكسحها . إنما
محركته إلى الله ورسوله . ومعنى ذلك أن هدف الجهاد إنما هو إعلاء كلمة الله .
وكلمة الله هي الحق وهي العداوة وهي الرحمة وهي الأخوة . وهي السلام
العالمي ، بالنسبة للفرد في نفسه ، ودمه ومانه وعرضه . و بالنسبة للأمة في كرامتها
وعزتها وكل مقدساتها

(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) ^(٢)

والتعبئة بروحه كفيلة بأن تجعل الأمة في جهدها كائناً ، برصوص ومن هنا
كانت الخطوة الرابعة التي رسمها القرآن في سبيل النصر

(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم رجال مرسوقين) ^(٣)

(ولانادعوا فتعشوا وتذهب ربكم وأصبروا إن الله مع الصابرين) ^(٤)

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ^(٥)

هكذا ، مؤسوس الشيطان سراعاً أو خلاف . وإذا ما تحدثت لنفس صرعه

٤ سورة الأفعال آية ٤٦

٥ سورة آل عمران آية ١٠٢

(١) سورة الأنفال ٢٠

(٢) سورة النساء آية ٧٦

(٣) سورة الصف آية ٤

رشقان فإن طريقة نسوية ذلك مرسومة واضحة
(فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
ذلك خبير وأحسن تأويلاً)^(١)

إن الأمة التي تصرا الله باتباعها تدس خلاصه من صميم الله في النصر ووعد
ه ، ووعد الله لا يتحلف

(إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)^(٢)

(ولينصرون الله من نصره ، إن الله يقوى عريز)^(٣)

أما موقف الأخير فهو التوقيض لله سبحانه ، وثقة فيه وحده والاعتماد عليه
لاعلى النفس أو القوة المادية ، أو أى شئ آخر ، وقد أعطى الله المسلمين درساً
فاسداً حيناً عمدوا على قلوبهم وكثرهم ، وعلى نفوسهم وعدتهم وعتادهم وقالوا
الرب يعذب اليوم من قبله

كان ذلك في عروة حنين ولقد صور الله موقف تصويراً قوياً فساد سبحانه
(لقد نصركم الله في مواضع كثيرة ، ويوم حنين - إذ أعجبتكم كثيرتكم ، هم
عن عنكم شيئاً ، وصاف عليكم الأرض بما رحبت ثم وليهم مدبرين ، ثم أنزل الله
سكته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها ، وعدت الناس كهموا ودينك
جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ، والله غفور رحيم)^(٤)

(١) سورة النساء آية ٥٥

(٢) سورة الحج آية ٢

(٣) سورة محمد آية ٧

(٤) سورة التوبة الآية ٢٥ - ٢٧

الكتاب الثاني

النبي ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ، إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا ، وَمُبَشِّرًا ، وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا
 إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَصِرَاحًا صَبِيرًا ، وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 فَضْلًا كَثِيرًا ، وَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَدَعِ أَهْلَهُمْ وَتَوَكَّلْ
 عَلَى اللَّهِ ، وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿ الْأَحْرَابُ / ٤٥ ٤٨

تمهيد

١

يحدث بقرآن الكريم عن رسول الله . صلوات الله وسلامه عليه . في كثير من
سوره . يقول سبحانه .

(تَبٰرَكَ الَّذِي اَرْسَلَكَ شَهِيدًا وَمَشْرًأً وَبَدِيًّا وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِدِينِهِ وَسِرَاجًا
سِرًّا) الأحراب / ٤٥ . ٤٦
ويقول سبحانه .

(من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فإِىْ اَرْسَالِكَ عَلَيْهِمْ حَصِيظًا)
النساء / ٨٠

ويقول سبحانه .

(قل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)
آل عمران / ٣١ .

ومن أجل هذه الصفة لإلهية برسول الله ﷺ أيدى الله سبحانه وتعالى
إلى اتحاد الرسول أسوة . فقد سبحانه

(لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله . واليوم الآخر وذكر
الله كثيرا) الأحراب / ٢١

من أمرنا سبحانه . أن نأخذ ما آتانا . وأن سنهت عما سها ما عنه . وهددنا إذا لم
نلتزم ذلك ، فقال سبحانه

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إِنْ الله شديد
العقاب) الحشر / ٧

فما السر فى ذلك فهو :

١ - أن الرسول صلوات الله عليه لا يطلق عن أهوى . ولا يحرف عن صراط الله المستقيم وقد أهدى الله تعالى على ذلك . فقال سبحانه (وسبحم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى . وما يطلق عن هوى . إن هو إلا وحي يوحى) المزمع / ١ - ٤

٢ - كان رسول الله - صلوات الله عليه في جميع أحواله حركة وسكوناً . بإشارته وبطقاً عاماً وقائماً يمثل القرآن الكريم وقد كانت صلوات الله عليه تطبيقاً للقرآن . فقد لُسن القرآن ظاهراً وباطناً . فقد كان قرآناً وقد وصفه السيدة عائشة ، رضي الله عنها ، وصفاً دقيقاً . حينما سألت عن حقيقته ، فقالت : « كان حقيقه القرآن »

ومن كان خلقه القرآن كان أسوه ، وكان قدره . وكان على حق عظيم . ومن هنا وصف الله سبحانه وتعالى إذ يقول (وإنك لعلی خلق عظیم) الفلم / ٤

٢

ولحق أناساً حينما يريد أن يكون صوره واضحة بصفة عن رسول الله . صوبت الله عليه فإن الطريق الوحيد لذلك إنما هو الإحاطة بالقرآن بإحاطة وصحة تامة . والإحاطة بالقرآن على هذا هو السبيل من السهولة بمكان . بل ليست ممكنة بالقرآن في كل يوم يتفتح عن معان جديدة للإنسانية . ويتفتح عن معان جديدة شخصاً تتأمل التدرج وهذه المعاني الخفية . بسايقه عامه أو فردية شخصية بما هي إيضاح وتفسير لصورة لنسوة الكريمة

والعكس نصاً صحيح فإن التندب التامل في الصورة النسوة الكريمة عن طريق سيرة الصحيحة ، ولا حديث المعتمدة يفهم عن الرسول ، صلوات الله عليه كل يوم جديد . وهذا يفهم إنما هو تفسير ويصاح لخواص من القرآن الكريم

لقد مترج الرسول ، صوبت الله عليه ، بالقرآن - كما قدمنا روحاً ، وفلاً .

وجسماً ، وامترح القرآن به عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً . فكان صلوات الله عليه قرآناً يسير في الناس . وكان القرآن روحاً يتقل ، وكان قلباً يبص . وكان لساناً يطق بهداية والإرشاد .

ولقد كان صلوات الله عليه حريصاً كل الحرص على أن يكون حلق الأئمة للإسلامه - القرآن ، لقد عمل لذلك طيلة بعثته وخدشا القرآن الكريم عن موقف لرسول صلوات الله عليه من الأئمة فيقول سبحانه

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عِشْتُمْ حريصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رحيم) لقوة / ١٢٨ صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله وتحدث . صلوات الله عليه ، عن حرصه الشديد على هداية أئمة فيقول « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل خنادق والفرش يقع فيها . وهو يسهن عنها . وأنا آخذ تحركهم عن النار . وأنتم تهتلون من يدي » . هذه هي صفة الرسول ﷺ - بره وهذه هي صفة أئمة

ولقد ارتفع صلوات الله عليه إلى السماء . من تجاورها إلى سدرة المنتهى ورأى من ثبات ربه الكبري لقد ارتفع إلى الأفق لأعلى . وتجاور بذلك للهباء كوكبية . لقد كان فعلاً ذي من قاب قوسين . فاعلم في الأفق الأعلى ، وتلقى عن الله مباشرة كيفية نصته به . وهي لصلاة . ثم ثم انسط إلى الأرض سراحاً مبراً . رءوفاً رحماً هادئ يدعو إلى الله على بصيرة هو ومن اتبعه يقول أحد الصالحين « صعد رسول الله صلوات الله عليه إلى السماء . ثم عاد إلى الأرض ، أفسم الله نر صعدت إلى السماء لما حاولت العودة إلى الأرض مرة أخرى » .

بيد أن الرسول صلوات الله عليه نبي ورسول . فهو متصل بالله دائماً إنه في اسماء على الدوام . وهو متصل بأسر . ويؤدي رسالة السماء كاملة غير منقوصة إنه كان على حد بعير القرآن (بشرٌ سولاً) لإسراء ٩٣ فهو بشريه مع أساس . وهو سره مع الله إنه مع الناس بإرادة الله وبوجهه وأمره ، إنه مع الناس

بكلمة الله ورسالته ، إنه مع الناس رسول من قبل الله .
 وهذه المعاني كلها يمكن أن نقول إنه دائماً مع الله ، أو يمكن أن نقول
 إنه مدد اللحظة الأولى للبعثة لم يزل إلى الأرض بطه ، وإنما كان دائماً مع
 الله سبحانه وتعالى ، فهو صلوات الله عليه ست عدد ربه ، يقول ﷺ
 « لست كهيتكم : أبيت عدد ربي . »

٣

(قل . إنما أنا بشر مثلكم . يوحى إليّ) الكهف ، ١١٠
 به ، صلوات الله عليه « بشر » . وما يحول في حلد مسلم أبدأ أن يجرحه عن
 البشرية ، ولكنه صلوات الله عليه « بشر يوحى إليه »
 وماتت أبدأ أن يوحى الله إلى بشر إلا إذا أصبح وكأنه قطعة من النور صفاء
 نفس ، وطهارة قلب ، وتركيز روح
 ومتمهي القول فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

٤

ومعنى أساس حينما يقرأ القرآن الكريم فتمر عليه الآية الكريمة (قل إنما أنا
 بشر مثلكم يوحى إليّ) نقف عند كلمة « بشر » فحدود تركيز عليها ، وتوجيه
 لانتباه كنه إليها ، وتحويل الأنظار كلها نحوها . فيتحدث عن خصائص البشرية
 العادية ، ويبررها ، ويتدفع في هذا الاتجاه لتجرب اندفاعاً ، لا يتأسس أبدأ وقوله
 تعالى (يوحى إليّ) . بل إنه في اندفاعه المرحل يسي (يوحى إليّ) ويملأها
 إيمالاً

به ليس بدر في العصر الحاضر أن نحرؤ بعض أساس ، فحدث عن الرسول
 صلوات الله عليه وعن خطته معاد الله في الرأي ، وعن صفاته فيه ، ويسير
 هذا البعض في حدسه أو في كتابته مستشعاً ومضطرباً وحاكماً . ويسي في كل
 ذلك .

(ما يطق عن هوى) بحم ٣ ويسى فى كل ذلك (بوحى إلى) .
 ويسى «ست كهتكم» ويسى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
 بعضاً) النور / ٦٣

وسى أن بعض المسائل يمكن أن تكون لها جوانب مختلفة كلها صحيحة
 بعضها رقيق رحيم . وبعضها عادل حاسم . وإن الله سبحانه وتعالى قد بين للأمة
 الإسلامية أن رسوله صلوات الله عليه وهو على صواب دائماً إنما يتحد لحل
 الذى يناسب مع ما أحلله الله به من الرفعة . وما فطره عليه - سبحانه - من
 الرحمة . وهو لحل الذى سبب طامع الرسالة الإسلامية العالم
 (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء / ١٠٧

والله . سبحانه بيانه ذلك فى هذه المواضع التى كان من الممكن أن يقف فيها
 لرسول صلوات الله عليه مع العدائين حاسمه . فعدى عن ذلك إلى رفته
 برحيمه . بل الله . سبحانه وتعالى بيانه ذلك إنما يمدح الرسول . صلوات الله
 عليه . وسى أن منزع الرحمة إنما هو لعالم عليه . صلوات الله عليه
 وم بلغ الله سبحانه خاهاً عاماً سار فيه رسولون وم ينص نصه كتب
 قرها صوت الله عليه وم ينف بدأ أخته رسوله لما كان صلوات الله عليه يسير
 إلا على هدى من ربه وعلى نصيره من أمره وقد شهد الله له بذلك حيث قال
 (وبك تنهى إلى صراط مستقيم صراط الله .) الشورى ، ٥٢ ، ٥٣

وما فعل الله فى كل ما عسك به سحرفون . وتحدث فيه يتمحكون إلا بأن
 رحمة الرسول . صلوات الله عليه ورفته أى أنه - سبحانه - كان بين فى هذه
 أنواط فصله . صلوات الله عليه . وأنه كما وصفه سبحانه على حق
 عظيم . و بوب شاسع بين هذه الواجهة الرأية وبين التحدث عن خطأ وصوب .
 وأوصاف بشرية يركز عليها ولا ينتهت لسواها

ونصرت لذلك مثلاً . ب الذين دهمهم الخذل سجد ثوب كثيراً عن قومه .
 تعالى (عذ الله عنت . م أدت هم ٧) النوبة ٤٣ ويعدون مباشرة بوقهم
 ب انعموا لا يكون إلا عن حظ

وهؤلاء يقولون : الأساليب العربية فيها من أمثال هذا الكثير . ومنه قوهم
مثلاً : عجز الله عنك . لم تشق على نفسك كل هذه المشقة ؟
عجز الله عنك . لم تعي نفسك في سبيل هؤلاء ؟ وكأن الغافل يقول
رضي الله عنك . لم ترهق نفسك كل هذا الإرهاق
إن الآية القرآنية من هذا الوادي

وخصم هذه الآية الكريمة إلى أختها نبي في سورة النور (فإد ستأذونكم بعض
شأنهم فأذن لمن شئت منهم) آية ٦٢ . محمد المعنى واصحاحاً حلياً ، وهو أن الله -
سبحانه - قوص الأمر نبيه . صلوات الله عليه . في أن يأذن لهم أو لا يأذن
ليس انسي إذن معاننا هذه الآية وحاشاه من كان صلى الله عليه وسلم محيراً . فلما أذن
لهم . أعلمه الله أنه لو لم يأذن لهم لقدروا . ولتجمعوا بسبب عاقبتهم . وأنه مع ذلك
لا يخرج عيبه في الإذن لهم إنها آية مدح لرسول عايه في الرقة . ومن غير شك قد
صدر الإذن لهم عن قلب رحيم . وعن هذا قلب الرحيم . وعن هذه الرحمة
الخاصة . كان الرسول صواب الله عليه صدر في أحكامه . وما كان لي ذلك إلا
مسعاً بقوته تعالى (وما أرسناك إلا رحمة للعالمين) لآية ١٠٧
وهكذا الأمر في كل ما يمدري فيه للمارون

٥

ومع ذلك فإننا نريد الأمر وصوحاً في أعرق بين من يركز على « شر » ومن يركز
على « بوحى » إلى « لأهيمته الكبرى » . فمفص القصص التالية دت المعرى العيب
وانقصه يروها ابن عطاء الله اسكندري رضي الله عنه في شرحه لفصدة ولي
الله : « أبو مدين » رضي الله عنه . يقول :

زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد - رضي الله عنه - وقال
هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد ؟

فاشير إلى شيخ كبير في السن كان حاضراً هناك .
فقال له : هل سمعت شيئاً من كلام أبي يزيد ؟

فقال نعم سمعته قال : « من دارى لاحرقه النار »
 فاستغرب سلطان ذلك الكلام ، فقال كيف بقول أبو يزيد ذلك .
 وأبو جهل رأى النبي - ﷺ - ونحرقه النار ؟
 فقال ذلك الشيخ لسلطان أبو جهل لم ير النبي - ﷺ - أي رأى « يتم
 أبي صلب » ولو رآه ﷺ لم تحرقه النار
 فهم السلطان كلامه ، وأعجبه هذا الجواب منه . أي أنه لم يره بالعظيم
 ولا كرام والأسوة . واعتقد أنه رسول الله . وورآه بهذا المعنى لم تحرقه النار لكنه
 رآه باحتقار ، واعتقد أنه « يتم أبي طالب » : فهم تمنعه تلك الرؤية
 ولستأ هنا بصدد الحديث عن أبي يزيد - رضي الله عنه - وإنما يريد أن
 يحدث عن كلمة الشيخ لسلطان من أن أبا جهل لم ير النبي - ﷺ - وإنما رأى
 « يتم أبي طالب »

هذه الطرفة لأبي جهل هي التي يريد أن يتره المؤمنون عنها
 والمؤمنون بحمد الله لا يقعون في هذا ، لأنهم متعمدين ، وإما بتسل هذا الإيم إلى
 بعض أسفوس في صوره لاشعوريه عند مركز بعضهم على شريه الرسول
 صوات الله عليه - وكأنه لاشيء فيه غير البشرية
 ومن عرب أنه حينما يتحدثون عن البشرية ، ويركزون عليها يعتبرون
 أنفسهم تقدميين متطورين وفاهم أن هذه نظرة لأبي جهل إنما هي الطرفة التي
 تشبها المستشرقون والمثليون في العصر الحاضر . ليقللوا من شأن الرسول في نظر
 مواطنهم

أما كما استشرفوا في تركيزهم على شريه الرسول ، لا متابعين في ذلك
 رعيهم الأكبر - في هذه المرحلة وهو أبو جهل وكل من يركز على شريه
 الرسول من كتاب المسلمين إنما هو ذلك يتابع المستشرقين والمثليين في هذه
 المرحلة وسابع أن جهل وهم في ذلك نسو تقدميين ولا متطورين ، وإما هم من
 المرحبين حيث يرجع فكرهم إلى ما قبل ثلاثة عشر قرناً مضت يترعمهم فيها
 أبو جهل بكلمه . وأبو الطحمة القلبية كلها !

ليس هناك إذن اجتهاد وخطأ وصبوب ، وإنما هناك تصرفات تصدر عن لكرم
والرحمة ، فنحدث الله مسأ طسعة ، سوله الكريمة وفطرته الرحمة ورفقته
الوصحة ، ويبين في الوقت نفسه أن بعض هؤلاء الذين فاضت عليهم هذه الرحمة
يسوا حذيرين بها ، وليسوا أهلاً لها لفساد فطرهم وسوء نواياهم
ومن لحقائق المعروفة أن الإنسان يميل إلى التركيز على « شر » أو على « يوحى
إلى » على حسب قوة شعوره الدينى وضعفه ، فلهى لا يمان له لا يرى إلا
المشرية ، ومن ضعف إيمانه يركز على المشرية ، وذهب التركيز على المشرية كلمة
قوى للإيمان ، ويردد التركيز على « يوحى إلى » كما اردد للإيمان ، حتى يصل
لإيمان إلى ألا يرى أو لا يكاد يرى إلا « يوحى إلى » صدوت الله وسلامه عليث .
باسيلى يرسوب الله .

وهناك إذن طرفان يمثلان فريقين من الناس طرف « شرأ » أو « قل » بما أن
بشر مشكم .
وطرف « يوحى إلى » أو « رسولا » وبين الطرفين يتأرجح عدد لا يحصى من
المسلمين نزولاً وارتفاعاً ، انخفاضاً وسموا .
وإن مقاس الإيمان قوة وضعف مقاس درجة الإيمان لدى لا يخطئ ، إنما هو
ما وقرى القلب أو غلب عليه ، من « لبشرة » ومن « يوحى إلى » إلهما يمثلان
ما يوصع فى كهفى ميزان
دع ما ادعته البصارى فى نيههم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

٦

ولعدت تنسأ لآن عن هذا لدى لا يرى . أو لا يكاد يرى إلا « يوحى إلى »
ماذا يرى ؟ وكيف يرى ؟
ماهى النظرة التى تنأى بها عن « تتم لى طالب » لتقربنا من . « الأسوء »
كيف يسعى أن تكون نظرة المؤمن رسول الله صنوات الله عليه ؟
ولواقع أن الصورة الكاملة عن رسول الله صنوات الله عليه يلزمها أن

يصل الإنسان إلى مسواه صوت الله عليه . أو يقرَّب من مسواه وذلك لا يأتى

سداً أنه إذا استحال ذلك فإنه من المستور أن يورد صورتين . أحدهما حاضيه
والأخرى إسلامية . والصورتان سيدنا عمر رضي الله عنه

أما لصوره الأولى فإنه « يتم أنى طالب ذكر سيدنا عمر يراه قبل أن يهديه
لله للإسلام . و أراد سيدنا عمر أن يقتل « يتم أنى طالب » حتى لا تتفرق كلمه
لقرشيين بسبه . ولكن دعاء سوان لله صوت الله عليه « اللهم أعز الإسلام
بأحب هذين الرجلين إليك » عمرو بن هشام . أو بعمر بن الخطاب » كانت قد
استحييت لخير سيدنا عمر . فهذه لله للإسلام . ولأرم الرسول صوات لله عنه

فدله من بركته . ومن حيزه مدهة لأى يكون خليفه ثانى للأمة الإسلامية
أجمع . وأن عمر لله للإسلام . في حيزه رسول صوات الله عليه . وبعد وفاته
إن سيدنا عمر . هذا ممدى م يكمل للشعوب عنه من سسل . وألدى كان إذا
سلك طريق سلك الشيطان طرف آخر حظه منه وهذه . وألدى برز انصراف حباناً
مصدقاً لما آتاه سيدنا عمر . صاحب « يسارية الخيل » يرمم أن صورته إسلامية
ليده . وحيه . وصديقه . وبيه . صلوات الله عليه

ونكس هذه الصورة هى صورة سيدنا عمر إنها تناسب مستوى سيدنا عمر . وهو
من عبر شئت عظيم

ممد كان يمكن أن يكون سيدنا نو بكر رسول الله عليه . وممد كان يمكن أن
يكون سيدنا عى . رضى الله عنه . وممد كان يمكن أن يكون وصف سيدنا حريز
له وصفه ٧

إن الله سبحانه وعالى يقول عنه صلوات الله عليه

(وإليك لعلى خلق عظيم) النجم/٤

وما كانت كلمة أسدة عذشه رسول الله عليه « كان حقه القرآن » إلا
تفسيراً لما شارف إليه لأنه كريمة . « يمكن أن تصور الممدى الذى سمعه لآيه
الكريمة . وتفسير السيدة عائشة لها ؟ يتلى لك أن تحيط بالقرآن ؟ استمع لله وأتوب إليه

ونعده إن صورة التي حاول رسمها صاحب : «ياسارية الخيل» نعده إليها
نشتها شارحين بعض حودتها . موصحين لبعض أسائها . وسجعل الألباح من
قواس

بعد موت رسول الله ﷺ سمع سدينا عمر بن الخطاب يقول : «يا أيُّ نبي
وأبي برسول الله . لقد كان خدع يحط الناس عليه . فلما كثر الناس تحجب
سراً . لتسمعهم بعض الخدع لمراقب حتى جعلت يدك عليه عسكر . فأنت كذبت
ولي بالحسين إني لما فارقتهم بروى سحارى ومسلم وكتب بسبه كلها تمرساً وكتب
أسيره » . حادب حين خدع . بعده . روايات وسفل هذا إحدى روايات البحارى
عن بن عمر . صلى الله عليه . فان « كان لى ﷺ » . يحط إلى خدع .
فلما أخذ لمير يحوب إسه . بعض الخدع . فأناه . فصح يده عليه .
ياي نبي وأبي برسول الله . لقد بيع من فصيتك عنده . ن جعل طاعتك
طاعته . فقال عمر وحل .

(من يطع الرسول فقد اطاع الله) النساء/٨٠

ياي نبي وأبي برسول الله . لقد بلغ من فصيتك عنده أن بعثك آخر
لأنبياء . وذكرك في أولهم . فقال عمر وحل .

(وإد أحده من نبي مشفقهم وميث ومن نوح وإبراهيم) الأحراب ٧
ياي أنت يا رسول الله . لقد بلغ من فصيتك عنده أن أهل النار يودون أن
يكونوا قد أصدعوك وهم بين أصابعها معدون .

(يقولون يا ليتنا أطعنا الله ، وأطعنا لرسولاً) الأحراب/٦٦ .

ياي أنت وأبي برسول الله . نى كان موسى بن عمر . أعطاه الله . ححر
تنصحه الأهدر ليس ذلك بأعجب من أصابعك حين بيع من الماء . صلى الله
عليه

إن نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلوات الله عليه . لم يحدث مرة
واحدة : ولى حدث عنه مراب . رواه البحارى ومسلم وغيرهما من كتب لسه .
وروته كتب أسيرة بروايات عدة في ظروف مختلفة . لم يدل على كثرة حدوثه .

ونقل هنا إحدى روايات الإمام البخاري

عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال « عطش الناس يوم خديجة .
والسبي ﷺ بين يديه زكوة . فتوصاً فجهش الناس (فأسرعوا وتكاثروا) نحوه
فقال . مالكم ؟ »

فأبوا . ليس عندنا ماء نتوصاً ولا شراب إلا ما بين يديك . فوضع يده في
الزكوة . فجعل الماء يشو بين أصابعه . كأمثل العيون . فشربنا وتوصاً
فت . كم كنتم ؟

قال : لو كنا مائة ألف كهنا . كنا خمس عشرة مائة)

نأى أنت وأمى يارسول الله . لئن كان سياف بن داود أعطاه الله الريح غدوها
شهر ، ورواحها شهر ماذا بأعجب من لبرق حين سريت عليه ثم وصلت إلى
اسماء لسبعة . ثم صبيت لصبح من ليلتك بالأبطح ، صلى الله عليك
(ستحدث ، في فصل خاص عن الإسراء والمعراج) .

نأى أنت وأمى يارسول الله . لئن كان عيسى ابن مريم . أعطاه الله إحياء
ابنوتى - مددا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلتلك . وهى مشوية فقلت لك
بذراع . (لا تأكلنى أبى مسمومة) .

يروى ابن سعد في طبقاته :

أخبرني سعيد بن محمد الثقفي عن محمد بن عمرو . عن أبي سلمة قال « كان
رسول الله ﷺ لا يأكل الصدقة ، ولا يأكل الهدية . فأهدت إليه يهودية شاة
مصلية . فأكل رسول الله ﷺ منها هو وأصحابه . فقلت أبى مسمومة
فقال . لأصحابه : دفعوا أيديكم . فإنها قد أختبرت أنها مسمومة » قال فرفعوا
أيديهم ، قال . فمات بشر بن البراء ، فأرسل إليها الرسول - ﷺ - فقال .
« ما حملك على ما صنعت ؟ » فقالت أردت أن أعلم . إن كنت نبياً لم
يصرك . وإن كنت منك أرحت الناس منك ! قال : فأمر بها فقتلت » اهـ
نأى أنت وأمى يارسول الله . لقد دعا نوح . على قومه فقال :

(رب لا تدر على الأرض من الكافرين دياراً) نوح / ٢٦

ولو دعوت علينا مثلها طبعاً كلنا . ولقد وطئ ظهرك . تروى كتب السيرة أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيابه تبرأ - وأدمى وجهك ، وكسرت رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا حيراً ، فقلت : « اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون »

(لقد دمي وجهه ، صلوات الله عليه ، وكسرت رباعيته في (عروة أحد) .

روى ذلك البخاري ومسلم ، أما حديث

(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) فقد روه البيهقي في دلائل النبوة ، بأني

كنت وأمي يارسول الله . لقد اتعتك في قفة سلك ، وقصر عمرك مـم يتبع روحاً .

في كثرة سه . وطول عمره . ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل

بأنني كنت وأمي يارسول الله . لو لم تحالس إلا كفث لك ما جالست ، ونوم نكح إلا كفث لك ما نكحت إينا .

ولو لم تواكل إلا كفث بك ما واكتنا . فقد والله حالست ونكحت إينا

وواكتنت . وبست الصوف ، وركت الحمار ، وأردفت جلعت ، ووصعت

طعامك على الأرض تواصعاً منك - ﷺ !

ومن الطرف أن يذكر صورة أخرى استتاجية ، استتجها رجل لم يكن

يعرف لرسول الله صلوات الله عليه ، ولكنه رجل واسع الأفق رحب الخيال ، دقيق

للمعبر

وقد اتقن الاحتياط اللازم حتى لا يشوب الصورة أي مطس .

هذا الرجل هو : « هرقل »

تاه كتاب رسول الله صلوات الله عليه - يدعوه إلى الإسلام ، فلم يهمل

لكتاب ، ولم يترقه ، وإنما قرأه في عناية واتسه ، ثم أراد أن يكون صورة صحيحة

عن صاحب الخطب ، فسأل هل كان بالمدينة بعض العرب الذين يعرفون الرسول ؟

ف قيل له : إن في المدينة بجراً من مكة ، يعرفون محمداً باعتباره من مواطنهم . فأمر

بإحصارهم ، وكان منهم أبو سفيان :

وسأل هرقل عن قريتهم بدأ لي برسوب . فكان أنا سفسب . فقرره معه .
وأدبه . وقال لهم في سائله عن مو فإن كذبي فكذبوه
يقول أيوسف . لو الله حولا خيلاء من أن يأزروا على كذباً . فكذب عنه
وسترك المقدمات والأسئلة الأرنى لأها واضحه من النتائج التي انتهى إليها
هرقل

إن هرقل بعد أن انتهى من الأسئلة بدأ - عن صريو لرحب . يقول
لأن سفسب على مشهد من ملأ الحاضر من أصحاب هرقل . ومن أصحاب في
سفيان سألتك عن سسه

فذكرت أنه فيكم دو ست

فكذبت الرسل تبعث في سب قومها

وسألت هل قال أحد منكم هذا القول ؟

فذكرت . أن لا

فقلت . لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت . حل يا بني يقول هل قبله

وسألت . هل كان من آثائه من ملك ؟

فذكرت . أن لا

قلت . هو كان من آثائه من ملك قبل . حل بضرب منك أنه

وسألت هل كنتم تتهمونه . فكذب قبل . يقول ما قال ؟

فذكرت . أن لا

فقد أعرف أنه لم يكن لدر . لكذب على الناس ويكذب على الله

وسألت شراف أسس تعرفه أم صعدوهم ؟

فذكرت . أن صعدوهم اسعدوه

وهم أتباع الرسل

وسألت يريدون أم ينقصون ؟

فذكرت أنهم يريدون

وكذلك أمر لا يند حتى يتم

وسألتك : أيرتد أحد محطةً لديه بعد أن يدخل فيه ؟

فذكرت أن لا

وكذلك الإيمان حين لحاظ بشأته يقوِّب

وسألتك هل بعد ؟

فذكرت أن لا

فذكرت أرسل لا تعد

وسألتك هم بأمركم ؟

فذكرت أنه بأمركم أن يعدوا لله ولا يشركوا به شيئاً . ويهدىكم عن عبادة

الأوثان . وبأمركم بالصلاة ، والصدق والعدل

فإن كان مانعاً حقاً فسيتم موضع قدمي هاتين !

وهذا كذب أعلم أنه خارج . لم يكن أصله منكم . فهو في أعلم في شخص

به مجتمعت الفناء . ولو كذب عبده لعذب عن فممه

هذه بصورة لي كونه هرقل مطلقه . ويمكن أن يكون مثلثات لها

كل سائر أنواعه . ورحب بفكره . وكل بساط يصدق الله ولحق لا بد أن

يسمى بما انتهى إليه هرقل ، من قوله « لو كنت عبده لعذب عن فممه » . وإنما

يغسل عن فممه من أحسن « يوحى بن » يد أن من اصطفاه الله لرسالته حدير بأن

يكون أهلاً لذلك

يد أن هذه لهية نبي انتهى إليه هرقل إنما هي الشعر الدائم لدى لاستهي

بانتقال رسول لا لملأ الأعلى فارتد حتى بسد لآب رسالته وهدية وبعثته .

والغسل عن فممه الآن . أو تعب آخر احترامه إنما هو بانواع هديه . والبرام

رسائله . وتقديره نقديراً يناسب اصطفاه الله له ، صلى الله عليه وسلم

والعد ركز هرقل نوعاً ما على يصدق وإخلاص ، ونوقع أن صورته يصدق

وإخلاص كان يرهما كل من عرف رسول صلى الله عليه وسلم وم نعمة عصمه . أو حسد أو

هوى .

على أن صورة الصدق وإخلاص كانت سمة من سمات النبي تصف -

ترسوب قبل بعثته . وبعد بعثته ، صوات الله عليه . لقد لازمته صفة حدته . لقد كان مجرد الخبر ببقية صلوات الله عليه . يأخذه أعدى أعدائه على أنه واقع لا محالة . هدد أمية بن خلف . عدو لدود . نالحي هو ومعد بن معد رضى الله عنه . يريد أن يحمله من الطواف بالكعبة . فيقول له سعد بن معد في حدة مناقشة . لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول . إنه فأنك ويضطرب قلب أمية بن خلف . ويسأل في حفة وصعف وتحادل . هو قان ذلك حقاً ؟ علم أكد له سعد بن معد الخبر أنسقط في يده ، وقال . لئن كان ذلك لقد صدق . وقتل أمية بن خلف يوم بدر . على أن هذه الصورة تتمثل في وصوح بن حنينا أعلن رسول الله ، صلوات الله عليه إلى عريش سوته ، فقال هم .

« رأيتكم لو أحرككم أن حيلاً ورء هذا الوادى يريد أن تعير عبيكم . » كتم تصديقوى ؟ »

لقد كانت إحاسنهم عن هذا السؤال تعير عن الحقيقة التي لمسوها منه . لقد قالو « نعم . أنت عندما غير منهم . وما حركنا عبيك كدناً قط » . وصورة أخرى ، صورة لم يرتبها ترتيب مروي ، ولم يؤد إليها منطق محكم ، صورة لم تكن نتيجة عشرة طوية ، ولا رفقة قريبة ، وإنما جاءت على البدنة ، وأوحت بها الملاحظة السليمة

إياها الصورة التي كونتها عنه ، صلوات الله عنه . ثم معد الخراعية . وهي صورة لا تحصى . حاجب المعوى منه . وإنما تصل على لأخص بالحس الطاهر . ورد أن نشأها ، شئت ب « هيئة » وصدراً بعد أن أنت رويها من المعونات . وجواب من التقدير والإحلال . إن الصورة التي نشأها لأن مجرد وصف إياها تعير عن ملاحظة

هاجر رسول الله صلوات الله عليه من مكة إلى مدينة يرافقه أبو بكر رضى الله عنه . وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وديبهم عبد الله بن أريقط مروا بحيمة أم معد لخرعيه ، وكانت امرأة . فوية الأخلاق عصية . تعابل الرحمن . فتحدث إليهم وتنصيهم . وسأها الركك عن كمر أو لحم يشترونه . فلم

يصيرون عندها شيئاً من دث . فقد كنت سنة من السنين العجاف .
فقات هم .

والله لو كان عنده شيء ما عوركم القري . فطر رسول الله ﷺ إلى شاة في
ركن الحيمة فقال .

«منهذه الشاة ، يا أم معد ؟» قات

هذه شاة حلقها التعب عن العم

فقال صلوات الله عليه : «هل بها من لبن ؟» فقالت :

هي أحهد من ذلك

قال . «أقاديبن أن أحلبها ؟»

قالت : نعم ، بأبي أنت وأمي إن رأيت حلباً

فدعا رسول الله ﷺ ، بالشاة ، فمسح صرعها ، وذكر اسم الله وها

«اللهم بارك لها في شاتها»

فاملاً صرع الشاة . ودر لبها ، فدعا ببناء ها كبير ، فحلب فيه حتى ملاء

فبنى أم معد ، فشربت حتى رويت . وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب .

ﷺ آحرمهم ، وقال :

«ساقى القوم آحرمهم»

فشربوا جميعاً مرة بعد مرة

ثم حلب فيه مرة أخرى عوداً على يده ، فعادوه عندها . ثم ارتحلوا عنها . لما

بشت أن جاء روحها يسوق أعترأ عحافاً هرو . فلما رأى الناس عجب واستعرب

وقال .

«من أين لكم هذا ولا حلوه في البيت ؟»

قالت لا . والله . إلا أنه مر بنا رجل مارك كد من حديثه . كيت وكيت

قال . والله إنى لأراه صاحب قریش لدى نطلب ، صفيه في يا أم معد ؟

قالت . رأيت رجلاً ظاهراً نوصاة ، متشح (مشرق) الوجه ، حسن الحق ،

لم نعبه نجمة (صحامة نبض) ولم ترره صعلقة (م يشبه صفر الرأس) وسيم قسم .

في عيبه دَعَج ، وفي مُصدره وطف (طويل شعر الأحقاد) وفي صوته صجل (رحيم الصوت) حور كحل أرح أقر ، شذب سواد الشعر ، في عقه سَفَح (رتفع وطول) ، وفي لحنه كثافة ، إذا صمت فعليه الوقف ، وإذا تكلم منها وعلاه سها ، وكأن مطلقه حررات نظم يتحدث ، نحو المطلق فصل . لا يرد ولا هدر (لا عي فيه ولاثرثرة في كلامه) أجهر الناس ، وأجمعهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسهم من قريب . ربه (وسط ما بين الطول والقصر) لا تشؤه (بعضه) من طول ، ولا تفتححه عين (تخفقه) من قصر . عصص بين عصصين فهو أنصر اثلاثة مطر ، وأحسهم قدر ، له رفقاء حقوب به ، إذا قلوا اسمعوا بقوله ، وإذا أمر تبادروا إلى أمره . محمود (يسرع أصحابه في طاعته) ، محشود (يحتشد الناس حوله) لا عابث ولا مفيد (غير محرف في الكلام)

قل أبو معبد : هذا والله صاحب فرش الذي ذكر لنا من مره مذكر ولو كنت وافقته يا أم معبد لتلمست أن أصبحه ، ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلاً هذه هي الصورة التي حاولت أم معبد رسمها أما سيدنا عمرو بن العاص ، فإنه يقول ، في صراحة وصدق عندما حضره الوفدة وعندما تذكر الماضي فحققت العبرات وتحدث مع الله عن أشياء عدة في صورة مؤثرة «ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ، ولا أجل لي عيب منه ، وما كنت أطيق أن أملاً عبي منه بجلالاً له ، ولو مثلت أن أصعبه ما أطقت ، لأنني لم أكن أملاً عبي منه !» .

٧

والآن يريد أن يسأل ماهي الصورة التي يريد أن يرسمها في هذا الكتاب ؟ ويريد أن يقول إن هذه الصورة التي يحاول رسمها ليست صورة متدعة ولا مخمرة ؛ إنها صورة يحاول جاهدين ، أن تكون مستمدة من التاريخ الصحيح بيد أنما يعود حقوق . لا يرسم صورة كاملة ، فالصورة الكاملة لا تأتي بيد أن يرسمها ، ونحن هنا نحاول رسم حملة من روايا شاعرين بتقصيرنا معترفين

معجزات ، ولكن أمد كبير في أن تكون هذه الصورة ناعثة لتصحيح بعض
الأوصاف ، وأن تكون على ما فيها من عجز وقصور ممثلة بعض ما يمكنه لسيد ود
آدم من حب وإيمان ، وأن تكون بذلك شفيعة لنا عند الله ، يوم لا يفع مال ولا
سوى إلا من أنى الله بقلب سليم

ومع هذه الروايات التي نحاول رسمها ، فإنه لا يعرب أبداً عن مالنا قول مما
الوصفي رضى الله عنه ، عن الرسول ، صلوات الله عليه هذه الآيات التي
تعبّر عن الحقيقة تعبيراً صادقاً .

أعيا أنورى فهم معناه فليس يرى	للقرب والعد فيه غير مُقَحَّم
كشمس تظهر للعيى من بعد	صغيرة وكل طرف من أَمَم
وكيف يدرك في الدنيا حقيقته	قوم يأم تسلوا عنه بالحلُم
فمنع العلم فيه أنه بشر	وأنه خير خلق الله كنهم

الفصل الأول

النسب الشريف

أبان مولده عن طيب عصره عن طيب مبتدأ منه ومحتتم

يقول صلوات الله عليه فيما رواه الإمام مسلم

«إن لله صطفى من ولد إبراهيم اسمعيل وصطفى من ولد اسمعيل نبي كانه .
واصطفى من نبي كانه فرشتاً . واصطفى من فرشت نبي هاشم . وصطفى من نبي
هاشم »

وهو صلوات الله عليه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من
عبد مناف ، بن قصي

ويصل نسبه إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام

ولا يريد هنا أن نتحدث عن نسب الشريف من إبراهيم ، عنه السلام و
محمد صلوات الله عليه ، وإنما يريد أن نتحدث عن نسبه لقريب نادئ من
قصي

قصي :

كان قصي عظيم شرف كثير لما ، وكانت حرعه في عهده وسو بكر يتوزون
البيت الحرام وأمر مكة ورأى قصي أن قريشاً لم هي الوارث الشرعي لإسماعيل
فهي فرعته ، وصريح وده . فكلهم . حالا من قريش وبني كدنة ، ودعاهم إلى
إخراج خراعة وبني بكر من مكة ، وقال : نحن أول هذا منهم
وأحد قصي في تدبير الأمر وإحكامه ، ولم تكن مسألة سهده ميسره ، وكان
لا مفر من الحرب فيها ، واقتتل الطرفان قتالا شديداً ، وكانت العلة في الهبة
لقصي .

ولما فرغ من بني خراعة وبني بكر عن مكة تجمعت إليه قريش على حسب

ما يروى من سعد في « طهقانه الكبرى » فسميت يومئذ فريشاً^(١) لحال تجمعها
ومما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال
« كان قصي بن كلاب أبوك ولد كعب بن بؤي . نصاب منكأ . ضاع به
قومه . فكأن شريف أهل مكة لا يدرع فيه . فابتنى داراً بدوة . وجعل باسمها بيت
ليت . فصب يركب أمر قريش كله . وما أدو من نكاح أو حرب . أو مشورة
من بينهم . حتى يركب الحاربه تابعاً تدع . فاشق درعها بلا فيها . ثم
سطلق بها إلى أهلها . ولا يعقدون بوء حرب منهم ولا في قوم غيرهم إلا في دار
لدوة . يعقدونهم قصي . ولا بعد^(٢) لهم غلام إلا في دار الدوة . ولا يخرج
غير^(٣) من فرش فيرحلون بلا منها . ولا يقدمون إلا يركبونها تشرها له . ويمنان
بربها . ويعرفه بقصده . وتنعون أمره كدين النع . لا يعمل بعده في حذنه .
ويعد موبه . وكانت له صحبه^(٤) . ولسفقه^(٥) . ورفاده^(٦) . ولواء^(٧) .
ولدوة^(٨) . وحكم مكة كله . وكان عشر^(٩) من دخل مكة سوى أهلها
قالوا إنما سميت دار لدوة . لأن فرشاً كان فيها أي عثمعون للحجر
واللشر . ولئذي مجمع القوم . إذا اجمعوا^(١٠) »
وقسم قصي مكة أحياء . وخصص كل قوم من فرش حتى . وصاقت مكة
بأهلها . وكانت كثيرة الشعر في الحرم . وكانت فرش تهب قطع شجر في
الحرم . فأمرهم قصي بقطعه . ولأنه لما تقطعونه لما لكم وخطصكم . مهلة^(١١)
لله على من أراد صاداً . وقطع هو بيده . وأعو . فقصعت حيث فرش .
وسمى . « محمداً » لما جمع من أمرها . (تيممت به وبأمره
وفل موته أعصى مناصب اشرف كلها . دار الدوة . وخجانة . والسفانة

(١) قيل في سبب التسمية آراء غير ذلك

(٢) لا عس

(٣) كلاب

(٤) صدانة البيت

(٥) سبيل الحجيج

(٦) طعام الحجيج

(٧) للحرب

(٨) للمشورة

(٩) يأخذ منهم العنبر

(١٠) انظر طبقات ابن سعد من ٥٠

(١١) أي نعمته

ونوء ، والرفادة أكبر أبنائه ستا ، وهو : عبد الدار .
وكان من أبنائه : عبد مناف .

عيد مناف

ومما يذكر بالنسبة لعبد مناف - أن رسول الله ﷺ اقتصر عليه حين أمر الله تعالى ، عليه

(وَنَذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) الشعراء ٢١٤

فإنه حينما برئت هذه الآية الكريمة ، واجتمع إليه سو عبد مناف تلبية لندائه ،
قال هم

« إن الله قد أمرني أن نذر عشيرتي الأقربين ، وأنتم الأقربون من قريش ، وإني
لا أملك لكم من الله حطاً ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا :
لا إله إلا الله ، فأشهد بها لكم عبد ربكم ، وتدين لكم بها العرب ، وتذل
لكم بها العجم » .

هاشم :

ويولد عبد مناف من قصي ستة نفر ، وست نسوة ، وكان من بينهم ، هاشم بن
عبد مناف ، واسمه عمرو وهو الذي عقد لحلف لقريش من هرقل ، من أجل أن
تختلف إلى الشام آمنة مطمئنة

وهاشم هو صاحب إيلاف قريش ، وإيلاف قريش هو دأها وعادتها : فقد
كان هو أول من سار الرحلتين ، قريش - ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن ، وإلى
الحشة إلى المحاشي فيكرمه ويهدي إليه الهدايا ، ورحلة الصيف إلى الشام وإلى
عرة وربما بلغ أقره . فيدخل على قصير - فيكرمه ويهدي إليه الهدايا^{١١}
ثم أصاب قريشاً سوب حذب عجاف دهن بالأموال . فخرج هاشم إلى
الشام . فأمر خبر كثير . فحضر له . فحمله في العرائر على لابل . حتى وفي مكة ،

(١) انظر طبقات ابن سعد

فهشم ذلك الخبر - يعنى كسره . وثَرَدَه ، ومحر تلك الإبل . ثم أمر الطهارة ،
فطبخوا ، وقدم الطعام لأهل مكة ، فأشبعهم وكان ذلك يوم الحياة بعد السنة تى
أصابهم ، فسمى بذلك . هاشمياً

وكان هاشم رجلاً شريفاً طموحاً ذكياً ، ولم يكن يرضيه فط أن يستأثر هو
عند الدار بمناصب شرف في مكة من الحجابة ، واللواء ، والرفادة ،
واسقاية ، والدوة ، فحمل ثوباً صدي عهد الدار ، ونهياً العريضة وأحلافهم
بقتال ، وعثت كل قبيلة بقيبه ، ثم سعى ليس بينهم بصبح ، واصطلحوا يومئذ
على أن يولى هاشم من عند مناف سقاية والرفادة ، وكان رجلاً عريض الثراء .
وكان إذا حصر الخج قام في قريش . فقال

ويا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وإياه يأتيكم في هذا الموسم
روار الله بعظموں حرمة بيته ، فهم صيف الله وأحق الصيف بالكرامة ، صيفه ،
وقد حصكم الله بذلك ، وأكرمكم به ، وحفظ منكم أفص د حفظ حار من
جاره ، فأكرموا صيفه وزوره .

وكان هاشم بأمر بخصاص من أده ^(١) . فتجعل في موضع رمرم ، ثم تستقى فيها
الماء من انبار ^(٢) التى بمكة ، فيشربه الخاج ، وكان يطعمهم أول ما يطعم قبل
التروية يوم بمكة ونمى وعرفة ، وكان يزد لهم الحبر والذبح والحبر ولسمن والسويق
والتمر ويجعل هم أده ، فيسقون بمى وأده يومئذ قبلين في حياص لأده إلى أن
يصدروا من مى فتقطع الصياقة ويتمرق الناس لبلادهم

عند المطلب :

وولد هاشم من عید مناف : أربعة نفر . كان منهم شيبة الحمد ، وهو
عند المطلب ونولى عند المطلب من هاشم الرفادة ، واسقاية ، فميرل ذلك بيده
يطعم الخاج وسقاه في حياص من آدم إلى أن حضر رمرم . فأصبح ، يسقى الخاج من
رمرم ، ويجعل الماء من رمرم إلى عرفة ، فيسقيهم به

(١) حياص الإدم من حياص من جلد (٢) الآبار

وكانت رمرم سقياً من الله .
 لقد أتى عبد المطلب في المنام مرت فامر حفرها ، ووُصف له موضعها ،
 فقبيل له

« احفر طيبة »

فقال وما طيبة ؟

فلما كان العد أتاه ، فقال احفر برة .

قال وما برة ؟

فلما كان العد أتاه وهو قائم في مصحفه ذلك . فقال حفر المصونة

قال : وما المصونة ؟

أمر لي ما تقول

فلما كان العد أتاه فقال . احفر رمرم

قال وما رمرم ؟

قال لا ترح ولا تدم نسي الححيح الأعظم ، وهي بين العرث والدم عد
 بقرة العرب الأعظم

فلما عين موضعها عند عبد المطلب بمعونه ومسحاته . وحفر هو وأبوه العرث
 حتى وصل إلى الماء ، فكانت رمرم

وكان عبد المطلب من حكماء العرب . ومن حكماء قريش ، وتؤثر عنه سيرة
 القرآن بأكثرها . كاتبع من نكاح المخارم . وقطع يد السارق . والهي عن قتل
 الموءودة ^(١)

ويصف المؤرخون عبد المطلب ، فيقولون .

« كان أحسن قريش وجهاً ، وأمدهم حسماً . وأجملهم خلقاً . وأحودهم
 كماً . وأبعد الناس من كل موقفة تصد الرجال . لم يره ملك بعد إلا أكرمه وشفعه
 وكان سيد قريش حتى مات ^(٢) »

(١) نهج للشيخ مصطفى عبد الرزق

(٢) انظر طبقات ابن سعد

عبد الله .

« ما عبد الله ولد رسول صوت لله عنه فقد كان صوره طبق لأصل من
 حلاه . و هو أمهه ثم تولي مناصب الشرف حتى كانت يد عبد مطب و كان
 شعاره اندى التزمه طيبة حياته ما غير عنه هو بموته

« أما الحرام فانيات دونه »

ونقول به فاطمة الحثيمه « في لأعرف منك سبب نبيك »
 واد نظرننا اذن إلى رسول الله ﷺ من ناحية والده وأسلابه ومن ناحية
 ولدته وأحواله - فإنا نجدهم - حثفا وعرافة أصل من أشرف بيوت مكة
 وأكرمها ، وأسماها بشهادته لمؤرخين جميعاً ، فكان صوات الله عليه ، كما يقول
 ابن هشام

« اوسط قومه نبياً ، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه »

مولده

ما حملت به أمه آمة بنت وهب كانت تقول
 « ما شعرت أني حملت به . ولا وجدت به ثقة كما تجد النساء . إلا أني قد
 تكبرت . مع حبصتي . و كما كانت برهني وبعدي وأتاني آت وأنا بين السائم
 و بيمص . فقام

« من شعرت أنك حملت به فكأنني أقول ما أرى
 فقد بك عد حملت سيد هذه الأمة وسب . وذلك يوم الاثنين
 فالب فكان ذلك مما أيقن عبدى حمل . ثم أمهلي حتى إذا دنت ولادى
 ناني ذلك الآتي . فقام

« فولي أعجله بالواحد انصمد من شر كل حسد »
 قال فكنت تقول ذلك . عندك ذلك نسائي فقل لي بعضي حديث
 في عصبتي . وفي عقلت . قالت ففعلت

قلت هم نكر ترك عبي إلا أياما فأحده قد قطع فكنت لا أتغفله
ويغيب أبو جعفر محمد بن علي « مرت أمه وهي حامل برسول الله - ﷺ
أن تسميه « أحمد »

ورأت أمه . حين ولدته كأن نوراً سطع منها أضواء له فصور الشام
وود صلوات الله عليه . فأرخ ميلاده ابتداء انتهى لما أرادته الحكمة الإلهية .
من إخراج البشرية من لطلمات إلى النور

كان ميلاده تمهيداً لذلك معنى أن الله . سبحانه وتعالى في هذه الفترة التي
سبقت ترسالة أحاط رسول الإسلام بعينته ورعيته ، ليكون أهلاً ، لأن يحمل
أعظم رسالة . ولأن يبشر بالدين العام . ولأن يبين للإنسانية أجمع المعنى الصحيح
في يتعلق بأمر الصلة بها وبين الله . ولما يتعلق بأمر مسووك كل شخص بالنسبة لنفسه
وبالنسبة للآخرين . وليحدد مسئولية كل شخص في المجتمع حاكماً كان أو
محكوماً . وروحا كان أو أنما أو اسماً . أو احاً . أو رئيساً في العمل أو عاملاً إلى
غير ذلك مما يشتمل على بعضه الحديث الشريف .

« كللكم راع ومسئول عن رعيته » فالإمام راع ومسئول عن رعيته . والرجل في
سنة راع ومسئول عن رعيته . والمرأة في بيت زوجها راعنة ومسئولة عن عيبتها .
والخادم في مال سيده راع ومسئول عن رعيته . فكللكم راع ومسئول عن رعيته .
ومد ميلاده صلوات الله عليه ، بدأت تبرر جميع أسس الصلوات
والأعراف وتزمر إن دنك كتب أسيرة سوية . برمز حميدة فتحدثنا :

« به في ليلة ميلاده ﷺ عاصت نجرة ساوى ، ولصدع إيوان كسرى ،
وحب نار الهرس »

ثم الأصنام التي كذب على ظهر انكسار في مصرها ، محترمة وخطيئها المؤكدة
تحدد موعده بالسنين والأيام

إن عمد اشرك هذه الصلوات والأعراف . وانظم والاستعداد بدأت تنهار
وتنهار ، مد ميلاد الرسول ﷺ . وأصبح أمر النور . راهدانة ، والرشاد وشك
الظهور والانتشار

وسمى المولود : « محمدًا »

أما سبب هذه التسمية فإنه حينما جاء جده عبد المطلب ليره قبل له

« ما سميت ابنك ؟ »

فقال : « محمدًا » .

فقبل له . كيف سمته باسم ليس لأحد من أبنائك وقومك ؟

فقال : « يا لأرجو أن يحمدوه أهل الأرض كلهم وذلك - على حسب ما يرى

السهيلى برؤى كان قد رآه عبد المطلب وقد ذكر حديثها على العمروانى . في

كتاب : « البستان » .

قد كان عبد المطلب قد رأى في نومه كأن سلسلة من قصة تحرحت من ظهره

ها طرف في السماء ، وطرف في الأرض . وطرف في الشرق . وطرف في الغرب ،

ثم عادب كأنها شجرة على ورفه منها نور ، وبدا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون

بها . فقصها ، فعبرت له بمولود يكون من صبيه يتبعه أهل المشرق والمغرب ،

ويحمده أهل السماء والأرض .

فذلك سنده محمدًا . وسمته أمه من قبل أحمد . فهو أحمد وهو محمد .

صلواته
عليه

وقد تحدث الرسول . صلوات الله عليه . فيما بعد عن أسمائه . فقال فيما رواه

الإمام أحمد :

« إن لي أسماء : أنا محمد . وأنا أحمد . وأنا المحشر الذي يحشر الناس على

قدمي . وأنا الماحي الذي يمحى به الكفر . وأنا العاقب »

وقد عبا رواه الإمام أحمد أيضا

« أنا محمد . وأنا أحمد . وبني الرحمة . وبني التوبة . والهاشر ، والملقى ،

وبني الملاحم » .

وكان من عادة العرب ، أن يرصعوا أبنائهم خارج مكة . فيرصعوه في

الصحراء المطلقة مكاناً وجواً . ليشو . في صحبه نامه . جسماً وعقلاً . ومن

أمثالهم : « العقل السليم في الجسم السليم »

وجاءت الرصعاء بالنمس الرصعاء في مكة ، وهما برك السبدة خليفة السعدية
تحدث عن الرحمة ، وهي صادفت فيها دهن وبيتا ، وعما رأته من ركاب رسول
لله ، صلوات الله عليه ، لقد كانت تقول .

« خرجت من بيديها مع روحها وان لها صغير رصعة في سبوة من بني سعد
ان بكر ، بالنمس الرصعاء ، قات وهي في سنة شهباء لم تبق لها شبتا »
قالت فخرجت على أثار لي قرماء معا شرف لـ والله ما تبص بعطره
ومدام ليذا أجمع من صبي الذي معنا من مكثه من جوع . وما في شيء
مانعه ، وما في شاربنا ما يعديه وكلنا كنا نرحو الميث والفرح

فخرجت على أثارى ثلث ، فلقد أدت « دارك حتى شو عليهم صعباً
وعصفاً حتى قدمنا مكة . بالنمس الرصعاء ، فاما امرأه إلا وقد عرض عليها رسول
الله محمد ﷺ . فتأناه إذ قيل لها « إنه يتم » وحدثنا ما يذكرك نرحو المعروف من
أبي الصبي : فك يقول بسم الله عسى أن تصعب أمه وحده ؟ فك بركه
لذلك ، قد بقيت امرأة قدمت إلا أخذت رصيعا غيرى

فما أحببنا الاطلاق قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرحع من بين
صوحي ولم آخذ رصيعاً . والله ، لأذهب إلى ذلك أيتيم فلاخذه
ول لا عليك أن تفعل ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة

قالت فذهب إليه وأخذه ، وما حملني على أخذه إلا أن لم أجد غيره
قالت فلما أخذه رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجرى أقبل عليه
تدبى عما شاء من لبن . فشرب حتى روى . وشرب معه آخره حتى روى ثم نام .
وما كنا ننام معه فل حدث

وهم روحى إلى شاربنا نكث . فإدا بها حائل . فحلب منها + وشرب وشربت
معه حتى اتسبا رياً وشبعا فبنا بحير لينة
قالت يقول صاحبي حين أصبحنا نعمين والله ما حبيبنا لقد أخذت
سمة مباركة .

قلت : والله إنى لأرحو ذلك
 قالت : ثم خرجنا وركبت أتانى وجعلته عليها معى ، فوالله لقطعت بالركب
 ما يقدر عليها شيء من حمهم حتى أن صواحي ليقلن لى :
 يا ابنه أئى دؤيب ويحك أربعى عليها . تبست هذه أدت التى كت حرت
 عليها !

فأقوى لمن . بلى ، والله إنها لهى هى
 فيقن . والله إن لها شأنًا

قالت : ثم قدم مارلا من بلاد بى سعد . وما أعم أرساً من رخص الله .
 أجذب منها . فكانت تروح على حين قدما بهم معنا شباعاً لناً محبب وبشرى ،
 وما يحلب إسان قطرة لبن ، ولا يجده فى صرع ، حتى كان الحاصرون من قوم
 يقولون رعباهم ويلكم ! اسرحوا حيث يسرح راعى بت أئى دؤيب ، فتروح
 أصمهم جياغاً ما تبصر بقطرة لبن ، وتروح غمى شباعاً لناً ، فلم يزل نعرف من
 الله الزيادة والخير حتى مضت مستاه وفصاته .

وكان يشب شباباً لا يشبه العلماء . فلم يطلع سنيه حتى كان علاماً حمرً ولكنه
 صلوات الله عليه لم يمكث عندها عامين فقط . ذلك أنها على رأس العامين ذهبت
 به إلى مكة . ليراه أمه وليراه حده ثم عادت به أشد ما تكون حرصاً عليه وعلى
 العودة به .

أحدث حليلة السعدية رسول المستقبل إلى بادية بى سعد مرة أخرى . وليس
 هناك من عربة فى أن يكون رسول النور هذا قد ملأ رحلتها من مكة إلى البادية
 بالهجة والشايط ، وبالأمل والتمائل

إن لأبحاث المدينة نفسها ، وتحارب الإنسانية مد أن وجدت الإنسانية تؤيد
 أن هناك إشعاعات عند بعض الناس تصبى على المرافقين لهم بهجة وشايطاً
 فلا غرابة إذ أن تشيط حليلة وبشيط زوجها ، وتشيط دواهيها ، وأن تسير
 رحله فى رجاء وأن يكون محمد فى براءته وطهارته وفى طفولته الناحية وبصرته
 المتألقة هو سبب ذلك كله .

ويعلاً محمد بيت حليلة مبهجة وسرور ، ويدب النشاط في جميع أرجاء اليب
وعند جميع سككه ، وبارك الله في كل شيء منه ، وسعم هذه لأسره حبة هيبه .
فيرد عظمها على محمد ، ويرد حبها عليه فيموت في حو من الرحمة والود
والحنان ، ونعمرس كل ذلك في نفسه ، ويمتلئ قلبه المناشئ . سدور من أسمى
العواصف والشيم

وسحق مدطعولته من وإلى أن تسهي به الحياة ما روى عن ابن عباس
رضي الله عنها من أنه لما توفى عبد الله قالت الملائكة
« إلهنا وسيدنا ، بقي بيتك يتيماً »
فقال الله تعالى « أنا له حافظ ونصير »

الفصل الثاني

في التوبة

عن حديقه . صلى الله عليه . قال في يومه الإمام أحمد بن حنبل الله .
^{صلى الله عليه} ^{عليه وسلم} قال عن نفسه
 « يا بني المؤمن »

ومثله عند رسول صلوات الله عليه . وفي نحو للإمامي على وجه العموم
 شأن كبير ذلك أن سوره يك هي بصفية لنفس . وتركه بروج . وتبجتها
 لإخلاص

ونعمه لإخلاص به صرح به الفرد . ونظروا في مجمع لا حتى على
 أحد

وإذا نظروا في حقه رسول صلوات الله عليه من رونه ثوبه وإخلاص .
 وصفاء لنفس . وتركه أوج . فإن ما يصفون من ذلك يك هو هذا
 حادث الذي ترويه كتب السيرة تحت عنوان « شق الصدر »

وهذا حادث وقع رسول الله صلوات الله عليه من الصفوة المبكرة
 لقد كان صلوات الله عليه يد ذلك في ناديه بنى سعد عند مرضعته . وبها هو
 يبعث مع العيون على ما يروى للإمام مسلم . أتاه جبريل : فأخذه فصاحبه .
 فشق عن قلبه . فاستخرج منه عقه . فقال
 « هذا حظ شيعتي . منك ثم عبق في صلب من ذهب ماء زمزم . ثم لأمد
 ثم أعاده إلى مكانه »

وحده العيون شعوب إلى أنه يعني مرضعته أن أحمد قد قتل . فاستعملوه
 وهو ثمثع النبوة كان ذلك وهو من أربع شعوب نفراً

فإن كان من عشر سنين بكرر حادث شق الصدر فقد روى الإمام أحمد ومن
 حبل . ولحاكم . وابن عسكرك . عن أبي بن كعب أن أبا هريرة رضي الله
 عنه . كان حريثاً على أن سأل رسول الله ^{صلى الله عليه} ^{عليه وسلم} . عن شيء . لا يسأله عنها
 غيره . فقال

« رسول الله . ما أول ما رأت في أمر أسوة » فاستوى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
جالساً وقال

« لقد سألت أنا هريرة »

إني نبي صخرة ابن عشر سنين وأشهر ، وبدأ بكلام فوق نسي . « دخل
يقول لرجل » هو هو »^٢

قال : نعم .

فاستضائي بوجهه لم أرها لحق قط ، وأرواح لم أحدها من خلق قط . وثبت
م أرها على أحد قط ، فأقلا إلى عيشان حتى أخذ كل واحد منها بعصدي لأحد
لأحدهما مسا

فقد أحدهما صاحبه صحبه . فأصعدني بلا عصر^١ ولا هصر^(٢) وذل
أحدهما لصاحبه .

« افلق صدره »

فهوى أحدهما إلى صدري فبقعه ، فما بي بدو دم ولا وجع فقد به
« أخرج العن ، وحسد ، فأخرج شيئاً . كهيئة لعنقة ، ثم سدده فطرحتها فقل
له .

« أدخل الرقة ورحمة » فإذا مثل الذي أخرج شبه نفسه . ثم هرب بهام رحي
ابنبي ، فقال : أعد وأسلم

« فرحمت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة الكبير »

فما جاور صوات الله عليه الخمسين أنه آت ، على حين كان في الخطم وفي
الحجر مصطحماً بين نائم وأيقظ . أنه . عشق عن صدره على حسب ما يروي
المعاري ومسلم واستخرج قلبه .

« ثم أتى نطست من ذهب ممدوء يدياً ، فحس فني ثم حشى ثم أعيد »
وتكرر التعرج ، فتكرر شق الصدر ، فعن أبي من كعب - فيما روه الإمام

(١) الفصر الإخبار

(٢) الفصر ثوب الممدود من راسه ، والمعنى لم يشأ ففهرى ولم يكرهه

أحمد ، والإمام مسلم - أن رسول الله ﷺ قال

« فرح سقف بيتي وأنا بمكة ، منزل حبريل ، وفرح صدرى ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدرى ، ثم أطلقه » .

ولا يغساها لا في قبر ولا في كثير أب نحاري الماديين في حدهم . فما يتعنى بشق الصدر . فالأمر سمي بكثير من الماء في الشكل . وكيف . والرمال . والمكان

والمرعى . أعظم من أن تحاوره إلى المباحكات التي تشر بصعب الإيمان أكثر مما تشعر سور اليقين

لقد روي في كتب السنة بالأصابع الصحيحة . وروت أبصار كتب السيرة . هذه مخافته التي توجه لنظر إلى عناية الله سبحانه وتعالى برسوله ﷺ عند ظهوره المبكرة . وأن من مظاهر هذه العناية أن يستخرج الله حظ الشيطان من قلبه منذ مسيه الأولى حتى لا يكون للشيطان عليه من سبيل

إن الله سبحانه وتعالى . وقد شاءت إردته منذ الأزل أن يكون محمد حاتم الأنبياء والمرسلين . أريد سبحانه أن يجعل منه المثل الكامل للإنسان الكامل والإنسان يبدأ السير نحو الكمال بظاهرة نقب . وتصفة نفس . واتوبة . والإخلاص أو بمعنى آخر شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه ورسول الله ملائكته . فشقوا عن صدر الرسول صلوات الله عليه واستخرجوا حظ الشيطان منه

ثم أرسلهم . فشقوا عن صدره . ومثوه رافة ورحمة . فكان صلوات الله عليه رقة على الصغير ، ورحمة للكبير

ثم أرسلهم فشقوا عن صدره . فملئوه إيماناً

ثم شقوا عنه فملئوه حكمة وإيماناً

وإذا كان رسول الله ﷺ هو المثل الكامل للإنسان الكامل فإن لنا فيه

أسوتنا ، والأسوة في شق الصدر إيماناً هي : التوبة

وتوشد إلى الله إدر توبة نصوح^(١) إلى هي كشاه شو مصدر واستخراج خط
انشطد منه

والتوبة النصوح تخرجها مباشرة عن جو الخطئين ، بل وعن جو الدين حنطوا
علا صاعا وآخر سناً . هؤلاء الدس بقول الله فيهم (عسى الله أن يتوب
عليهم) التوبة / ١٠٢

إب الله يعبر في شأنهم بكلمه (عسى) والتوبة النصوح خرجها من جو (عسى)
تصعنا في جو (مع الدس نعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين) النساء / ٦٩

والتوبة النصوح ، التوبة الصادقة من الآثام والمعاصي . حد فاصل ، ويفصل
حاسم بين عهدين . عهد سيطرة شيطان سيطرة كنية و سيطرة حربية . سيطرة
دئمة أو سيطرة مؤقتة . وعهد لانطواء تحك لواء عماد الرحمن الدس بقول الله في
حقهم مخاطباً الشيطان

(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) الإسراء / ٦٥

والمحدد أن سرع لإسراء سلطان الشيطان في صورته من العزم المصمم .
وينطوي تحت لواء الله في صورته من اليقين المطمئن فإن الله سبحانه وتعالى يتولاه
ويتكفل به

بل رب رعاية الله سبحانه وتعالى تبدأ مع الإنسان منذ أن يبدأ في لانجاده إليه
سبحانه وتعالى مباشرة وبدء لإسراء في لاجده إلى الله إلى يكون بالاستعصار ، فإذا
بدأ الإنسان بالاستعصار بدأت رعاية الله له يقول الله تعالى .

(ستعصروا ربكم إنه كان غفراً . يرسل السماء عليكم مدرراً . ويمددكم
بأموال وبنين . ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً)^(١)

وكلما ازداد الإنسان انحهاً إلى الله ، وقبلاً عليه ، ونقرباً منه ، وجناً منه
رددت رعاية الله له .

من نقرب إلى شبر^(٢) نفرت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه

(١) سورة روح ١٠ ١٢

دعا . ومن أتى ممشي أتيته هرولة ١)

إن حياة نفوس والعمل الصالح أهم عنصر مسعده الإنسان في حياته الدنيا وسعادته في حياة الآخرة . والله سبحانه وتعالى سبحانه في ذلك في أكثر من آية في القرآن الكريم

(من عمل صالح من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فسحبيته حبه طيبة ولنحريمه
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل / ٩٧
(ونور أهل القرى آمنوا واتقوا لفتح عليهم بركت من السماء والأرض)
الأعراف / ٩٦

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الصافات / ٢ - ٣

التقوى والعمل الصالح شحبه مسعده وعناية الله ورعايته والسنة الأولى في سائر كل ذلك هي النوبة وهي شئ الصدر ، ومشترج حظ الشيطان منه وقد فتح الله بابا على مصراعه ، إنه سبحانه وتعالى - فيما رواه الإمام مسلم - يستط منه بالليل ستون مائة النهار ، ووسط يده نهار ستون مائة الليل ، ويقول سبحانه -

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم - لا تقصصوا من رحمة الله إن الله بحر الدنوب جميعاً إنه هو العفو الرحيم - وأنبأوا إلى ربكم وأسمو له) برزخ
٥٣ - ٥٤

ونوبة النعم هي من الدنوب والآثام ، أما الخواص فإنهم لا يتوبون من الآثام والمعاصي . حدثت مداد قد تطهروا منه ، وبرههم الله برحمته عن أن يقعوا منه . ومع ذلك فإنهم يتوبون إلى الله ويستعفرونه مصححين ويستعفرونه سبحانه ، ويتوبون إليه مفسرين ، بل يستعفرونه ويتوبون إليه تعالى في كل وقت وحين حصوعاً له وحشيه منه ، وبقرب إليه ، وحرافاً من انكسر الحجب ، أو العزور المستتر ، أو العفة التي قد لا يشعر بها الإنسان

قد كان رسول الله ، صلوات الله عليه ، في رقبته الدائم . وفي نوره حتى
تردد كل خطه صباء يستعمر الله وسوب به سبعة عداة ، وتوبة إبانة وقرى
يقول صلوات الله عليه - فيما رواه البخاري :

« والله إنى لأستعمر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » ويقول -
صلوات الله عليه فيما رواه الإمام مسلم

« يبيها الناس يور إلى الله وامضروه » فإى توب إليه في اليوم مائة مرة »
سأ أن ما يريد أن يؤكد لطلاب المعرفة الصحيحة - عن عالم الغيب
وتؤكد لطلاب الإيمان بمصطفى هو أن وسيله ذلك - هي التوبة الصوح .
إنما تستخرج حظ الشيطان . ثم تأتي بسكينة

والتوبة الصوح سبب مباشر لتوفيق الله على الحب بكن . بعد أن مثلاً
رأفة ورحمة ، ثم بها السبيل لترب بحكمه . وهي المعرفة الدينية . رسالاً إرسالا .
فيقضى بها يقب هداية وإرشاداً (واتقوا لله ويعلمكم الله) بقرة ٢٨٢
وب من ترم العودنه وسنة لأولى فيها إنما هي التوبة . فإن الله سبحانه يأتيه
برحمة من عبده ، ويعلمه من لديه علماً

استخرج حبر بل حظ الشيطان من قلب رسول الله ، صلوات الله عليه . في سن
مكره فكان . صلوات الله عليه كي يقول لمة أمة
« والله ما للشيطان عده من سبيل »

وحصفه أنه لم يكن للشيطان عليه من سبيل فقد عصمه الله عصمه تامة عن
لرحس حياته كلها

لقد كانت مكة حبيبا كان رسول الله ﷺ شاماً فهاً هوياً تعج مختلف
ملاد الشهوية الدسة .

عد كانت حبيب ، حمر منسرة بها ، وكسيت سيوت العربية . وفي هذه وتلك
المعيات ، والرافضات ، والمأخذات . وكان الشهاب بهلكون على كل ذلك
وينهتون عليه ، وأراد الله أن يكون رسوله بمنى عن كل ذلك

ذكر البخاري عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال

« ما سمعت شيئا من أمر الجاهلية إلا مرتين »

أما هاتان المرتتان فإن سيدنا عبداً صلى الله عليه يتحدث عنهما على ما يروى
من كثير . فيقول سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« ما سمعت سيء مما كان أهل الجاهلية يسمونه إلا سنتين كنتما عصمى الله
عر وحل فيها . كنت بيعة لعص قتا مكة عر في عاء عم أهله فقت
لصاحبي »

« ألا تنصر لي عصى حتى أدخل مكة أسمر فما كما يسمر القتيان » !

فقال بلى

قال . ودخلت حتى حثب أو من دور مكة . سمعت عرفاً يابري
ولم أريد . فقت ما هدا

قلو : نروح هلال هلاله

فجاست أنظر . وصرب الله على أدنى . فوالله ما أيقظي إلا من شمس .

فرجعت إلى صاحبي . فقت ما دنا فقلت !

فقلت ما فعلت شيئاً ثم أخبرته ما رأيت . ثم قلت له ليلة أخرى أنصر
لي عصى حتى أسمر . ففعل . فمر حثب مكة . سمعت مثل الذي سمعته تلك الليلة .
فسألت

فقت بكج هلال هلاله

فجست أنظر . فصر ب الله على أدنى . فوالله ما أيقظي إلا من شمس

فرجعت إلى صاحبي فقال . ما فعلت ؟ فقت .

لا شيء ثم أخبرته خبر . فوالله ما سمعت ولا عدت بعد ما شيء . من ذلك
حتى أكرمى الله عر وحل بسوته

هد ما كان من أمر عث القناد

أما ما كان من أمر عداة الأصنام فإن أعصه نتاليه توصح الأمر

عن بن عباس عن حديثي أم أيمن قالت كانت نواة صمماً تحصره قرش
تعظمه . ونسب ه السائل . ويحفظون رؤوسهم عند . ويعكفون عنده يوماً إلى

الليل وكان ذلك يوماً في السنة

وكان أبو حبيب يحضره مع قومه . وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك
الليلة مع قومه . فيأتي رسول الله ﷺ ذلك . حتى رأيت أن طاب عصب عليه .
ورأت عيانه عصبن عليه يومئذ أشد العصب وجعل يقن
ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا نكثر لهم جمعاً .
فالت فم ير نوبه حتى ذهب . فعد عنهم ما شاء الله . ثم رجع إليهم مرعوباً
فرعاً ، فقامت له عيانه .

ما دهك ؟ قال

« بني أحشنى أن يكون لي لم »

فقس ما كان لله يستبئك ، شيطان وفيك من حصل أخيراً فيك . فما الذي
رأيت ؟

قال

« في كذا دواب من صم منها تمثّل ن حل نص يصيح لي و عك ؟ »
محمد : لا تمسه . فالت

« فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ »

قد كنت حياته . صلوات الله عليه . شرحاً مستقصاً وبوصية كاملاً .
وتعيراً تاماً لما ذكره من حدود وما يتفق عليه العلماء . وجمع عليه أصحاب
البصائر المستنيرة من أن ذلك من علامات الأنبياء

« به يوحد به قل الوحي خلق الخير والركاء ، ومحنة المذمومات والرجس
أجمع . وهذا هو معنى العصمة ، وكأنه مظهر على التره عن مذمومات وإسافره
ها وكأنها منافية لحملته » .

ويصير ابن حدود بعض الأمته من حدة الرسول صلوات الله عليه عليه طده
القاعدة فيقول .

(١) من من المنون

(٢) أوجع وردك

« وفي الصحيح أنه حمل الحاقة ، وهو علام مع عبه الماسر ساء نكمة .
 وجعلها في . . ده فاكشف ، فسقط معشب عبه حتى ستر يا . ه .
 ودعى في مجتمع ويمة فيها ، عرس ولعب فأنصه عشي اليوم إلى أن طلعت
 الشمس ولم يحصر شيئاً من شأنهم »
 ومضت مرة لشباب يرسل الله . ^{صلى الله عليه وسلم} وهو طاهر زكي : طاهر من الآثام التي
 تدنس الشباب في جمعياتهم . وركى لأنه بعد عن شره . ه . سجد لصم قط .
 صلوات الله عليه وسلامه

الفصل الثالث

الوحي

ما قبل الوحي

إن كتب سيره لا تحدث عن حياته ارسول صلوات الله عليه قبل بعثته إلا بالسر
 لقليل لقبيل حدٍّ ويمكن تلخيص ذلك في صورة مجمعة كما يلي
 بعد أن استكمل الرسول الرضاع . وبلغ حوالي أربع سنوات عادت به حبيمه
 رضى الله عنها . بنى أمه . أمة بنت وهب . فلم يلبث ست سنين خرجت به إلى
 أخوته . بنى عدي بن الحارث بالمدينة فزورهم به . ومعه أم أيمن . تحضنه . وهم
 على حيرين . فنزلت به في دار الناعة . فأقام به عدهم شهراً
 ثم رجعت به إلى مكة . فلما كانت بالأبواء توفيت . ودعت هناك ولم يسر
 ارسول ﷺ المكان سوى دفت به أمه . فلما مري عمره خديجة بالأبواء قال
 « يا الله قد أدن لي في زيارة قبر أمي »
 ثم أتاه فأصلحه . وبكى عنده . وبكى المسلمون بكاء رسول الله ﷺ .
 فقبل له . فقال . أدركتني رحمها فكيب
 ورجعت به أم أيمن . على الحيرين اللدين كما معها
 واستمرت أم أيمن تحضنه بعد وفاة أمه . وعند وصل مكة قصصه إليه حده
 عبد المطلب وصممه . ورفق عليه رقة لم يرقها على ولده . وكان يقره منه ويديه
 ويدخل عنده إذا حلا . ويدام . وكان رسول يجلس على فرش حده . فيردون
 معه فيقول عبد المطلب حين يرى ذلك « ادعوا ابني . إنه ليؤنس منكاه »
 وراه مرة عبد المطلب بعد عن رعاية أم أيمن فقال لها « يا بركة . لا تعلى
 عن ابني . فاني وجدته مع غيد قريباً من اسيرة . وإن أهل الكتاب . يرعمون
 أن ابني هذا بني هذه الأمة »
 ولما نوى عبد المطلب قصص أبو طالب رسول الله ﷺ . فكان يكوب معه .
 وكان أبو طالب لا مان له . وكان يحبه جداً لا عنه بوجه . وكان لا ينام

إلا في حبه . ونخرج فخرج معه . وصاحبه أبو طالب صانه لم يصب منها شيء .
 فط . وكان يحضه بالطعام . وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فرادى لم
 يشعوا . وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شعوا . فكان إذا أراد أن يذهب .
 قال كما أتم حتى يحضر أبي . فبقي رسول الله ﷺ . فبأكل معهم . فكان
 يفصل من طعامهم وإن لم يكن معهم لم يشعوا . فيقول أبو طالب : « يا رب
 لمرك »

و استمر أبو طالب في رعاية الرسول . صلوات الله عليه . ثم يسلمه فط . ولم
 يبدله إلى أن توفى للنصف من شوال في السنة العاشرة . من حين نسي رسول الله
 ﷺ . وهو يومئذ : ابن بضع وثمانين سنة .
 ومما يروى . يصدد أبي طالب : أن العباس قال
 يا رسول الله . نرجو لأبي طالب فقال . صلوات الله عليه :
 « كل الخير أرحو من ربي »

وفي هذه المرة نبى فل العثة كان يحاكم إلى الرسول ﷺ
 يقول الربيع بن خثيم « كان يحاكم إلى رسول الله . ﷺ في الحاملة قبل
 الإسلام . ثم احتصر في الإسلام »

ومن لأمة المشهورة في ذلك عصاؤه ﷺ في الخلاف لدى كان نبى
 قرش . بشأن وضع الحجر الأسود فيه حينا أسهوا في ساء الكعبة إلى حيث يوضع
 الركن من بيت فانت كل قبيلة يحس أحق بوضعه . وحملوا حتى جاعوا القتال .
 ثم جعلوا بينهم أول من يدخل من باب بني شبة . فيكون هو الذى يقضى بينهم .
 وقالوا رصبا وسلمنا بذلك . فكان رسول الله ﷺ أول من دخل من باب بني
 شبة . فم رأوه هلوا هذا هو الأمير . قد رصينا عما قصى ساء . ثم أحبروه
 الخبر . فوضع رسول الله ﷺ رده وسطه على الأرض . ثم وضع الركن فيه .
 ثم قال ليأت من كل ربع من أرباع هرش رحى . فكان في ربع بني عبد مناف
 عنة بن ربيعة . وكان في لربع الثانى أبو ربيعة . وكان في لربع لثالث أبو حذيفة
 ابن المعيرة . وكان في لربع الربع قيس بن عدى . ثم قال رسول الله ﷺ .

لأخذ كل رجل منكم بروية من روث الثوب ثم رفعوه جميعاً ، فرفعوه . ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده في موضعه ذلك .

وفي سن الخامسة وعشرين تم واحة صوت الله عليه . وها برك محب الكلام لنفسه ست مئة تفص عسا البأ بصورته الواقعية . قالت

« كنت حادثة ست حولد امرأة حارمة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير . وهي يومئذ أوسط قرش نسأ ، وأعظمهم شرفاً ، وكثرهم مالاً . وكان قومها كان حريص على الزواج منها لو قدر على ذلك . وتقد طيبوها ، وبدلوا لها الأموال فاستنبتني دسماً إلى محمد . بعد أن رجع في غيرها من شام . عقب

يا محمد . ما بمعك أن تزوج ؟ فقال ما بيدي أن تزوج به قب . قب كعبت ذلك . ودعب ب الحمال والماء وشرف والكفاءة ألا شيب ؟ قال « من هي ؟ » قب حديعة . قال « وكيف في يدك ؟ » قب قب عبي قار « يا فعل » . فدهست . لأحربها ، فأرست إليه أن تبت ساعة كد وكدا .

وارسلت إلى عمها فحضر . وتزوجها رسول الله ﷺ . وهو ابن خمس وعشرين سنة . وحادثه يومئذ ست أربعين سنة . ودمت قبل عام ثقل خمس عشرة سنة . وفي سن الحياة الروحية عاش صوات الله عنه عيشه هدئة رديعة ، فبسر الله له بدت ما كان يشغل به نفسه من العبادة والتقوى وهكذا نشأ ﷺ طاهر النفس ، كريم الخلق . محسناً للمذمومات ، محباً للرحم

لقد سارت به الحياة ثقة طاهرة . فكانت شرحاً وتفسيراً لما سبق أن تحدثنا عنه من شق صدره الشريف ، واستخراج حظ الشيطان منه

وقد تمثل فيه صور الشياطين الكامل والرحومة الرشيدة . فقد كان صادقاً في حديثه . عطوفاً على من حوله . معاً لمصعب . يكتب ثقة كل من يحالطه

ولكل ذلك أحبته السيدة خديجة ، رضوان الله عليها . ولكها رضى الله عنها - أحبته شيء آخر هو انسمو بروحي ، وهو لعروف عن اللدئذ المادية العاشية ، والانحاء إلى الخالد من معالي الأمور

إن عناية الله رافقته ولاحظته ووجهته ، فكان خيراً زكياً ، وكان أمةً وحده
وسط هذا لصلال الديني والأخلاقي لدى كاد يملأ على رجال مكة جميع
أقطارهم

لقد أحته اسبدة حديجه من أجل ذلك

ومن أجل ذلك سمى قومه « الأميين »

لقد كان أمياً على نفسه فلم يلمها في مهوى اشرك وانشهوة وحرص
وكان أمياً على الناس فلم يسه عروصاً . ولم يوقع بعض ساس في بعض
بالحيمة . ولم يعتب

وكان أميناً على الحديث إذ تحدث فلا كذب ، ولا معذلة

وكان أميناً على الأسرار فلم يهشها ، ولم يدعها

به « الأميين » . أجمع عليها القرشيون ، وهذوها حينما حتموا في رفع الحجر
الأسود ، ووضعوه في الكعبة ، وشكت الحرب أن تقع بينهم كما قلدهم ، ثم
استقر بينهم على الاحتكام لأب داخل عليهم . فعمهم الفرحه حينما رأوا
محمدًا ، صلوات الله عليه وصاحوا . إنه : « الأمير » رصياً . إنه محمد !

الوحي . ولقد حب إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراء ، فيتحدث فيه ، في
« يتعد » سبيل دوات العبد قبل أن يبرح في أهله ، وينزود بذلك ، ثم يرجع إلى
حديجه فيترود لمثها

كان صلوات الله عليه بعدد مكة معبسة في بصلال ، يعتكف في ع حراء
متعداً ، حتى قات العرب « إن محمد قد عشق ربه ! »

ولكن أما آن هذا لصلال الذي ينجم على مكة أن ينقشع ؟

أما آن هذه الطلعة أن تتحل ؟

أما آن هذه الأصنام أن تتحطم ؟

ليس هناك أمل في قس من نور ، أو أنارة من علم ، أو رحمة من عبد الله ، أو
هدية من لدن ماح هدى وارشاد ؟

ويجأ رسول الله صلوات الله عليه إلى الله مستعث به ويستعده ويرجوه . وسمع في

الرجاء ، وتندلل ، ويطلب منه الرحمة لعمه ولقومه
 وتمضي الأيام وهو في كهاح المستميت ، وجهاد المستسل ، يتجه إلى الله في
 الصباح ، ويتجه إليه في الظهر ، ويتجه إليه في الآصال ، ويتجه إليه في مع
 الشمس ، ويتجه إليه حيناً تجمع الكواكب
 إنه مهجر إلى الله في كل لحظة ، وفي كل نفس من أنفاسه ، وفي كل صرفة
 عين ، وفي كل نبضة قلب ، وفي كل همسة من همسات الصمير
 إن حياته كلها لله ، ومع ذلك فإن الأيام تمر واسير تمضي ولا يرد الظلام
 حياً فوق أرحاء مكة ، ولا تراه الأصنام فوق باب الله ، سارة الصلال وعلم
 الانحراف !

ويصاعف الرسول ﷺ حصوه وندله ، ويصاعف رجاءه وأمله ، ويجاور
 الأمل الخوف والعلو ، فصاعف التدلل والخصوع ، والالتحاء إلى الله ، حتى
 أصبح صلات الله عليه وسلامه في النهاية وكأنه صفاء من الصفاء ، وبور من
 النور . فلما استوت على الجودي ولما كاد رينها بصيء ولو لم تحسسه نار وفي
 ليلة من الليالي بينما كان الرسول ﷺ معتكماً في عار حراء كعادته كل عام ، وفي
 شهر رمضان المبارك ، تحطم هائياً ذلك الحاجر الذي يفصل بين الكسب المشرى
 الموفق من جانب ، والاصطفاء الإلهي ، ولاحتفاء الرباني من جانب آخر ، أو
 تعبير آخر - ذلك الحاجر الذي يفصل بين الولاية والسوة

حديث بدء الوحي

لقد جاءه الحق ، وهو في حار حراء ، فعاده المنك ، فقال .
 (اقرأ)

قال . (ما أنا بقارئ) .

قال فأخذني فغطى ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال
 (اقرأ)

قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطى الثانية ، حتى نزع مني جهدي ، ثم أرسلني ، قال :

(اقرأ)

فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطى الثالثة ثم أرسلني ، فقال
(اقرأ باسم ربك الذي خلق ، حق لا يسر من علق ، اقرأ وربك الأكرم)
العلق / ١ - ٣ .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرحف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال رسول الله ﷺ ، حتى ذهب عنه انزعاجه فقال لخديجة وأخبرها الخبر
« لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة

« كلا ، والله ما يخفى شئ لك أبدا إني لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب
المعروف ، وتقري المصيف ، وتعين على نوائب الحق . »

فاطمغت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم
خديجة ، لقد كان ورقة عربيا أصيلا من ذروة يثوث قريش .

وهو كما يروى صاحب الأعشى « أخذ من اعترت عبادة الأوثان في
الجاهلية ، وطلب الدين ، وقرأ الكتب ، ومنع من أكل دنائح الأوثان »
طلب ورقة الدين ، ولم يكتب في طلبه بالغة العربية ، بل بل اللغة العربية ،
إذ ذلك : لم تكن تسعفه عما يريد من معرفة ، فتعلم العبرانية .

يقول الإمام البخارى عنه :

« وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبري يكتب من
الإصحاح بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب »

وهو القائل هذه الأبيات الشائعة في الأوساط المؤمنة

لا شيء مما ترى تبقى شاشته بنى الإله وبودى المان والنولد
لم نعن عن هرمر يوما خرائنه والحمد قد حاولت عاد فما خلدو
ولا سبيك ، إذ دان الشعوب له وحسن والإس تحرى يسها البرد^١

(١) البرد جمع برود وهو الرسول

ولقد سئل عنه رسول الله صوات الله عليه فيما بعد ، فقال :
 « قد رأيته في المنام كأن عنده ثياباً بيضاً ، فقد أظن أن لو كان من أهل سائر
 لم أر عليه البياض »

وقد كان ورقة معروفاً بالعقل الالصح والمعرفة الواسعة . ولا خلاص
 المخلص ، وقد كان في فترة بدء الوحي . هذه . « شبحاً كبيراً قد عمي » : أي أنه مر
 بالتحارب الكثيرة في الدين ودينه . وأصبح لا يرحو إلا حسن الخاتمة . والعمل
 ما استطاع - في سبيل الله

من أجل كن ذلك انطلقت السيدة خديجة بالرسول ، صوات الله عليه إليه
 وقالت له

« يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك » .
 وفي أخيره رسول الله ﷺ ، حبر ما رأى قال ورقة ذوب تردد ولا تلعب
 ولا انتظار

« هذا هو آدموس الذي نزل الله على موسى » .
 قل ذلك في يقين حارم وفي إيمان مؤمن .
 أم لأسباب انني دعت ورقة إلى هذا القول وبها لا شك معرفة بحياة
 الرسول صوات الله عليه لقد كانت حياة طاهرة عفة ، كان صوات الله عليه عار
 عن صلب المحدثات ، والجاه المقتل ، وكان بعد عن أن يكون عبد سبي
 ولقد سمع ورقة حديثاً يعكس صورة صحبة مخلصه لصدق اصادق ، وسمع
 هذا التعبير بدي ، عن عصر الصحابة في الموضوع إن الحديث لا يتسم بمطلق مروي
 ولا بتكثير مدبر ، ولا بمحاولة ، أما كانت ، للتبليس والترف بها البراءة المطلقة
 لقد فاحاه ملك على غير انتظار وعلى غير توقع ، وفاحاه في حلة يرحو فيها
 رحمة الله ، ويأمل فيها رضا وفاحاه بأمر م يكن له على بال .

« قرأ »

« ما أن نقارئ »

فما فاحاه الملك بأمر غريب آخر . لقد أحده فمطه حتى طلع منه الجهد . ثم

أرسله ، وقال له ، من حديد : « اقرأ » وتكرر ذلك

ورجع رسول الله ﷺ « يرجف فؤاده »

فلقد عمره بروع ، وما إن وصل إلى المنزل حتى صاح « رموني رموني »

فما ذهب عنه البروع قصص على اسدة حديجة رضي الله عنها ، ما رأى ثم قال

« لقد خشيت على نفسي »

إن كل ديث يرهان وأصح على الصدق ، وعلى الإخلاص ، فإذا ما أصيب

ذلك إلى ما يعرفه ورقة من حياة الرسول ﷺ فإن ثمره ذلك التصديق والإيمان ،

يبدأ أن امور الذي عمر ورقة ، إنما كان إشباع قوله تعالى :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق)

حيثما سمع ورقة أول آية من قرآن :

(اقرأ باسم ربك الذي خلق . .)

لم يملك أن من بأن ، هذا لدى شئ إنما هو وحى من اسماء . إن

(اقرأ باسم ربك) تنص على أن انقرة لا تكون باسم ورير ، ولا أمير ، ولا باسم

مفعلة شخصية ، ولا باسم مصلحة إقليمية ، ولا باسم عادة مادية أيا كانت ، ولا

باسم وطن أو بيئة ، وإنما هي باسم الله ، وإذا كان باسم الله فيها تصد لشخص

باعتباره فرداً ، وتصد المجتمع الخاص الذي اسمه « وطناً » وتصد المجتمع

لإسلامي العام ، بل وتصد الإنسانية جمعاء

وإذا ما تحردت بقراءه لله تعالى ، وكان هدفها الأول ولأخير هو الله مصدر

خير واسور كانت خيراً ، وكانت نوراً في جميع الأرجاء وفي جميع الأيمان

وهكذا وصعب الإسلام مند « اقرأ باسم ربك » أي مند اللحظة الأولى من

تاريخه على قمة الإخلاص ، وعلى قمة الإحسان ، وفي حصص من التقوى ، وعلى

اسم من الصدق ، لما دامب الحياة كلها لله فليس هناك محاب تكذب ،

والرياء ، والنفاق ، والخديعة ، وإرادة غير الله بالأعمال

وحيثما سمع ورقة هذه الكلمة الأولى لم يملك أن آمر ، وماد يمكن أن

يقول لشخص تحرد إلى الله ، ويدعوك أن تتحرد إليه سبحانه ، شخص لم يطلب

ملا . ولا حياءً ، ولا رعاة ، ولا مكناً ، إنه يريد أن تقرأ الإنسانية كلها باسم
 ربه ، وأن تقوم في كتابها كنه على أساس من تربية ربه . ماذا يمكن أن تقول له
 أنك أن تقول . إنك كذاب ، فما هو الصديق إذن ؟
 أنك أن تقول له : إنك منافق ، فأين هو الإخلاص ؟
 إن هذه الكلمة لأوى قاذب ورقة مور سماعها إلى الإيدى

أسطورة التعارض بين الإسلام والعلم .

إن مشكلة التعارض بين الدين والعلم : قد نشأت في أوروبا بعيدة كل البعد عن
 الروح الإسلامية . نرى تحت الإنسانية على التعميم ، ولتى ولد المسيح العلمى لدى
 بسموه « المسيح الحديث » بين ربوعها ، والتى أنشأت على أساس من هذه المسيح
 حصارة صحمة ، لا يزال يكشف كل يوم الكثير من نوائب العميقة ، وما من شك
 في أن الحصارة الإسلامية هي التى قد قدمت بحصارة عربية الحديثة مبهمة .
 وقدمت لها الكثير من حقائق علمية في كثير من المجالات المختلفة

إن المسيح العلمى الحديث في أوروبا يرجع إلى (روبريكون) فهو لدى
 أذاعه وبشره في أرجاء أوروبا

ويتحدث لأستاذ (برهوب) في كتابه « ساء لإساسة » فهو عن روبر
 يكون إنه درس لغة العرب ، والعلوم العربية في مدرسة « كسفورد » على أعضاء
 العرب في الأندلس ، وليس روبر يكون ولا لسميه الذى جاء بعده الحق في أن
 نسب إليها الفصل في ابتكار المسيح التحريبي ، فلم يكن روبر يكون إلا رسولا من
 رسل العلم والمسيح للإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن
 تعلم معاصريه لغة عربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد لمعرفة الحق والمناقشات
 التي دارت حول واضعى المسيح التحريبي طرف من تحريف الحقائق لأصوات
 لحصارة الأوروبية

وقد كان مسيح العرب التحريبي في عصر « بيكون » قد انتشر انتشارا واسعا ،

وانكب الناس في طوف على تحصيله في ربوع أوروبا^(١)

ويقول : (بريهولت) أيضاً

لقد كان العلم أهم ما حدث به احاصرة العربية على العالم الحديث ، ولكن ثمره كانت بطيئة النضج

إن العقصرية التي وجدت في بلاد العرب في سبيل تهبط في غلوتها إلا بعد مضي وقت طويل على احتفاء تلك الحاصرة وراء سحب الظلام ، ولم يكر العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة ، بل إن مؤثر أخرى كثيرة من مؤثرات الحاصرة الإسلامية بعثت بكورة أشعتها إلى الحاة الأوربية^(٢) .

وإذا كان الإسلام هو الذي أشأ هذا المسح وهذا العلم من انطبعي ألا يعارصه .

على أن مسألة التعارض بين الدين والعلم بما هي مسألة وهمية ، إذا نظرنا إلى حقيقة الأمر :

وذلك أن العلم دائرته المادة ونفس ، أما الدين فدائرته - (ما وراء الطبيعة) ، والخير والعصبة ، فيها لا يتشاكل في الموضوع ، فكيف يتعارضان ؟

إن ملاحظة العصر الحاضر يتوهمون مشكل لا أساس لها ثم يصنعونها على ساطد البحث ، ويشاقشون فيها ويتجادلون ، وعلى مر الزمن - يصي الإلف عليها ، وهي وهمية صورة من طلال حقائق ، فيطعن بعض ناس أنها مشكل حذيرة باسحت وانظر ومن ذلك مسألة التعارض بين العلم والدين مع أنه لا اتحاد بين موضوعيهما

العلم في الإسلام أوسع دائرة :

وإذا فتصرت أننا على العلم لمادى فإن الإسلام لا يقف عند ذلك وإنما يوجه الإجابة إلى مصدر آخر للعمل والمعرفة هو القلب أو الروح والنصيره .

(١) تجديد التفكير العلمي في الإسلام ، تأليف محمد إقبال ، ترجمه الأستاذ عباس محمود

(٢) المصدر السابق

إن الإسلام يوحه لإسناد إلى المعرفة لإشراقية ، أو لكشفية ، أو لإلهامية .
 ويجمع الإسلام الاتحاد العلمي الحديث إلى لاتحاد التصيرى في قوه
 (إن لسمع ، وانصر ، ولقواد كل ولئت - كان عنه مسئولا) (١)
 فالسمع ، وانصر هما أساس العلم مدى علم التحررة ، والملاحظة ، أما
 القلب فإنه أساس العلم الإلهامى .

إن الله سبحانه وتعالى يوحه لمسلم إلى الملاحظة والتحررة ، ويوحه أيضا إلى
 الاستشرف لنهضة ولور القلى عن طريق الحق بكريم والتقوى والإخلاص
 وحب الإنسانية والمعاونة في الخير

وإذ كان الإسلام أوسع نظرة في الحجاب العسمى عن الحصارا للحبيثة ، وأدق
 وأشمل فيه بحالها اختلافاً حديراً حاسماً في مسألة الإرادات ولواء ، وفي أمر
 لأصايب والبواغث ، وفي اتجاه العبادات ولأهداف .

إن الحصارا الحديثة تقول العلم لا صلة له بالأخلاق ، أو تقول
 العلم لا أخلاقى والعلم في نظرها لا شأن به بخير والشر
 ولكن الإسلام يجعل أساس العلم منسمة بخير ، ويجعل غايته منعمسة في
 الخير ، ويجعل من العلم قريناً إلى الله ، ويجعل منه عبادة لله ، إنه سبحانه محله باسمه
 الكريم ، إن العلم في الحق لإسلامى قرعة باسم الله
 ومن هنا كانت حصارا الإسلام حصارا رحمة وهداية لا حصارا تدمير
 وتحرير

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء . ١٠٧
 تدب حقيقة في الدين الإسلامى ، سواء نظروا إلى أساسه أو نظروا إلى غايته
 أما الرسول ، صلوات الله عليه فإنه
 (رحمة مهددة)

الجهر بالدعوة وإثبات الرسالة

مكثت الدعوة لاسلاميه سريه ثلاث سنوات ، ثم أمر صوات الله عليه بالخروج
 منها فصعد على بصفا فقال يا معشر قريش ، ففالت قريش محمد بن النضر
 يهتف ، فاقبوا واحتمعوا ، فقالوا مالك يا محمد ؟

قال : انكم و احبركم ان حلا سمع هذا احل انكم مصدق ؟
 قالوا : نعم ، انت عبدنا غير متهم وما جرمنا عليك كذبا قط

قال : فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، يا بني عبد المطلب ، يا بني
 عبد مناف ، يا بني دهره . حتى عدد الأصحاب من قريش ان الله مرنى ان
 انس عشيرتي الأقربين . ويا لا آمنن لكم من الدين مفعلة ولا من الآخرة نصيباً
 الا ان تقولوا . « لا اله الا الله »

وإذا كان رسول الله ، صواب الله عليه قد طرح الثقة على قريش برفعه علم
 الأمانة هذا في وجوههم فإنه كان مطمئناً وثقاً من أن حياته من النصاء بحيث لم
 يشها ما يجعل رأى قريش فيه قسحاً .

لقد كانت حياته لبراءة الكامة ، وظهر التام وهذا ما دعاه إلى أن يتحدى في
 صراحة ، وأن يعس في وصوح أن حياته تثبت صدق ما يقول

ولو تمثلت لأمانة الصدق والإخلاص - في كل من يحيطون به لما كان في
 حاجة إلى دفع علمه هذا . فقد كان يكفي لإحبار أنه رسول فتكون لاستحادة

وقد آمن بمجرد هذا الإحبار كثيرون لما توفر فيهم من الصدق والإخلاص
 لأنفسهم وللآخرين أى لما توفر فيهم من الأمانة لقد آمنت حديجة ، وآمن
 أبو بكر ، وآمن ورقة وغيرهم بمجرد أن أحرهم بأمره آمنوا لما يعرفونه فيه ولا
 يطعنونه من حياته ، وقد أقر هذه الصمة - صمة الأمانة - أبو سفيان في وقت كان
 فيه من أشد أعداء رسول - سأنه هرفق قائلاً هل كنتم تهيمونه بالكذب قبل أن
 يقول ما قال ؟ فقال أبو سفيان لا ، وكان يستح هرفق عرف أنه لم يكن ليدر
 الكذب على الدس ويكذب على الله

وسأله هرقل أنا سفيان أبيض هل قد أثر عن محمد عذر ؟ فأجاب أبو سفيان
بلى ؛ فقد نه هرقل سألتك هل يعذر مدكرت أن لا ، وكذبت الرسل لا
تعذر .

أما إثبات الرسالة فقد تحدث القرآن الكريم عن المعجزة الكبرى ، وهي
القرآن ، وتحدى العرب به ، لقد تحداهم به في عسف ، وتحداهم متدرجا بهم ، إذ
طلب إليهم أولا أن يأتوا بمثله فقال الله تعالى : (قل نبي حنتمت الإيس
وحي على أن يأتوا بمثله القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيرا)^(١)

فلما عجزوا طلب إليهم أن يأتوا بعشر سور مثله
(أم يقولون فتراه ؟ قل فأتوا بعشر سور مثله مبريات ، وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين)^(٢)

فلما عجزوا طلب إليهم أن يأتوا بسورة من مثله
(وب كنتم في رب مما ردد على عبدا فأنو سورة من مثله ، وادعوا
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ، ومن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)^(٣) .

عن كل ذلك عجز المشركون ، فثبت أن هذا الكتاب من لدن الله
أما عن حياته صلوات الله عليه فإن قرآن تحدث عنها من دواها مختلفه لقد
تحدث عنها في صراحة لا ليس فيها ، وتحدث عنها في إشارات دلت معنى ، وتركها
فصلا عن ذلك نستخرج من أخبار لكثيرة التي قصها عنه - جواب لا تخص من
السمو الأخلاق الكريم .

١ لقد تجرد صوات الله عليه من كل مصلح دنيوى .
(قل ما سألكم من أحر فهو لكم ، إن أخرى إلا على الله ، وهو على كل
شيء شهيد)^(٤) .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣ - ٢٤

(٤) سورة ص آية ١٧

(١) سورة الإسراء آية ٨٨

(٢) سورة هود آية ١٣

٢ - وقد لست منهم من قبل ذلك أربعين عام ، هم يحشتم سورة ولا برصاة
(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ، ولا أدراككم به ، فقد لست فيكم عمرا من
قبله أفلا تعقلون) يوسف / ١٦

٣ - ويطلب إليهم القرآن الكريم أن يتفكروا في أمر صاحبهم هـ ، الذي
نشأ بينهم ، وترعرع على مرأى ومسمع منهم :

« قل إني أعطكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ، ثم تتفكروا
م أصحابكم من جهة إن هو إلا نذير لكم ، بين يدي عذاب شديد ^(١) »
وبشرح الرمحشري هذه الآية شرحا لطيفا يقول ما ملخصه

إني أعطكم بواحدة ب علمتموها أنستم الحق وتخلصتم ، وهي ، أن تقوموا لوحه
الله حالصا ، اثنين اثنين ، أو واحداً واحداً (ثم تفكروا) في أمر محمد ﷺ ، وما
جاء به

أن الانسان يتفكران ، ويعرض كل واحد منهما محصور فكره على صاحبه ،
ويظنون فيه متصادفين ، متنافسين ، لا يميل سها اتباع الهوى ولا يصب لها عرق
عصية ، حتى يهجم سها لفكر الصالح والبصر بصحيح ، على حدة الحق وسسه ،
وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل وبصحة ، من غير أن يكاره ، ويعرض فكره على
عقبة ودهنه ، وما ستقر عنده من عادت بعقلاء ومخاري أحوالهم .

والذي أوجب تفرقهم مثنى وفرادى : أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويجمع
من الروية ، ومع ذلك يقل الإصناف ، ويكثر الاعتساب

وقد علمتم أن محمداً ﷺ به من حجة ، بل علمتموه أرجح قرش عقلا ،
وأصلهم رأيا ، وأصدقهم قولا ، وأبرهم بصرا ، فكان معنة لأن تطوبوا به الخير
وبدا فتم ذلك كماكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية

٤ - ويصف القرآن الكريم حائنا من حواش حيدته ويصف دعوته أنها
يقول

(وما كتب تلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، يذن لارتاب

بمضون ، بل هو آيات بيّات في صدور الدين تونو النعم وما محمد مياتنا بلا
الظالمون (١).

وإد وقف قللاً عند هاتين الآيتين فإب محمد أن الآله لأولى تريد أن تقول إنه
حق لو فرضنا أن محمد صلوات الله عليه كان نقرأ ويكتب ، وأنه كان يلو من
قبله كتب ، أو كان يحطه بيمينه لاقتصر لآرتياب على البطلان فحسب ذلك أن
معاني الكتب ومماهم دعوة بي أن في وقواعد وسدئ حتى شها كل
ذلك آيات بيّات في صدور الدين تونو النعم ، لا ينبغيها ، ولا محمد إلا الظالمون ،
وانظلمون في كل آوة يمحذون الحق ، ويسكرون المظن السليم

و يتوح نروا الكريم تحده عن الرسول ، صلوات الله عليه ، بهه لكلمة
العميقة

(وإنك لعلى خلق عظيم) انقم / ٤

إن الدعوة الإسلامية يات بيّات في منطق الحق . وفي منطق العقول المستبيرة
وها هو ذا (أنكم من صبي) أحد حكماء العرب سبج بظفره أسلمة هذا
الهبج من الاستدلال على صدق الرسول ﷺ بدعوته
يذكر (الألوسي) أنه لما ظهر النبي ﷺ بمكة ودعا إلى الإسلام فبعث أنكم من
صبي أنه « حسناً » فتأه بحره . فجمع بي نهم وقال هم فيما قال
« إن بي شفه هذا رجل مشافهة ، وأتالي بحره ، وكتابه بأمر بالمعروف ،
ويهي عن أسكر . ويأحد فيه محاسن لأحلاق . ويدعو إلى توحيد الله تعالى .
وحلج الأوثار ، وترك الخلف ماسيران . وقد حنف (عرف) دوو برأي منكم أن
«فضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما بهي عنه »
ثم يقول هذه الكلمة الرائعة

« إن الذي يدعو إليه محمد لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً »
وقد كان الاستدلال بصدق الدعوة على صدق الرسول صلوات الله عليه هو
المعنى الذي صار فيه جعمر من أبي طالب رصواب الله عليه حيناً سأنه الحاشي

عن امر دينه . وذلك أنه لما فر المستعربون بدينهم إلى الخشنة مهاجرين إليها سب ما
 نالهم من عذيب أنيم ، وأرسل لقرشيوهم وفداً إلى الحبشي فيه عهد الله من أي
 ربيعة ، وعمرو بن العاص . لرد المهاجرين إلى مكة ، يعذبوهم من حديد ولما التقى
 الوفد والحبشي قال له عمرو بن العاص

« به قد خأ إلى بلدك ما علمنا سبها . فاقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في
 دينك ، وجاءوا بدين انتدعوه ، لا يعرفه نحن ولا أنت . وقد بعثنا إليك فيهم
 شراف قومهم من آناهم . وأعمامهم . وعشائرتهم لردهم عنهم . فهم على بهم
 عينا (أي أبصر بهم) وأعلم بما عابوا عليهم »

فيما سمع الحبشي كلامهم رأى آل من حكمة ألا يسلم إليهم المهاجرين ، دون
 أن يسلم كلامهم وحبهم ، فإرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ . فدعاهم ، فلما
 جاءوا قال لهم ما هذا الذي قد فارقكم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني .
 ولا دين أحد من هذه القبلى ؟ فكان لدى كلمة جعفر بن أبي طالب ، فقال له
 « أنها الملك ، كك هوأ أهل جاهنة بعد لأصنام . وبأكل الميتة ، وبأق

بفواحش ، وبفطع لأرحام . وبسب الحور ، وبأكل بقوى ما الضعيف
 فكأن على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا ما ، يعرف نسبه ، وصدقته ، وأمانته
 وعفوه . فدعانا إلى الله . لئوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كان بعد نحن وآؤنا من
 دونه . من الخجارة والأوثان . .

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الخوار ،
 والكف عن المحرم ولذماء .

وبها عن الفواحش ، وفور الزور . وأكل ما ليس ، وعدو الخصمات
 وأمرنا بعباد الله وحده ولا شرك به شيئاً . وأمرنا بالصلاة ، والركاء ،
 والصيام ، (وعدد عليه أمور لإسلام) فصدقناه ، وآمنا به . وسعده على ما جاء
 به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشتك به شيئاً ، وحرمتنا ما حرم علينا ، وأحللنا
 ما أحل لنا

فعدا عيب قومنا ، فعذبونا وقتلونا عن دسا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من

عبد الله تعالى ، وأن يستحل ما كد يستحل من الحداث ، فلما فهِرونا ، وظنمونا
وصيفوا غيب ، وحابوا بيضا وبين ديبا - خرجنا إلى بلادك
ولما قرأ عليه صدراً من سورة مريم بكى النجاشي ، ثم قال :
إن هذا ، ولدى جاء به عيسى لخرج من مشكاة واحدة . ثم التفت إلى
عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، فقال لهما
(اطلقا : فلا ، والله لأسمعهم إليكما)

لقد علم النجاشي هو سمعه المادى الإسلامية « أن هذه المادى حق ، وأن
آيات بيئات ، لا يحق صدقها على أصحاب القطر لسليمه ، وعم أن ما أتى به
محمد صوات الله عليه ، إله يصدر من اسم الذى كانت تصدر عنه رسالة عيسى
عليه السلام »

وبعد فإن سيرة الرسول صوات الله عليه والمادى الإسلامية من هم الرسائل
التي يسعى أن يتجه إليها المسرون بالدين الإسلامى لنشر الإسلام

على أن هذا السج من الاستدلال بالدعوة على الصلح ، وحمل الطر في
لدعوة إحدى الوسائل التي تسلم مع غيرها من الوسائل إلى التيقن بصدق
الداعى - هذا السج لدى المحدث هرقل والنجاشي - هو السج الذى أقره الإمام
الغزالي ، فإليك إذا « أكثر أسطر في نقرن ولأخبار يحصل لك العلم الضرورى
بكونه ، صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة » .

وأعصد ذلك بتحرية ما قامه في العادات ، وتأثيرها في تصفية القلوب ، وكيف
صدق في قوله صلى الله عليه وسلم

« من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »

وكيف صدق في قوله صلى الله عليه وسلم ؟

« من أعان طملاً سلطه الله عنه »

وكيف صدق في قوله صلى الله عليه وسلم ؟

« من أصبح وهوومه هم واحد - هو التقوى كعاد الله هوم الدنيا والآخرة »

فإذا حُرِّتْ ذلك في ألف ، واهين ، وآلاف حصل لك علم ضروري لا
تبارى فيه ، بأنه صلوات الله عليه على أعلى درجات النبوة
« إن النظر إلى الدعوة الإسلامية في نظر الإمام الغزالي هو أحد الوسائل التي
تثبت صدق الرسول ﷺ »

وقد تابع هذا الاتجاه في الاستدلال العالم لاجتماعي كبير ابن خلدون وهو
متنوع في نظرة عامة الكثير من الاتجاهات المستقيمة في شأن النبوة .
ونقل هنا ما كتبه خصوصاً بموضوع الاستدلال بالدعوة حينما تكون الدعوة حياً
محصلاً كالدعوة الإسلامية . على صدق الرسول فيما يدعو إليه ، يقول
ومن علامتهم أيضاً :

دعائهم إلى دين والعادة من الصلاة ، والصدق ، والعفاف ، وقد
ستدلت حديجة على صدقه ﷺ بذلك . وكذلك أبو بكر ، ولم يحتاج في أمره إلى
دليل خارج عن حانه وحنه ، وفي الصحيح .

أن هرقل حين جاءه كتاب النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام - أحضر من وحده في
لده من قرش ، وفيهم أبو سفيان يسأله عن حاله . فكان فيما سأل أن قال
« يا أمركم » فقال أبو سفيان بالصلاة ، والزكاة ، والصحة ، والعفاف .
إلى آخر ما سأل ، فأحابه فقال .

« إن بكر ما نقوله حقاً فهو نبي . وسيملك ما تحت قدمي هاتين »

والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو - العصمة .

« فابتر كيف أحد من العصمة ، والدعاء إلى دين ، والعبادة ديلاً على صحة

نبوته ، ولم يمتنع إلى محبرة يدل ذلك على أن ذلك من علامات النبوة
وشيء آخر له محبة الكبير في إثبات رسالة ذكرته السيدة عائشة ، رضي الله
عنها في حديث « بدء الوحي » وهو « أب الله ، سبحانه ، حبيب إلى رسوله ﷺ »
الخلاء ، فكان قل الوحي يغادر مكة ، ويبعد عن حياتها الصاحبة التي كان يرى
فيها من الضلال الشيء الكثير

بتركها ليحلوا بغار حراء فريد يتأمل ويرجو ويسجد لله متعبداً ، حاشعاً طالماً

رصاه ، آملا في هدمته كذا سحت في هدمه . نهار أي يتعد فيه الليالي دواب
العدد هل أن يرفع إلى أهله ، ويترود يعود من حديد إلى السك ، وإن العادة
لم يكن إذن يطلب مالا أو ثراء أو لذة مادية أو جاهاً أو محمداً عبد الله ، إنه
يطلب الهداية وسحت عنها

ولقد وصح عروبه عن . حارف الحبة وصوحاً نبأ في قومه وسوكة . وتذكر
أسيرة النبوة بآي لها معنى واحد عميق

أما الب الأول فهو أن عتة من رسة - وكان سيداً في قومه - قال يوماً ، وهو
جالس في نادى قريش ، ورسول الله ﷺ ، جالس في المسجد وحده . يا معشر
قريش ، ألا أقوم إلى محمد ، فأكمه وأعرض غلبه أموراً ، لعله يصل بعضها
فعطيه أبا شاء ؟

وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ ، يرددون
ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه

فقام إليه عتة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ . فقال

« يا بن أخي ، إنك ما جئت قد علمت من السنة في العشرة ، والكمال في
سب . وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسلبت به
أحلامهم ، وعنت به آلهتهم ، وكفرت من مصي من آئتهم ، فاستمع مني أعرض
عنك أموراً . تنظر بها لعلك تقلل مني بعضها

فقال رسول الله ﷺ ، « قل يا أبا الوليد أسمع »

قال : « يا بن أخي ، إن كنت بما تريد عما جئت به من هذا الأمر مالا جمعاً
لث من أموالنا ، حتى نكون أكثرنا مالا ، وإن كنت بما تريد به شرفاً سوددك
عليها حتى لا تقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وإن كان
هذا الذي نأيت رثياً بره لا تستطيع رده عن نفسك طمنا لك الطب وندما فيه
أموالنا حتى يبرئ من . فبه ربح غلب لتبع على الرجل . حتى بداوى منه »

حتى إذا فرج عتة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال لقد فرغت يا أبا الوليد

قال : نعم

قال . فاسمع مني

قال افعل

قال (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تترين من الرحمن الرحيم ، كتاب
فصل آياته قرآن عربياً لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً ، فأعرض أكثرهم فهم
لا يسمعون ، وقالوا قلوب في أكنة بما تدعوننا إليه) فصلت / ١ - ٥
ثم مضى رسول الله ﷺ ، يقرأها عليه ، فلما سمعها منه عبة بصت لها ،
ولقي يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه .

ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة ، ثم قال « قد سمعت ، أنا الوليد
ما سمعت ، هأت وذاك »

فقام عبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض نحيف الله لقد جاءكم
أبو الوليد بعير الوجه الذي ذهب به

فلما حسس إليهم قالوا « ما وراءك ، أنا الوليد ؟ » قال « ورأى أي سمعت
قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
يا معشر قريش ، أضعوني واحضروها لي وحيوا بين هذا الرجل وبين ما هو
فيه فاعتزنوه ، هو الله ليكون لقوله الذي سمعت منه ما ، فإن تصبه العرب فقد
كفيتموه بعيركم ، وإن يظهر على العرب فذلك وعره عركم ، وكنتم أسعد الناس به
قالوا : « سحرك والله ، يا أنا الوليد بلسه »

قال « هذا رأي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم »

قد يقول قائل إنه لو عرض على محمد ﷺ هذا انعرض من هيئة تستطيع
تصيده لقبل هذا القول بنفسه أن عتة كان مفوضاً من رعماء قريش ،
ويتقصه أيضاً الحر الآخر الذي ترويه كتب السيرة

لقد اجتمع عبة بن ربيعة ، وشقة بن ربيعة ، وأبو سعيان بن حرب ، والبصر
بن الحارث ، أخو بني عبد الدار ، وأبو سحر بن هشام ، والأسود بن المغيرة
بن أسد ، ورمعه بن الأسود ، والوليد بن عبيدة ، وأبو جهل بن هشام عليه لعنة
الله ، وعبد الله بن أبي أمية ، ولعاص بن وائل ، وبيبه ومسه ابنا الحجاج

نسهميان ، وأمية بن خلف اجتمعوا بعد غروب اشمس عند ظهر انكعة ، ثم قال بعضهم لعصر

« انعثوا إلى محمد فكنموه : وحاصموه ، حتى تعذبوا فيه » .

« فعثوا إليه ، أن أشرف قومك قد اجتمعوا لكلموك فأتهم

هجعاهم رسول الله ، ﷺ سربعاً وهو بطر أن قد بدا هم فما كنهم فيه »

وكان عليهم حربصاً يحب شدهم ويعرعله عنهم ، حتى حنس إليهم فقالوا له

« يا محمد إنا قد بعث إليك لكرمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب

دخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ،

رشتت الآلهة ، وسهت الأحلام ، وقرقت الحاجة ، فما نبي أمر قبيح إلا حشته فما

يما ويبك

فإن كنت إنما حشبه الحديث بطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى

تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فما نحن بسودك عينا ، وإن

كنت تريد به ملكاً ملكك علينا ، وإن كان هذ الذي يأتبك رثيا ، نراه قد عبت

عليك - وكانوا يسمون التابع من نحن رثيا فرما كان ذلك بذلك لك أموالنا في

طلب الطلب لك حتى نبرئك منه أو نعدرك فيه » فقال لهم رسول الله ، ﷺ

« ما لي ما تقولون ، ما جئت بما جئكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم

ولا املك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولا ، وأنزل علي كتاباً ، وأمرني أن

أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فليكنكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فإن تقصوا ما

جئتكم به فهو حطكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه عني أضيق لأمر الله ، حتى

يحكم بيني وبينكم »

هذا المعروف عن محمد وآله عند الناس ، وعن المال والثروة ، وعن الدين

كلها تؤيده حياته ، صوات الله عليه ، من وطأ إلى آخره ، ويؤيده القرآن

تأييداً حاسماً .

(من كان يريد حياة الدنيا ورينها يوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا

يحسون أو يذكرون الدين ليس هم في الآخرة إلا النار وحط ما صنعوا فيها ووطئ ما

كانوا يعملون^(١)»

(من كان يريد العاجلة عطلنا به فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم بطنا لها مذموماً مدحوراً^(٢) » .

(اعلموا أنما الحياة الدنيا - لعب ولهو ، ورفية ، وتفاخر بينكم ، وتكاثر في الأموال والأولاد - كمثل عيث أعجب الكفار بساته ، ثم يهيج فتره مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ، ومعرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور^(٣) » .

وعن حير بن بغير رضى الله عنه قال « دخلت على عائشة ، رضى الله عنها ، فسألتها عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : القرآن ، وحقيقة الأمر أن رسول الله ﷺ كان في كل ما يأتيه وفي كل ما يدعه قرآناً مطلقاً ، ومن هنا كان قول الله سبحانه وتعالى (وإنا لك لعلی خلق عظيم) القلم / ٤ .

كثت تأتيه الدنيا فيسرقها وهو جالس ، أتى إليه صلوات الله عليه سبعون ألف درهم ، فوضعها كما يروى هارون بن رباب - على حصير ، ثم قام إليها بقسمها ، فما رد سائلاً حتى فرع منها »
« وبينا هو عائد من حين تكاثرت الأعزاب عليه سألوه ، وجصفوا رداءه ، فوقف رسول الله ﷺ وقال اعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العصاة - شجر عظيم له شوك - بما لقسته بكم ، ثم لا نحدوني نخيلاً ، ولا كدأياً ، ولا جناةً » .

ويقول ، صلوات الله عليه ، لأصحابه .

« مالي والدنيا ؟ »

ويقول ﷺ :

« عرضت على الدنيا فأبيتها »

(٣) سورة الحديد آية ٢٠

(١) سورة هود آيات ١٥ - ١٦

(٢) سورة الإسراء آية ٦٨ .

« ولقد كان رسول الله ﷺ كما يروى عن أنس رضى الله عنه أحب إسان إلى الأنصار والمهاجرين ، ولكم كدو إذا رأوه لا يقومون له لما يعرفون من كرهيته له : « أى القيام له » ويقول ﷺ لأصحابه :

« إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستحكم فيها ، فيطر كيف تمسبون ؟ فاتقوا لدي وتقرا الساء » ويقول ﷺ لأصحابه وهم جالسون حوله « إن مما أحاط عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من رهرة الدنيا ورستها » إن أرسوس صوت الله عليه ما كان ليطلع إلى الدنيا في محض جواب وهو يقر قوله تعالى

(. بين مدس حب شهوات من الساء والسين ، ونفطير المقطره من الذهب ونقصه واحيل لمسومة والأنعام واخرث ، ذلك متاع الحية دنيا ، والله عنده حسن المآب ^(١))

عروفه ﷺ عن الدنيا إدب قصة هي من الدهة حيث تفحأ في الطرة الأولى كل دارس لسيرته ﷺ

وحينما رفعه الله إليه ، يترك الصباغ والعمارت واسساتين ، وم يترك الآلاف المؤلفة من الذهب ونقصه ، وإنما ترك وراءه مادي حق التي أوجهاها الله إليه ، والتي مكث طول حياته يحاهد يقونه وعمه في سبيل إقامتها ونشرها ، ويكافح كفاحاً لا يهد ولا يفتر في سبيل تدعيمها ، وترك وراءه رجلاً يؤمنون بهد مادي ، ويشقون بأنهم مكلفون ، عتارهم من المسلمين بشرها وإدعائها بين رجاء العالم أجمع ، وترك عبيراً تنصوع رحمة ويشع نوراً ، معها طاب القروب وتداولت الأرملة

إبه ﷺ هو تلك لصوره حبة لتطسب الفرقى ، فكان ﷺ عارفاً عن الدنيا ما في ذلك من شلل ، وكان عارفاً عن الدنيا بسعيه وراء الآخرة ، وعمره المصمم على أن يكون فيها بأى وجه يدع مرضياً لله تعالى ، ومن كان كذلك كان صادق حتماً .

وعرفوه عن الدنيا من أقوى الأدلة على صدقه وعلى إخلاصه صوت الله
وسلامه عليه

بيد أن هذا العرف عن الدنيا ، لا يعنى إلا عدم تعلق القلب بها ، وبك
السيطرة عليها وامتلاكها وتسخيرها في سبيل مرضاة الله ، من وحات كل مسلم ،
والمسلم مكبح دائم في سبيل الله ، ومن أحل مرضاته ، وقد امتلك المسموم الأول
الدنيا ، وذات لهم العمورة ، وخصعت لهم مائة ، فاستخدموا كل ذلك في الخير
وإسعاد الإنسانية

وقد تحدثنا فيما سبق عن الإسلام واعلم ، وعن الإسلام وتسخير لده ، وقمنا
إن ذلك عبادة .

الفصل الرابع

الإسراء والمعراج

وترقى به إلى قاب قوس ١ وثلاث لسانة الفجاء
رتب تسقط الأمانى حسرى ٢ دوتها ما وراءها ورء
ثم وافى يحدث الناس شكرا ٣ إذ أتته من ربه النعماء
يقول الله تعالى

(مسحان الذى أسرى عنده بيلا من المسحح الحرام إلى المسحح الأقصى الذى
باركنا حوله ؛ نرى من آياتنا : إنه هو السميع العليم ^(١))
ويقول تعالى :

(والحمم إذا هوى ، ما صل صاحبكم وما عوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن
هو إلا وحي يوحى - علمه شدة القوى ، دومة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى .
ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين ، أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب
الأنفاد ما رأى ، أفتأروبه على ما يرى ، ولقد رآه رقعة أخرى ، عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ما يعشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى
من آيات ربه الكبرى ^(٢)) .

هذه هي الآيات القرآنية عن الإسماء والمعراج ،
أما الأحاديث النبوية فيها كثيرة مستقيمة . ولقد رويت عن أكثر من ستة
وعشرين صحابياً بكل بعضها بعضها
وعن ما لا يعين أن يذكر لموضوع بكل تفصيلاته فإنه معروف عادة
للمسلمين . وإنما الذى يعين أن يذكر على الخصوص الجانب الأخلاقى به ،
وجانب المعنى منه

ولقد قدم ابن إسحاق - على حسب ما يروى ابن هشام - الحديث الإسماء
بكلمة جمية يقول فيها :

(١) سورة الإسراء : ١

(٢) (سورة النجم الآيات ١ - ١٨)

« وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء ومحيص ، وممر من أمر الله ، في قدرته وسلطته فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله على يقين »

فأسرى به كيف شاء ، وكما شاء ، ليريه من آياته الكبرى ما أراد ، حتى عرس ما عاين من أمره ، وسعته العظم ، وقدرته التي يصنع ما يريد .
وعمل الأمر أن رسول الله ﷺ بينما كان دأماً أتاه جبريل ، فأيقظه ، وخرج معه ، فإذا أمامهما دابة بيضاء هي ليرق ، وركبها رسول الله ﷺ . وسارت الدابة وجبريل معه - على حد تعبيره ﷺ « لا يموتني ولا تقومه » حتى سبي إلى بيت المقدس

فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ، فأمرهم رسول الله ﷺ ، وصلى بهم ، ثم أتى بابائين بأحدهما حمرا ، وبالأخرين ، فأخذ رسول الله ﷺ إباء اليمين ، وشرب منه ، وترك إباء الخمر فقال له جبريل « هديت للفطرة ، وهديت منك ، وحرمت عليكم الخمر »

وتروى كتب السيرة أن رسول الله ، صلوات الله عليه ، أتاه ليلة الإسراء آت ففرح صدره ، ثم عساه ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، ففرغه في صدره الشريف . ثم أصبغه

ولما انتهى صلوات الله عليه من باب المقدس عرج به إلى السماء ، وأحد برتقي السماء سماء ، ثم تجاوزها جميعها إلى صدره المنتهى ، وإلى قاف قوسين وأثنى ، وهناك حيا الرسول صلوات الله عليه ربه
(التحيات لله ، ووصلوات وانعطافات)

وحياه الله سبحانه وتعالى

(السلام عليك : أيها النبي ورحمة الله وبركاته) .

وقال الرسول ، صلوات الله عليه

(لسلام علي وعلى عدد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) .

وفي هذه اللحظات الحالدة انني لا يتأني أن توصف فرض الله سبحانه وتعالى
للمصلاة على الأمة الإسلامية

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن ربه الإمام أحمد . قال قال رسول الله
ﷺ :

« لما كانت به أسرى بي . وأصبح عني فصعت أمرى . وعرفت أن
الناس مكذبون » .

قال فرعدو الله أبو جهل . فحاء حتى حس يبه . فقال له أبو جهل
كالمستهرئ :

هل كان من شيء !

فقال رسول الله ﷺ : نعم

قال ما هو ؟

قال . إنه أسرى في الليلة

قال . إلى أين ؟

قال . إلى بيت المقدس

قال . ثم أصبحت بين طهرين ؟

قال . نعم

قال : فلم ير أنه يكذبه محافة أن يحمده الحديث ، إذا دعا قومه إليه !

قال . أريت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثني !

فقال رسول الله ﷺ : نعم

فانطلق أبو جهل إلى قريش . فقال

هيا يا معشر بني كعب بن لؤي

قال : فذفقت إليه المخالس ، وحاءوا حتى حسوا إليهما .

فقال أبو جهل : حدث قومك بما حدثني

فقال رسول الله ﷺ . إلى أسرى في الليلة .

قالوا : إلى أين ؟

قال : إلى بيت المقدس

قائوا : ثم أصبحت بين طهرانيما ؟

قال : نعم

فإذا بانقوم بين مصفق ، وبين وضع يده على رأسه متمعجا للكذب فيما رعم

قائوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفي انقوم من قد سافر إلى ذلك

بلد ورأى المسجد

فقال رسول الله ﷺ : ذهبت أنت ، و زلت أنت حتى التمس على

بعض التعت .

قال : فحيء المسجد ، رأى نظرا ، حتى وضع دونه در عقيل ، معه وأنا

أنظر إليه

قال : فقال انقوم : أما التعت هو الله فقد أصاب

وعن الحسن : أنه في يوم لحديث عن الإسراء ارتد كثير ممن كان أسم .

ودهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له :

هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟

يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس ، وصلى فيه ، ورجع إلى مكة !

فقال هم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه

فقالوا : لا ، ها هو ذلك في المسجد يحدث به الناس .

قال أبو بكر : والله لئن كان قد صدق ، قد يعجزكم من ذلك ؟

هو الله به ليحبرى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو

نهار ، فأصدق ، عهدا أبعد مما تحبون منه ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله

ﷺ ، فقال

يا نبي الله ، أحدثت هؤلاء انقوم أنك أنت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال

نعم

قال : يا نبي الله ، قصه لي فإن قد حثته !

قال الحسن : فقال رسول الله ﷺ : فرجع لي حتى نظرت إليه ، فحس

رسول الله ﷺ يصفه لأبي بكر - ويقول أبو بكر صدقت ، أشهد أنك رسول الله ﷺ . وكما وصفه به شيئاً قال صدقت ، أشهد أنك رسول الله . قال . حق انتهى .

قال ، رسول الله ، ﷺ لأبي بكر

وأنت يا أبا بكر : « اصدق » فيومئذ سمعه : « اصدق »

هذا هو الميكل الذي ترويه الكتب هذا السأ خليل ، يسمعه قوم فلا يصل إلا إلى الخواص الظاهرة منهم ، فأجلون في لندن الشكوى . كان ذلك في ليقطة أم كان ذلك في اليوم ؟ أكن ذلك بروح والحمد ، أم كان بالروح فقط ؟ وهل كان ليلاً أو كان نهاراً ؟

وهذه كلها صور من لندن الذي بثور حين يحف ورب الإيمان في انفس . ويسمع هذا السأ قوم ، يحصل إلى أعماق قلوبهم ، فينحسرون في صورة طبيعية إلى معرته العميق . وفي روحانيته السامية ، ويرى أن هذا السأ يطوى على توحيدات لا ينبغي أن يمر عليها الناس من الكرام من هذه التوحيدات ١ لقد كان رسول الله صلوات الله عليه حائمة سلسلة من الأنوار التي يرسلها الله إلى العدم بين العينة والعينة ، تهدي إلى ارشاد ، ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات في معارج قدس ، لتصل بالخطيرين منهم إلى الكمال المرجو عن طريق الإرشاد الإلهي ، وكان لكتاب الذي أنزل عليه ، صلوات الله عليه ، وهو القرآن حاتم الكتب ، وأكملها ومهيئاً عبيد .

ولأن لرسول ، صلوات الله عليه تخلق « خلاق أكمل كتاب رباني ، فهو من أكمل رسول ﷺ

ومن هنا كانت إمامته صلوات الله عليه بالرسول والأنبياء في بيت المقدس ، ولأنه صلوات الله عليه أكمل رسول كان من أجل ذلك أقرب المقربين إلى الله سبحانه وتعالى لقد نطى الأرضين والسموات ، وتجاوز أن يكون كنه ، ووصل إلى ما لم يصل إليه بشر ، بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ، لقد وصل صلوات الله عليه إلى « قباب قوسين أو أدنى » وكما أن المعنى الذي يدل عليه بناء

المعراج من وجود الأنبياء والرسل في السموات ، ومن أن الرسول صلوات الله عليه أحد يتجاوز هذه السموات وحدة بعد الأخرى ، ويتجاوز الأنبياء واحداً بعد الآخر ، يقول كما أن المعنى الذي يدل عليه السمعى مكافئ ، فإنه أيضاً - بل وبطريق أولى معنى روحى أى أن الرسول صلوات الله عليه في تساميه اروحى في كل لحظة من اللحظات قد بيع في مراجعة درجات تجاورت في روحانيته آدم في سمائه الأولى . ثم تجاوزت يحيى وعيسى عليهما السلام في سمائهما الثانية ، ثم تجاوزت يوسف عليه السلام في سمائه الثالثة .

وهكذا حتى تجاوز روحياً إبراهيم عليه السلام في سمائه السابعة ، ولقد تجاوزت كل ذلك وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى ، إلى شجرة السهايه ، إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ولا نبي مرسل

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله عليه ! ولكن بعض الناس يرى من هذه الآفاق العيا والسموات اساميه ومن الرياح الإلهي ينزل بنا منحدرأ ، فيحادل في الإسراء والمعراج ، أؤكد رؤية أم كان يقطة . . . !

أستعمر الله ، وأتوب إليه !

إن ذلك الحدل . إن دل على شيء - فأما يدل على ضعف الإيمان في قلب المحادل .

وإذا كانت التوجيهات السابقة إنما كانت لتدل على مقام رسول الله صلوات الله عليه ، فترداد بذلك تقديراً وحياً وسامعاً فين من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته في سائر الإسراء والمعراج هذه لرميزات الأخلاقية التي تربط ربطاً محكما بين الدين والأخلاق .

وواقع أن الأخلاق في جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا يفصل بينهما . وعلى أساسه تقوم وعنه تصدر . إنها جزء من الدين الإسلامى لا يتحرأ مصدرها هو مصدره إلهى ردى

وبعض الناس في العصر الحداثى يريد أن يحل للأخلاق مصادر أخرى

يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الصغير ، بيد أن ذلك خطأ يس ،
فانصمير يرى ويكوب ، وتربيته وبنوه هما شكبه ، وبرعته واتجاهه الذي يتكيف
حسب الثقافة والبيئة ، والعصر ، والوسط

إن انصمير يصنع كما تصنع المزيهات ، وهو إاد مقياس للأخلاق حاطي
وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة
العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم المصلحة العامة إنما يتحدث باسم
فكرته هو معرفة كانت هذه الفكرة أو غير معرفة

والمصلحة العامة إذن كأساس للأخلاق إنما هي أساس غير مصموم
وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى مصلحة الشخصية ، أو إلى البدة أو
إلى اسفه وكل هذا ورد العرب لأوربي ، والعرب الأمر لكي عدم الحرف هذا
العرب وأخذ

نما ورد الشرق الإسلامي أو نصير أد ، وورد الإسلام لإلهي فإن مقياس
الأخلاق فيه إنما هو لمبادئ انديية : إنما هو باب القرآ ، وإنما هو امصائل
التي وحاه الله سبحانه وتعالى ، هذه امصائل التي تحدها القرآن في أسوب عرب
مين ، وتحدث عى ساء الإسراء والمراح في صور رمزية دالة هادفه مؤثرة ، و يسها
السنة السوية الشريعة

سار رسول الله ﷺ في مسراه ، ثم عى قوم بررعون وخصدون في يوم كما
حصدوا عاد كما كان

فقال ﷺ لحبريل عليه السلام : ما هذا ؟

قال هؤلاء هم الساهدون في سين الله تصاعف لهم الحسة إلى سعة
صعف ، وما أعتقو من شىء فهو نفعه ، وهو حير الرارقين ، ثم أى على قوم
تدعن رؤوسهم للصحر ، كما أدعت عادت كما كانت ، لا يعر عنهم من ذلك
شىء

فقال : يا هدى يا حبريل ؟

قال : هؤلاء هم الدين تنافس رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة

ثم أتى على قوم على أبقاهم رقاع ، وعلى أدمارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح
الأنعام ، يأكلون الضريع والرقوم ، ورضف جهنم !
فقال : ما هؤلاء ؟

قال : هؤلاء هم الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك
بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم من ندمهم لحم يصبح طيب في قدر طيب ، وحم حيث
بىء في قدر حيث فجعلوا يأكلون من الحبيث الئىء ويدعون الصبيح الطيب
قال : ما هؤلاء يا حبريل ؟

قال حبريل هذا مثل الرجل من أمثك تكون عنده المرأة ، خلال الطيب ،
فيأتى امرأة حيثة ، فيبيت عندها حتى يصبح ، ومثل المرأة تقوم من عند زوجها
خلالا طيبا ، فتأتى رجلا حيثيا ، فتبيت عنده حتى تصبح

ثم أتى على رجل قد جمع حرمه حطب عظيمه لا يستطيع حملها ، وهو يريد
عليها

فقال ما هذا يا حبريل ؟

قال هذا مثل الرجل من أمثك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على
دائها ، وهو يريد أن يريد عليها

ثم أتى على قوم نقرص ألسنتهم ، وشعاهم بمقاريص من حديد ، كنما فرضت
عادت كما كانت ، لا يتر عنهم من ذلك شيء !

قال ما هذا يا حبريل ؟

قال هؤلاء خطباء الفتنة

قال ثم أتى على حمر صغير يخرجه ثور عظيم ، فحمل الثور يريد أن يخرجه
من حيث يخرجه ، فلا يستطيع !

فقال ما هذا يا حبريل ؟

قال هذا مثل الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن
يردها !

ثم أتى على واد هوجد فيه ريح طيبة تاردة كريج المسك . وسمع صوتاً فقال
ما هذا يا جبريل ؟

قال هذا صوت خبة تقوب رب أتى ما وعدتني ، فقد كثرت عرقى ،
وبستربى ، وحريرى ، وسدمنى ، وعقرى ، وثوبى ، ومرحلى ، وفصنى ،
ودهبى ، وأكواى ، وصحافى ، وأندى ، ومراكى ، وعسلى ، ومائى ، وبى .
وحمرى ، فأتى ما وعدتني ! !

قال : لك كل مسلم ومسلمة . المؤمن ومؤمنة . ومن آمن فى وبرسلى . وعمل
صالحاً . ومن يشرك لى شيئاً ، ومن يتحد من دونى أنداداً ، ومن حشيشى . فهو من .
ومن سألتى فقد أعطيته . ومن أقرصنى حارته . ومن توكل على كهيته . إبنى ، الله
لا به إلا أنا . لا أحف سيعاد . قد أهدح المؤمنين ، وتبارك الله أحسن الخالقين
قلب قد رصيت .

ثم أتى على واد ، فسمع صوتاً مكرراً ، ووجد ريحاً منتنة !
فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال . هذا صوت جهنم تقوب رب أتى ما وعدتني ؛ فقد كثرت سلاسلى ،
وعلالى ، وسعبرى . وحميمى ، وصريرى ، وعساقى ، وعدائى . وقد بعد
قعرى . واشتد آخرى ، فأتى ما وعدتني
قال لك كل مشرك ومشركة . وكفر وكافرة . وكل حار لا يؤمن سوم
الحساب

فأتى . قد رصيت

فسار حقى أتى بيت المقدس

ومن الثمار اتى حنتها الأمة الإسلامية . واتى كات من مقصد إداعة السأ .
انفصال صغاف للنهوس . والشاكين والمترددين انفصال كل هؤلاء عن
الأمة الإسلامية الناشئة

لقد كفر عند سمع أسأ من كفر بعد إسلامه ، ويريد من اراد بعد إيمانه .

وما كان هؤلاء لو نقوا إلا عملاً من عوامل الصعف أكثر من أن يكونوا عملاً من عوامل القوة

إن هؤلاء المكين الذين آمنوا ، وصبروا على الحوادث القاسية على التعذيب وعلى الآلام ، وعلى الفتن في جميع مصدها ، إن هؤلاء المكين الذين صبروا وصاروا ، ونحست أنفسهم من جمع لرعت المادية ، ومن جميع الأهواء ، فأصبحت خاصة لله وحده ، إن هؤلاء المكين الذين كان في تقدير الله سبحانه وتعالى أن تقوم عليهم الدولة في شأنها ، والذين من أجل ذلك ، يجب أن يكونوا مهينين لأن يصدوا لكل ما يمكن أن يعرضهم من عفت نقور إن هؤلاء المكين ، يجب أن يصموا تصفية تامة كاملة

ومن وسائل هذه التصفية داعة بأ الإسرء والمعراج - يسكن من يتكس وليقى من يبقى عن صبره ونية ، وعن إيمان لا شرع مع كانت لحوادث ، إيمان يصدق لرسول صلوات الله عليه في كل ما يأتي به ، يصدق بمجرد إيمانه ، وبمثل الأعلى في كل ذلك ، كما هو سيد أو مكر حيناً بعض في غير تردد ولا فتور

« إن كان قاله فقد صدق » ، قد يعجزكم من ذلك ؟ هو الله به يحبري أن الحبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه »

هذا الإيمان المطلق بالرسول هو الذي جعله صلوات الله عليه - بصدق على أبي بكر رضوان الله عليه « الصديق » و « الصديقة » مرتبة من مراتب الإيمان لا يهاه إلا من جاهد نفسه جهداً تخطى به إيمان العامة ، وسما في إيمانه درجة درجة إلى أن أصبح قائماً بالله متحداً إليه ، عملاً على مرضاته في جمع ما يأتي وما يدع والأمة الإسلامية تأكملها مطلوب منها ما سمة أحرار رسول الله صلوات الله عليه أن تكون على عرر الصديق رضوان الله عليه ، تنق بقيادتها إلى أحراره وتسلم نفسها إلى أسائه ، مصدقة تصديقاً كاملاً ، تصديقاً يحمد على العمل ، وعلى اتباع كل ما جاء به ، وعلى الانتهاء عن كل ما مهي عنه ، تصديقاً إيجابياً يحقق للأمة

الإسلامية المحمد الذي ترحوه ، نصديقاً يبنى عن وجودها هؤلاء الذين المحرموا مع
المحرفين ، واستجابوا لنداء أعداء الإسلام ، فأخذوا يشككون الناس في أقول
الرسول ، صلوات الله عليه في أحاديثه ، وفي سنته راعمين أنهم من المحددين
وما هم في الواقع إلا أوراق من أوراق المستشرقين والمنششرين

إن هذه الأقلام التي تشكك في السنة ، وفي الأحاديث النبوية لست إلا
أقلاماً مقلدة للمستشرقين لا تحمل طابع الأصالة ، ولا طابع التحديد ، إنما
تحمل طابع التقيد ، وطابع الشك والتردد الذي ينافي الإيمان ، وينافي الصديقة

أما ثمرة الإسراء والمعراج ، وأما هدية الإسراء والمعراج ، وأما أعظم المنح
الإلهية في الإسراء والمعراج أعظمها على الإطلاق . أما النعمة العظمى ، والتجلى
الإلهي الأكبر في الإسراء والمعراج - فإنه الصلاة

ولا يثنى لنا عبراً وقصراً أن تحدث عن محمد ، وعن الشكر على هذه
النعمة التي أسلم الله بها على الأمة الإسلامية في هذه الليلة المباركة

فالصلاة هي الصلة به سبحانه ، وهي الكيفية ، وهي الطريقة ، وهي
الوسيلة ، وهي اللحظات الحليمة التي تنم فيها الصلة وتحقق
إيها فترة مناحة ، فترة انقطاع كامل وبحب أن يكون كاملاً عن عالم
المادة ، وعن عالم الشهوات ، عالم لفترة لتخلص النفس إلى المعنى ، حتى تنعم في
رحابه بسعادة الصلة به والقرب منه !

ومن أقام الصلاة فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين إن إقامة
الصلاة أو إقامة الدين إنما هي إقامة الصلة بالله وتحقيق ذلك هو المش الأعلى
والعناية العظمى ، والسعادة لكاملة التي يجري وراءها المؤمنون ، ليحققوا بها
معراجهم نحو الله تعالى ، وما من شك في أن الصلاة بقيمتها الإنسان كما أراد الله
ورسوله - من أنجح الوسائل في القرب من الله ، إنها البارق الذي يختار به المؤمن في
سرعة سريعة طبقات البعد عن الله سبحانه ، لتصل إليه تعالى فيسبح في رحابه

هذه الروايات ، وغيرها من عبر الإسراء والمعراج ، ومن توجيهات الله فيها هي

لي يحب أن تنسه إليها ، وأن نأخذ في تأملها ولا نسبح معها
 إن لله سبحانه وتعالى أحد يتحدث في سورة نجم عن آفاق العباد وعن
 أخواء إلهية حنيلة ، وعن مشارف من سمو ترتد عنها لأمانى حسرى داهية ، لقد
 أخذ سبحانه يتحدث عن سدره المنتهى ، وعن جنة المأوى ، وعن آياته سبحانه
 الكبرى ، لقد أخذ سبحانه ، يتحدث عن

رتب تسقط الأمانى حسرى دونها ما وراءها وراء

ثم ثم هوى ما سبحانه ، في عصف عفيف ، هوى بدا في سرعه سريرة دون
 سابق إندار لفتح عيسا على مهار ومهاو من اشرك يصل فيها هؤلاء الذين هم
 كالأنعام أو أصل ميلا ، فقال سبحانه بعد أن ذكر هذه التجليات الإلهية
 (أمرتكم اللات والعزى ، وسنة لثالثة الأخرى ؟) نجم / ١٩ - ٢٠
 لقد أراد سبحانه هذه الكمات لشريعة لسكينة في صلاحها لديني ، وفي
 انحرافها الذهني .

إن كل من يترك هذه آفاق العباد ، ويتجاوزها ليتحدث عن أن الرسول
 ﷺ ، سرى به بحسبه وبروحه أو بروحه فقط ، أو سرى به بقطعه ، أو مائة -
 إنما هو سالك يتحدث بنفسه مختاراً من النحى لإلهي : ليهوى بها متكسراً إلى جو
 اللات والعزى ، وينحدر بها متكسراً من حوسدره ينتهي إلى نحو لمادى ، ومن
 محلات النور السماوى المتلألئ إلى ظنمة حدد وبيع المادية في الدين
 فليصرف عنه ، وليتركه وما اختار متعلدين عن الخذل مع الممارين ، وليدع الله
 قائلين : (ربنا لا ترع قلوبنا ، بعد إدهديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة ، إياك
 أنت الوهاب) آل عمران / ٨ .

الفضل الخامس

الفحرة

بإجلال الإيمان وثباته وقوته !

إن التاريخ نادراً ما يتحدث عن هجرة جالصة محلصة لله ولرسوله ، هجرة إلى مكان مجهول ، هجرة لا شأن المهاجر هل مهاجرة سيستقبله مرحباً ويؤويه في ألفة أو أنه سيقابله بالحفوة والعدوة ؟ هجرة لم يهد لها الخ من قبل ، ولم يعد لها المكان . إن التاريخ لا يكذب يحدث عن الهجرة بالإيمان ومن أحسن الإيمان ولكن التاريخ الإسلامي حافل بهذه الأنواع من الهجرة ، فإنه لما كثرت المسلمون بمكة وظهر الإيمان ، وكثر حديث عنه ثار ناس كثيرون من المشركين من كفار قريش عن آمن من قرائتهم ، فعذبوهم ، وسحبوهم ، وأرادوا قتلهم عن دينهم ، وتحمل المؤمنون العذاب ألواناً في سبيل الله .

ولما استمر الأمر دون فتور قال لهم رسول الله ﷺ ، شفقة عليهم ورحمة -

« تفرقوا في الأرض »

فقالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

فاشار إليهم إلى الحبشة : فهاجر إليهم في نادى الأمر طائفة من المسلمين . منهم من هاجر مع أهله ، ومنهم من هاجر منفرداً

وأخذوا يعبدون الله مصممين آمنين على دينهم من الفتن

ثم قدم بعضهم إلى مكة معتمداً أن لأمواد قد هدأت فيما بين رسول الله والمشركون ، فلما قدموا إلى مكة اشتد عيهم قومهم ، وسطت بهم عشائرتهم ، ونفروا منهم أذى شديداً

فأذن لهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى أرض الحبشة مرة أخرى فكانت هجرتهم الأخرى مشقة ، ولحقو من قريش تعيهاً شديداً . وبالوهم بالأذى ، وقال سبدا عثمان ، رضى الله عنه محاصراً رسول الله ﷺ .

يا رسول الله ، ههجرة أولى وهذه الآخرة إلى النجاشي ولست معا !

فقال رسول الله ﷺ هذه الكلمة المؤثرة .

« أَنْتُمْ مَهْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَىٰ لَكُمْ هَذِهِ مَهْرَتَانِ حَمِيْعًا »

قال سبلما عثمان : « حسنا يا رسول الله »

وكان عدد هؤلاء المهحررين من لرجال ثلاثة وثميين رجلاً ، وكان عدد النساء ثمانى عشرة امرأة

ولم يرق لقريش أن يعد لله هؤلاء القوم آمنين مطمئنين ، م يرقهم أنهم تخلصوا من التعذيب والعنت ، فأبست وفداً من سامة لعرب بدهاة ، مروداً بدهان إلى الحاشى ، ليعيدو هؤلاء الموحدين إلى مكة ، ينزلوا عليهم العذاب من جديد !
(وَمَكَّرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (١)

ولم يملح نوفد وعاد إلى مكة بحى حين

وبدأ عمت قريش بذلك ثارت ثائرتها ، وراذ عصها ، وأقدمت على عمل يتناقى تناقياً تام والإسابة فقد كتبوا كتاباً تعاهدو به على ألا يكرهوا بنى هاشم ولا يبايعوهم ، ولا يحفظوهم وكان الكتاب لصحيفة هو مصور بن عكرمة العدري ، وكان من تقدير الله تعالى أن شئت يده !

وهذه الصحيفة ، وهذا العهد - حصروا بنى هاشم فى شعب أبي طالب وكان ذلك فى أوّل المحرم سنة سبع من سوته صوات لله عليه ، واستمر بنو هاشم معربين محصورين لا يحرحون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بلغ بهم الجهد مسعاً خطيراً ، وكانت قريش تسمع أصوات صياهم يكون جوعاً ومسعة ، فلا ترق قلوبهم ، ولا يتأثرون واستمر ذلك صوات ثلاث

وبينا هذه الأمور من الشدة والقسوة تجرى تحت سمع الرسول وبصره كانت قريش ترسل له صلوات لله عليه من يعرض عليه الماء والعى والنسطة والماء والملاذ بجميع أنواعها ، على أن يترك دعوته ، فلا يجحدون إلى عانتهم مسلماً وما ترك رسول الله ﷺ الدعوة قط ، كان يدعو بيلاً ، وكان يدعو بهاراً ، وكان يدعو فى كل لحظة من لحظاته يروى لإمام أحمد عن ربيعة بن عبد ، وكان جاهلياً أسيم يقول :

« رأيت رسول الله ﷺ نصر عبي سوق دى لخمار يقول
 « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » ويدخل فجأجه وأناس
 متقصصون^(١) عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت يقول
 يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا

فم رسول الله ، بمكة ثلاث سنين . من أول سبوة ، مستحصاً ، ثم
 أعلن في الرابعة ، فأحد يدعو الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يوافق الموسم كل عام
 يتبع الخراج في منازهم في المواسم عكط ومحنة ودى الخمار ، يدعوهم إلى أن
 يسموه ، حتى يسبح رسالات به وهم حنة ، فلا يجد فسة تنصره أو تحسه ، حتى به
 يسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقولون

« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتمنكوا بها العرب ، وتدين لكم
 العجم ، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة »

وستمر الأمر كذلك لا يكف رسول الله عن الدعوة إلى الله ، ولا يكف
 المشركون عن المعارضة والإيداء ، حتى كانت السنة الحادية عشرة من سبوة ،
 صنوت لله عليه . وكان الأسراء والمعراج ورتد من اتد ، وثبت من ثبت ، وكان
 حادث الأسراء والمعراج هو حادث التصفية نكسة ، وكان الفصل بين طائفتين
 طائفة مؤمنة ثابتة على إيمانها ، لا نزع عني الأعاصير . تمتد لحما ولا تمتد وطائفة
 مشركة قد أحكمت أمرها ، ودرست شؤب ، وحرمت الحرم على أن تقصى على
 الإسلام منها طال الزمن

ولم يكف يعتنق للإسلام في هذه الفترة فترة السنوات الثلاث التي سقت
 الهجرة . مشرك من أهل مكة ، وفيها ثبت المسلمون على إيمانهم ثابت أولى الحرم ،
 كانت هذه الفترة تربية للمؤمنين وصقلاً لهم ، وهي وإن كان الرسول صلوات الله
 عليه لم يكف فيها عن الدعوة خاصة من لمحطات كانت مع ذلك تربية قرآنية
 لرجال يؤمنهم الله ورسوله حمل رية الإسلام ونشر دعوته
 وإذا كانت المعسكرات قد تحددت ، في مكة ، وإذا كانت الهجرة من الإسرائ

(١) يسمون ويدعون

إلى محنة الرسوب صلوات الله عليه - كانت فترة تربية وصقل وتعليم وتهذيب - فإن الإسلام في هذه الفترة لم يكن قد وثق راسخاً ، من مانعكس قد هباً الله له وسلة الانتشار خارج مكة ، لقد صم الرسول في معسكره المكي كل عناصر الخير عمكة . وم يبق فيها - في لطف المقابل - إلا من لا يحسم أمره عن طريق الدعوة ، وبما عن طريق آخر . وما كان هناك من ماص من معادرة مكة لعودة إليها من جديد في ظروف مهيأة ، وبوسائل علاية ، لقد هباً الله الأمر لانتشار الإسلام خارج مكة . ويقول ابن سعد في الطبقات

« أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القائل في الله ويعرض نفسه عليهم كل سنة بمحنة وعكاظ ومي أب يؤوه حتى يسمع رسالة ربه ولهم الجنة ، فم تستحب له قبيلة من العرب ، ويؤدى ، وبشم ، حتى أراد الله إظهار دينه ، وبصر سبه ، وإعجاز ما وعد ، فساقه إلى هذ الحى من الأنصار ، أراد الله بهم من الكرامة »

وكانوا ستة نفر ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام . وتلا عليهم القرآن ، فأسلموا ووعدوه أن يلاقوه في العام القادم ولما عادوا إلى المدينة بشرو بالإسلام في قومهم فأسلم من أسلم ، وكثر في المدينة الحديث عن الإسلام .

فلما كان العام الذى بلغه حصر ثا عشر رجلاً ، فدعو رسول الله ﷺ كما يتحدثون ، بذلك عن أنفسهم - « عى ألا شرك بالله شيئاً ، ولا سرور ، ولا نرى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان بهتبه بين أيدينا ورجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن عاب وقتيم فلكم الجنة ، ومن عشى من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عبه ، وإن شاء عصا عنه »

إن هذه البيعة بيعة فصلة وخير ، إنها بيعة على عمل بأشل الأخلاق العلى وبشرها

وانظر إلى الدعوة في قوله ولا نعصيه في معروف إنه م يقل ولا نعصيه وبسكت ، وإعما هيد دنت بقوله « في معروف » وحاول أن تتأمل وثيقة البيعة

هذه ، فستقر - لا مباح - بأنها وثيقة إلهية

وعاد مسمون إلى المدينة بأخلاق أخرى ، ووجهه عليه نور الإسلام .
ونقلوب نعمست في محيط الرحمة ، وأخذوا بدعوى إلى الله مشربين ومدرين
ثم ثم عادوا في العام التالي ، وهم سعيون أو يريدون رجلا أو رجلين ومعهم
مراتب والتقوا ورسول الله - صلوات الله عليه - ومعه عباس بن عبد المطلب ،
ليس معه أحد غيره

قال أسعد بن زرارة فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب فقال
يا معشر العرب - إنكم قد دعوتكم محمد إلى ما دعونوه إليه . ومحمد من أمر الناس
في عشرته - معه والله ما من كاذب على قوله . ومن لم يكن منا على قوله - يجمعه
لنحسب والشرف . وقد أتى محمد - من كنهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وحلد
وبصر باخرب واستقلال بعداوة العرب قاضية - بزميكم عن هوس راحته فارتثوا
رأيكم ونمروا أمركم . ولا تفرقوا إلا عن ملائمتكم وحنائكم ، فإن أحسن الحديث
أصدق

فقال البراء بن معرور قد سمعت ما قلت ، وإيا والله لو كان في أنفسنا غير
ما نطق به لفسد . ولكننا نريد النقاء والتصدق وندع مهج نفس دون رسول
الله ﷺ

قل . وثلا رسول الله ﷺ عليهم القرب . ثم دعاهم إلى الله ورعهم في
الإسلام وذكر الذي اجتمعوا له

فأجاب البراء بن معرور بالإيمان والتصديق ثم قال : يا رسول الله ، يا بعدا فحن
أهل الحلقة^(١) ورشاها كابر عن كابر

فقال العباس بن عبد المطلب وهو أحد بني رسول الله ﷺ أنتم
جرسكم^(٢) ، فإن علينا عيوناً وقدمو دوى أسسكم . فيكونوا هم الذين يلون
كلامنا منكم ، فإننا نخاف قومكم عسكم . ثم إذا نايتم فتفرقوا إلى عدائكم .
فتكلم البراء بن معرور فأجاب العباس بن عبد المطلب . ثم قال بسط يدك

(٢) كلامكم وموئلكم

(١) أهل السلاح .

يارسول الله ، فكان أول من صرب على يد رسول الله ﷺ - فيما يقال - البراء ابن معرور

ثم صرب سبعون كلهم على يده واتباعه ، فقال رسول الله ﷺ ، إن موسى أحد من بنى سرائيل اثني عشر نبياً ، فلا تخذل أحدكم في نفسه أن يؤخذ غيره ، هيء يختار لي جبريل ، ولما تخبرهم قل للنقاء : « أنتم كفلاء على قومكم ككفالة خوريين لعيسى ابن مريم ، وأن كهيل على قومي » قالوا : نعم . .

فقال رسول الله ﷺ : « انصوا إلى رحلكم » فقال العباس بن عتبة بن نضلة ، يارسول الله ، والذي بعثك بالحق لن أحست بمس على أهل مني ناسياً ، وما أخذ عليه سيف تلك السنة غيره فقال رسول الله ﷺ : « م يؤمر بذلك ، فانصوا إلى رحلكم » وبدا صدر السعوي من عند رسول الله ﷺ صلت نفسه ، وقد جعل الله له مئة وقوماً أهل حرب وعدة وحدة

وجعل اسلاء يشتد على المسلمين من المشركين ، فلما صاقوا بالأمر درعاً ، شكو إلى رسول الله ﷺ ، واستأذنه في الهجرة ، فقال لهم : « قد أحبرت بدر هجرنكم ، وهي : « يثرب » فمن أراد الخروج فليخرج إليها وأعد المسلمون يهاجرون سرّ نادرة عليهم آثار تربية الرسول ﷺ من الثقة بالله ، والعصر ، وتحمل المشاق في سبيل دهم ، وتوطئ النفس على أن يكونوا في جميع أحوالهم من حدود الله ، مهاجرين إليه للعمل على إعلاء كلمته ، ونشر ديه ، ولو كره لكاؤون

وما كانت الهجرة قط في نظر الرسول ﷺ ولا في نظر أصحابه ركوباً إلى الدعة والهدوء ، أو ميلاً إلى الراحة والسكون ، وإما كانت محاوله مصممه على قيادة المعركة في سبيل الله من جهة أخرى .

وأحد المسلمون يهاجرون إلى الله ورسوله ، يهاجرون سرّاً ، جماعات أو فرادى ،

حتى لم يبق عمكة منهم إلا رسول الله ﷺ . وأبو بكر ، وعلى ، وصي الله عليهما .
 أو مريض ، أو عاجز عن الخروج
 وعندئذ نزل رسول الله ﷺ أن يهاجر
 هاجر دار رسول الله ﷺ على مشارف مكة بظريه على أمل وثق من أنه
 سيورد إليها مبشراً بدين الله عاملاً على أن يعم كل بيت فيها .
 ولما أوشكت أن تغيب عن بصره ودعها هذه الكلمات المؤثرة
 « والله ، إنك لأحب البلاد بي نفسي . ولولا أن أهلت أخرجوني
 ما خرجت » .

ثم مضى هو والصديق بي عار ثور قدحلاه . ولما علم المشركون بالأمر ثارت
 ثائرتهم ، ووطئوا الحرم على ألا يفلت المهاجرون إلى الله من تكبيهم
 لقد كانوا قد دبوا قتل لرسول الله ﷺ . وما كانوا يبايرون قط بقتل رجل أن
 يقول : ربي الله !

ولقد كانوا أحكموا التدبير لقتله قبل أن يجرح ، ووضع مشروع المؤامرة
 أبو جهل ، وعرضها على الوضع الثاني :
 أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش علامةً هداً حديداً ، ثم نعطيه سيقاً
 صارماً ، فيصربوه صربة رجل واحد . فيتفرق دمه في القدائل جميعاً فيقتسوا الدية
 فحطيمهم بها .

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (١) .

دخل رسول الله ﷺ هو وأبو بكر العرين محتبيين ، وكان سيدنا أبو بكر حريصاً
 حوفاً على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فجاء النداء الإلهي على سيد رسول
 صلوات الله وسلامه عليه بمنه نعمة وتمؤلاً (لا تحزن ، إن الله معنا) (٢)
 ولما سمع سيدنا أبو بكر حقيق نعال المشركين أمام العار وأصواتهم الصاخبة التي
 تعلن عن سحقهم وعطيم المكوت قد لو نظر أحدهم إلى موضع قلبه

(١) سورة آل عمران آية ١٠١

(٢) سورة التوبة آية ٤٠

لأبصرنا ويستم رسول الله صلوات الله عليه ، ويقول « ما ظنك بشيئ لله
ثالثهما ؟ » .

ولما انتهى الطلب ، وعاد المشركون من حيث أتوا - حرح رسول الله ﷺ هو
ورقيقه ، وكـ حروجه من العار ليلة الاثنين لأربع ليل خنوع من شهر ربيع
الأول

وبينا هم في الطريق لحق بهما سراقة بن مالك مدججاً بالسلاح على فرس تسابق
الريح ، بأسرهما حتى يبور سلخاثة التي وعد بها المشركون من يأتي بالرسول ﷺ
قتيلاً أو أسيراً

فلما دنا منهما دعا عليه رسول الله ﷺ ، فساحت قوائم فرسه ، فقال . يا محمد
ادع الله أن يصدق فرسي ورجع عنك وأرد من ورأي ، فصعل ، فأطلق ورجع فوجد
الناس يلتمسون رسول الله ﷺ ، فقال رجعوا فقد استرأت لكم ما هاها ،
وقد عرفتم بصرى بالأثر فرجعوا عنه

وسار الركب نحوه رعاية الله وعيائه ، حتى وصل إلى المدينة ، حيث استقل

بـ

صَلَّعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَحَبَّ الشُّكْرِ عَلَيْنَا مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِ
أَنَّهَا الْمَعْوُثُ فَمَا جِثَّتْ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ

وكان من أوائل الأعمام التي قام بها رسول الله صلوات الله عليه في المدينة

١ - بناء للمسجد - المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم

٢ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، تحقيقاً لمبدأ من مبادئ دين الإسلامى

يتمثل في قوله تعالى .

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (١)

وَبِيعَ قَوْمٌ جَمَعُوا بَيْنَا بِأَرْضِ
وَسَلَّوْهُ وَحَنَ جَذَعَ إِلَيْهِ
أَلْفَتَهُ صَبَابَهَا وَالطَّبَاءُ
وَقَلْبَهُ وَوَدَّهُ الْعَرِيَاءُ

أُحْرِجُوهُ مِنْهَا وَأَوَاهِ عَارَ رَحْمَتِهِ حِمَامَةً وَرَقَاءَ
وَكَلَمَتِهِ بِنَسْجِهَا عَمَكُوتَ مَا كَفَتَهُ الْحِمَامَةُ الْحَصْدَاءُ
وَاخْتَبَى مِنْهُمْ عَلَى قَرَبِ مَرَّ هُ مِنْ شِدَّةِ لَطْهُورِ الْحَفَاءِ
وَنَحَا الْمُصْطَفَى الْمَدِينَةَ وَاشْتَا فَتُ إِبْنِهِ مِنْ مَكَّةِ الْأَحْيَاءِ

الحجرة من زاوية أخرى

الحجرة حقيقة تاريخية ورمز روحي حميل يعبر حير تعبير عما يجب أن يكون عليه المسلم في كل فترة من فترات حياته ، بل في كل نفس من أنفاسه ويريد أن نتحدث الآن عن الحجرة كرمز عن الحجرة الروحية ، عن الحجرة التي لا ترتبط بزمان ولا مكان والحجرة بهذا المعنى الذي يتجاوز الواقع التاريخي ، ويتجاوز الزمان والمكان قد وردت في الأحاديث النبوية الشريفة وفي القرآن الكريم يقول رسول الله صلوات الله عليه فيما رواه البخاري رضي الله عنه « المسلم من مسلم لمسلمون من سانه ويده ، ولهاخر من هجر ما بهي الله عنه » هذا المعنى الروحي شبيه من وصوح سافر قفيا يلي يقول الله تعالى :

(إِذَا نَصَرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذَا أُحْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ كَفَرُوا ثَانِي أَثْنَيْنِ إِذَا هُمَا فِي الْعَرَبِ إِذَا يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْرَبْ إِنَّ اللَّهَ مَعَهُ ، فَأَبْرَأَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِخُودِهِمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّةُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) ^(١) .

وفي هذه الآية الكريمة يصور الله تعالى إخراج الكفار برسول ، صلوات الله عليه ، من مكة ، وهجرته مستحياً في حجاج من الذين مهدوا البلدة التي ولد بها ، والتي بها عشيرته وقومه ، إلى بلد يحل فيها حرباً لدعوة إلى الله يصور الله ذلك بأنه انتصار ، ومن الطرف أن الله تعالى يصوره بأنه انتصار في

الوقت الذي كان فيه الرسل صلووات الله عليه ، محتثاً في نهار هو والصدوق
 رصوا الله عنهما ، والمشركون يحبهم ورحلهم وعدتهم وعتادهم منتشرون في كل
 مكان يبحثون عنها جاهدين للتشكيل بها .

وما من شك في أن الحجرة كانت تنصاراً ميباً ، لأنها فرار إلى الله ، والفرار إلى
 الله انتصار ، حتى لو انتهى بالموت أو القتل
 (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليردقهم الله رزقاً حسباً ، وإن
 الله لهو خير الرازقين ^(١)) .

وبعض مأمورون بالفرار إلى الله ، أي بالحجرة إليه (فراروا إلى الله ، إلى لكم به
 مدير مبين) ^(٢) وسيدنا إبراهيم عليه السلام قال (إلى مهاجر إلى ربي إنه هو
 العزيز الحكيم) ^(٣) وقال (إلى داهب إلى ربي سيهدين) ^(٤) والفرار إلى الله ،
 والحجرة إليه ، واللهاب إليه ، من صعدت المؤمنين الصادقين بهم يهرون إلى الله
 ويهاجرون إليه (يومياً) فهو هدفهم وعببتهم في جميع أعمالهم ، وإذا كانت حجرة
 بعض الناس إنما هي إلى دنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها فهجرة المؤمنين الصادق
 حالصة لله وحده . متمحصنة بوجهه الكريم ، وإذا ما كانت كذلك كان الله معه ،
 يقول صلوات الله عليه للصادق (لا تحزن إن الله معنا) التوبة ٤٠/ ذلك أن
 هجرتهما كانت لله رب العالمين لا شريك له . ومن كان كذلك فإن الله ينزل عليه
 السكينة أي طمأنينة النفس والرضا ، ويؤيده بخود لا تراها الأعين ؛ فيدخله في
 نطاق رعايته ، ويشمله بحملى عنايته ، ويصحبه من توفيقه ورصاه ما يجعله قريب
 النص ، هادئ البال سعيداً ولو لقي في النار لأنه لم يشرب إلا برذاً وسلاماً .
 وقد نظم الله للمؤمنين أمر الحجرة إليه تعالى .

وأول مرحلة في سبيل الحجرة إليه سبحانه إنما هي الية الحالصة لوجهه
 الكريم ، يقول صلوات الله عليه :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » فمن كانت هجرته إلى الله

(٢) سورة العنكبوت آية ٢٦

(٤) سورة الصافات آية ٢٩

(١) سورة الحج آية ٤٨

(٢) سورة الداريات آية - ٥٠ .

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »

فإد ما توجهت النية بالأعمال إلى الله تعالى كانت الأعمال هجرة إليه ، أما إذا لم توجه النية إليه فإن الأعمال ولو كانت خيراً في ظاهرها ؟ تكون هباءً منثوراً ، ومن هذا يتبين المؤمن حقاً فساد الأفكار لدى يروحها الحائلون عن النهج الديني الصحيح من أمثال قومهم : إن العلم للعلم ، أو الفن للفن ، أو الخير للخير ، أو الخير لإرضاء الصمير ! إن كل ذلك يدور على عدم العلم لسبب الروح الدينية الصحيحة ، وهو أيضاً خطر على المجتمع ، لأن العلم والفن إذا لم يتوجه بهما أصحابهما إلى الله أسساً وغايات محرم بهما الإرادات والنيات إلى شر والإفساد ، فشقت بهما الإنسانية بدل أن تسعد .

أما الخير فإن معرفته معرفة حقيقية لا يتأتى إلا عن طريق الدين ، وقد حاولت العقول - مستقنة عن الدين - تحديده فتعاصرت وتصارفت ولم تصل إلى نتائج ، والمؤمن بدل بهاجر إلى الله بعلمه وبهاجر إليه به ، وبهاجر إليه بعلمه الخير . على أن العبادات الإسلامية على تعددها واختلافها إنما هي تنسيق وتنظيم لأنواع وألوان من الهجرة إلى الله تسمى بالمؤمن صعوداً إلى لصلة بالله ، وإلى نعم في رصوانه ، وإلى السعادة في رحابه . فاصلاة فرار من انبئة والحر والمادة إلى لوقوف بين يدي الله - ومباحاته - لحظة من الزمن فهي هجرة إلى الله

والزكاة بفصال عن حرم من الددة تقرباً إلى الله فهي دهاب إليه والصوم بتعاد عن إماده فترة من الزمن ، تركية للنفس ، وقرني إلى الله ، فهو دهاب إليه .

فما منك الحج فإبها صور من التحد لله بلغت الذروة والسام ، وتصورت في النداء الروحي الكريم « ليث النهم لبيك »

وختاماً فإن الصورة النامة الكامنة لهجره لإسلامية الكبرى - إنما تتمثل في أروع مظاهرها في قوله تعالى

(قل إن صلاتي وسكوتي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك

أمرت وأنا أول المسلمين^(١)

يقول صوت الله عليه « لا محرة بعد فتح ولكن جهاد وبة » جهاد في كل
 ميادين الجهاد ، وبة خالصة طاهرة تتمحصة لله ورسوله .
 في هذه المحرة تكبرى أبها الإخوة المؤمنون فإن فيها خير كله
 وبالله التوفيق

الفصل السادس

الجهاد

إن رسول الله ﷺ الذي كان يقوم من نسل حتى تنمطر قدماه ، والذي كان في كثير من الأحيان يواصل في الصيام هو لدى يقوب « والذي نفس محمد بيده . لوددت أن أعزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أعزو فأقتل . ثم أعزو فأقتل » وهو المقاتل « من مات ولم يعر ، ولم يحدث بمعه ما عرو مات على شعبة من النفاق »

إن النبي يعاند هو نبي المكافح ، وبني الرحمة هو نبي الجهاد . وما كان الجهاد قط في لإسلام إلا في سبيل الله . فإذا ما حرج عن سبيل الله لم يكن إسلامياً ، وكل ما في سبيل الله إنما هو رحمة . وليس من شأننا أن نتحدث عن العروات سرداً وترتيباً وتفصيلاً ، وإنما نذكر منها عبراً ؛ حتى ينتهي إلى فتح مكة .

وأول ملاحظة هي أن الرسول العائد لم يترجع في عروة قط ، وكان الأنظار يترجعون والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحداً ، ولكنه صوات الله عليه يشبث ثبات الحدا لراسيات ، لا يترجح عن موقعه ، ولا يزول عن مكانه ، وقد ثبت في مكانه في عروة أحد التي عصب فيها أسلمون ، وكان المشركون فيها يودون بكل ما استطاعوا أن يقصوا عليه ، صلوات الله عليه

ووقف ثباتاً في عروة حين ، وقد فر لسمون ، على كثيرهم يد ذاك ، وكيف يمكن أكمل رجل في بوحود أن يعرف وأن يراجع وهو أوثق الناس بالله ورسالته ؟ وقد كان واضحاً فيه صلوات الله عليه ما يعونه سيدنا علي ، وهو من هو بطونة وفروسية « كنا إذا حمى الوطيس أي الحرب اتقى برسول الله ﷺ أي احتمينا به فيه ، فيكون أقربنا إلى العدو »

وكان صلوات الله عليه مع التحائه إلى الله تعالى - يدعوه ويستعيث به ، ويستعجره وعده بالنصر يحكم الأمر بحكاماً ، بحيث لا بدع فيه ثغرة . هكذا كان أمره في جميع أموره . لقد نظم الجيش في عروة بدر بطيماً محكماً ، ثم اتجه إلى

الله يدعوه . وكان دائماً متفائلاً ؛ حتى لو كان يعدو عشرة أمثال المسلمين
لقد كان المشركون في عروة بدر ثلاثة أمثال المسلمين ، فمهرمهم المسلمون يادن
الله .

وكان اسهرم المسلمين في عروة أحد شذوذاً في القاعدة . وما كان ذلك إلا لأهم
حالهم متأولين . أراهم لرسول ﷺ ، غير أن تفاؤله صولات الله عنه لم
تفارق لحظة ، إذ إنه بعد أن اسهرم المسلمون في عروة أحد مباشرة فمهرم صولات الله
عنه بلم شعهم ، وتضميد حراحهم ، والاستعداد فوراً لخص المهركة من جديد
ومن سائر تفاؤله صولات الله عليه أنه في عروة الأحرار ، وقد تجمع الشرك
من جميع أرحاء الحرية ، يسنده اليهود والعادرون ؛ ليقصوا على الإسلام في
المدية ليقصو عنه ديباً ، ويقصو عنه دولة ، ويقصوا عنه عقبة ، ويقصوا
عليه رحالاً ، وهذا كان مسلمون يعملون في حجر الخندق حماه لهم ، ومبعاً من
وصول العدو إليهم في هذه السحطة الخرجه يروى البراء بن عازب رضى الله عنه
القصة التالية ، على حسب ما رواه الإمام أحمد .

« أُرنا رسول الله ، ﷺ يحفر الخندق ، فعرضت لنا صحرة في مكان من
الخندق لا تأخذ فيها المعول ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ ، فحاء ثم هبط إلى
لصحرة فأخذ المعول ، وقال

باسم الله ، فصرب ضربة ، فكسر ثلث الحجر وقال : الله أكبر ، أعطيت
مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحجر من مكان ، هذا ثم ، قال باسم
الله ، وصرب ثانية ، فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح
هارس ، والله إني لأبصر مدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا . ثم
قال باسم الله ، وصرب ضربة ثالثة فقتع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ،
أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا

وأنشأ هذا لتفاؤل الثقة والاطمئنان في المسلمين ، وإن كان قد دعا إلى
الحرية في وسط المشركين وبنو نبي الدين هالوا بن محمد بعدهم ونبيهم وهم
لا يأمنون على أنفسهم الآن .

هذا الصاؤل وهذه الثقة في الله لم تمارق الرسول قط في كفاحه الطويل الدائب
لذى استمر إلى مهاية حياته الشريفة
وغزوة فتح مكة ترتبط بآيات ماركات هي .

(بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليعمر لك الله ما تقدم من
ذلتك وما تأخر ، ونعم نعمته عندك ، ويهديك صراطا مستقيما ، وبصرك الله نصرا
عريضا) (١) .

إن آيات الفتح هذه نزلت في أثناء عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد
صلح الحديبية ، نزلت تسليية للمسلمين . وقد حزنوا لصدهم عن دخول مكة
حاحبين ومعتصمين ، مع أنهم كانوا على أبوابها . وقد نزلت تشير إلى فتح مكة وتشير
به . ولقد أوحاها الله إلى رسوله نبأ ، مما أصبح صلوات الله عليه قال : لقد نزلت
على الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ قوله تعالى (إنا
فتحنا لك فتحا مبينا)

وهذه الآيات الكريمة لا تكاد تبين عن فتح مادي حربي ، وإعما هي تشير
على الخصوص - إلى الآفاق العليا من الرضوان الإلهي . إنها وثيقة تسجل الثقة
المطلقة التي شملت الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، والتي سمت برسول الله ،
صلوات الله عليه إلى مستوى الرضا عن كل ما يأتى وما يدع .

بها بشرى من الله بفتح مدين ، وغفران شام ، وإتمام كامل للنعمة ، وهداية
وقيادة داعة مستمرة ، ونصر عريض . وهذه معجزة إلهية عامة ، لا تقصر بالماديات
وحسب ، وإنما تفسر أيضا ومن باب أولى بالمعاني الروحية في أسمى صور
التجليات الإلهية - اللهم لك الحمد والشكر . ولذلك فإنما حينما نتحدث عن فتح
مكة لا نحتل أسائل الحربية المكاة الأولى من الموضوع ، وإعما الذى يحتل ذلك إعما
هو المثل العليا . من الصور لأحلامية النبوة ، والسمو النفسانى المثل في الرحمة
المهداة من الله تعالى إلى الإنسانية أى في سيده رسول الله صلوات الله عليه
ومها يمكن من شيء فإن فريث نصف عهد الحديبية الذى كان يحرص الهدنة

بيها وبين رسول الله صلات الله عنه . وكانت فرصة مواتية لأن يركز الله تفكير
رسول الله ﷺ ، في أمر قريش

أما آن لقريش أن تسلم وجهها لله ، وأن توحدوه ، ولا تشرك به شيئاً ؟
(إنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (١)

أما آن لقبولهم أن تحشم لذكر الله ، وما برن من الحق ؟
لقد دعا صلب إبراهيم في رحاب مكة . ربه مستهلاً صراعاً قاتلاً
(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويركيبهم ، إنك أنت العزيز الحكيم) (٢)

وهو هو ذا رسول الله ﷺ قد بعث الله إليهم نذري السماوي ، فهل استجاب
قريش لنذري السماء ؟

وهذا البيت العتيق الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل قائلين (ربنا ثقل من
إنك أنت اسمع نعمهم) (٣) هـ البيت الذي عهد الله لإبراهيم وإسماعيل أن
يظهراه للطائفتين العاكمتين وركع السجود هـ است قد احتسب الأصنام . ولتفت
حونه . وارتفعت على جواربه معلنه - في وفاحة ساهرة الشوك بالله
لا بد من تحطيم الأصنام ، وتطهير البيت ، لا بد من أن تسلم قريش وجهها إلى
الله .

وصمم رسول الله ﷺ في عزم لا يبدن على أن يمحو الشرك وآثاره من ممقنه
الحصير (أعني مكة) وأن يظهر البيت من حديد للطائفتين العاكمتين والركع
السجود وعشاً حاول يوسفان - الذي أرسلته قريش سفيراً بينها وبين رسول
أن يحدد العهد الذي يقضته قريش ، ولم يجد يوسفان برعم ذهائه وبقائه .
عوباً من أحد ، حتى ولا من ابنته أم حبيبة . وحة رسول الله ﷺ التي بيع بها النور من
الشرك أن طوت فراش رسول الله ﷺ ، حتى لا يحس عليه أنوه . رعيهم المشركين
وحامي الشرك في مكة - فلما سألها مستفسراً أرعت به عن الفراش أم رعت

بالهراش عنه ؟ قالت هو فرش رسول الله ، وأنت مشرك بحس ! فصرف معصاً
قائلاً : « والله لقد أصابك من معدى شر » وخصاً أنوسهيا ، لما أصابها شر ،
ولكنها كراهية الشرك

وعناً رسول الله صلوات الله عليه لقوى وحرّج يوم الأربعاء بعد العصر لعشر
يال حين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة ، حتى إذا كان بالكديد ، واجتمع
اناس إليه ، أحد يده مشرب به ثم هاد ، « أيها الناس ، من قبل الرخصة ، فإن
رسول الله ﷺ قلبها . ومن صام فإن رسول الله ﷺ صام .

حتى إذا بلغ صلوات الله عليه « مر الظهران » وهو مكان بالقرب من مكة
أمر الجيش بالإفطار ، لأنه فيما يبدو يوشك أن يحوّل المعركة المعصية إلى لشرك
والإيمان .

وعسكر الجيش في مر الظهران ، ولما رآه أنوسهيا وكان قد أستم مند ساعات ،
قال ، بعقبته الجاهلية ، للعاس يا أبا الفضل ، لقد أصبح منك ابن أخيك
عظيماً ، فقال العاس ، بعقلته لإسلامية وبحث : إنه ليس بمك ، ولكنها
سوة ، قال أنوسهيا ، نعم ، وتوجه رسول الله نحو مكة محمداً من إراقة الدماء
ولما قال سعد بن عباد ، وهو أحد قادة الجيش « ليوم يوم المحرم ، اليوم
يستحل الحرم » عوله لبي ﷺ ، فقد كان رسول الله صلوات الله عليه يريد أن
يكون اليوم يوم الرحمة .

ودخل رسول الله صلوات الله عليه مكة دون مشقه ، وكان قول ما فعل أن
طاف بالبيت سحاً ، ودخل بيت ، فرأى فيه صور الملائكة هيئة النساء ، ورأى
إبراهيم عليه السلام مصوراً في يده الأرقام يستقسم بها ، فقال قاتلهم الله ، جعوا
شيحنا يستقسم بالأرقام ! ما شأن إبراهيم والأرقام ؟ .

(ما كان إبراهيم يهود ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من
المشركين) (١)

وَمَرَّ بِطَمَسِ الصُّورِ كَذَى ، وَنَحَى إِلَى الْأَصْصَامِ ، فَحَطَمَهَا مُرَدِّدًا قُوَّةَ تَعَالَى

(جاء الحق وذهى الباطل ، إن اسطل كان رهوقاً)^(١)

وإذا كان رسول الله ﷺ قد حطّم الأصنام المادية فإنه من قبل ذلك ومن بعد ذلك قد حطّم كل صنم بعد من دونه الله . وبين أن الربى شرك . ولهى شرك . وخصوع بشهوى شرك . وكل عمل لا يقصد لإيمان به وجه لله عيسى هو من أعمال لشرك وفى هذا يوم نلك رحمة نعمو رسول الله ، صنوب لله عبيه .

فإنه حينما حتمت قرش إليه بطر يه وقال يامعشر فريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ فقالوا : خيراً ، أح كرم وإن أح كرم ، فقال وهو يبكى ، « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

أقول لكم ما قاله أحى يوسف لإخوته :

(لا تثريب عليكم اليوم ، يعمر الله بكم ، وهو أرحم الراحمين)^(٢)
فكان هذا اليوم حقاً يوم الرحمة .

وبالله التوفيق

(١) سورة الإسراء آية ٨١

(٢) سورة يوسف آية ٩٢

الفضل المستأج

النبى العابد

أَلْفَ السَّنَةِ وَبِعِبَادَةٍ وَالْخَيْرِ حَقٌّ طِفْلاً وَهَكَذَا لُحْجَاءُ
وَأَدَا حَتَّى لَهْدَايَةُ فَسَاءُ تَشِطَّتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْصَاءُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِأَنَّ أَوَّلَ آيَةٍ بَرَلْتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمَا هِيَ
(أَمْرٌ بِاسْمِ رَبِّكَ تَعْنِي حَقٌّ) الْعَلَقَ آيَةُ ١ وَنَقَدَ كَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ
بِوَصْفِهَا وَمَعْنَاهَا وَحُومًا شَعْرًا عَمَّا وَبُوحِيهَا شَامِلًا . فَكَانَتْ تَعْنِي بِرُوحِهَا
لِقِرَاءَةِ فَحَسْبُ . وَإِنَّمَا كَانَتْ تَعْنِي أَنَّهُ مَدَّ هَذِهِ السَّحِطَةَ بِحَسْبِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ
أَمْرٍ بِاسْمِ اللَّهِ . فَعَلَا كَانَ هَذَا لِأَمْرٍ أَوْ تَرْكًا
وَلَقَدْ تَأَكَّدَ هَذَا الْإِتِّحَادُ . وَأَصْبَحَ سَاهِرًا فِيهَا بَعْدَ . بِنَ لَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْأَوَامِرِ
. الْمَرْصُوعَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ .
(هَلْ بِأَنَّ صَلَاتِي وَسُكُوتِي وَبِحَايَ وَتَقَى لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ .
وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (١) .
عَنِ أَنَّ الْمَسْأَلَةَ تُشْمَلُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْمَ إِذْ كَانَ يَتَأَنَّى الشُّمُورَ وَالْعُمُومَ بَعْدَ هَذَا
. أَنَّ اللَّهَ سَخَاهُ قَدْ خَبَّرَ فِي قُرْآنِهِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ مَا خَلَقَ لِحَسَنِ وَالْإِنْسِ . لَا لِعِبَادَةٍ
بِقُوبِ سَخَاهُ

(وَمَا خَلَقْتُ لِحَسَنِ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِعِبَادَتِهِ) (٢)

فَعِبَادَةُ الْخَلْقِ الْعِبَادَةُ . وَسَبَبُ الْخَلْقِ لِعِبَادَةٍ ، وَالثَّمَرَةُ الَّتِي يَحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ
عَلَى تَحْقِيقِهَا بِأَنَّ بِمَا هِيَ عِبَادَةٌ . وَمِنْ هَذَا كَانَتْ التَّوْحِيدِيَّاتُ الْمُتَوَابِعَةُ لِلْعِبَادَةِ
(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذَلِكَ بِشَمْسٍ إِلَى عَسَى أَنْ يَكُونَ وَغَرَّابَ فَجَرٍ بِأَنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ
مَشْهُودًا) وَمِنْ الْمَدِينِ عِنْدَهُ نَهْجَةً لَكَ عَمِّي . أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وَقُلْ

١ . سُورَةُ الْأَعْقَابِ بَنَاءً ١٦٦ ١٦٣

(٢) الدَّرَجَاتُ ٥٦

رب أدعني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً
بصيراً^(١)

(واسجد واقترب)^(٢) .

(واعبد ربك حتى تأتئك التقى)^(٣) .

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبع محمد بك حبي تقوم ، ومن الليل
فسيحه وإدبار السجود)^(٤)

وما من شك في أن الله سبحانه لا تصرفه معصية - ولا تنفقه طاعة ، إنه سبحانه
الغنى المطلق - والمانح المطلق ، والمعطي المطلق ، إنه سبحانه الوهاب ، الرزاق
المعنى إنه القائم بنفسه ، وغيره هو الخاضع .

وما كانت العبادية إلا لأجل تكميل الإِسْبَاب من فصل لله على عباده -- أن
فتح لهم باب التكامل على مصرعيه عن طريق العبادات ، ففائدة العبادة راحة إلى
العبد نفسه ، فصلا من الله ورحمة ، إنها راحة إليه في الدارين ، وراحة إليه في
الآخرة ، ويشمل الرحمتين قوله تعالى .

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فسحبيته حياة طيبة ولنحزبهم
أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون)^(٥) .

ومن عبادة الله بالأمانة الإسلامية ، ورسوله الكريم أن أوب كلمات من الوحي
كانت توجيهاً لرسول وللمسلمين بأن تكون أعمالهم كلها عبادة ، لأن ما كان باسم الله
كان عبادة ، ولو كان أكلاً أو شرباً مثلاً

واستجاب الرسول صوات الله عليه لهذا التوجيه السامي الذي توالى منذ الأيام
الأولى للرسالة ، واستمر طيبة الوحي

إن لرسول صوات الله عنه حينما فاحه الوحي ، فعاد يرحف فؤاده إلى مرله
الظاهر ، وقال : رموني رموني - بل عليه قوله تعالى .

(٤) سورة الطور يا ٤٨ - ٤٩

(٥) سورة الطور ليتا ٤٨ - ٤٩

(١) سورة الإسراء الآيات ٧٨ - ٨٠

(٢) سورة البقرة ١٩

(٣) سورة الحجر ٩٩

(بأيها الرمل . ثم الليل إلا قليلاً ، بصفه أو انقص منه قليلاً ، أو رد عليه ورتل القرآن ترتيلاً) ^(١)

لم يقل له سبحانه بأيها الرمل ، لا تخش بأساً ، أريأها الرمل ، لا ترع وب
دلت من عند الله ، وربما كان انرد على رحمة الفؤاد أمراً بالعبادة

وكذلك لشأن في كل ما تعرض المسلم من صيق أو كرب أمر بالعبادة مثل
(فاصبر على ما يقولون وسبح حمد ربك قبل طوع الشمس وقبل غروبها ومن
آتاه الليل فسطع وأطراف الهدى : بعلك ترحمى) ^(٢)

وهذا علق سبحانه لخصه وحسينه لنفسه ، وسكنه الفؤاد على تسبيح
والذكر والعبادة . ويشير الله إلى ذلك أيضاً بقول

(فاصبر على ما يقولون وسبح حمد ربك قبل طوع الشمس وقبل غروبها ،
ومن الليل فسبحه وأدبار السجود) ^(٣)

واستجاب لرسول صوت الله عليه استجابة كاملة بتوجيه الإلهي فحفل من
كل أعمال الحياة عبادة ، فإنه كان يعملها باسم الله فقد جعل صلاته ، وسكته ،
وجعل حبه ، وأكفها ، بل ومحمدتة بصلوات الله وب العالمين ، فقد جعل كلامه ،
وصوته ، وجعل حركته وسكوته ، وجعل يومه ويقظته بل جعل أقدس عبادة لله
سجده ، فكان ذلك توجهاً به إلى الله ، فكان عبادة له ، وهذه الاسحابة الكاملة
هى التى جعلت من رسول الله صلوات الله عليه أول المسلمين ،

أرهم مد أن حق الله العلم إلى أن يطوى الله لأرض وما عيها ، باعتبار أن
ندين عبد الله - مد الأرض إلى لأبد - إنما هو الإسلام

لقد صير الرسول صلوات الله عليه الحياة كلها عبادة لا تفر
وإذا استحالت إلى عبادة همد استحالت إلى قوة ، وأنت حينما تجعل من الجهاد
عبادة ، ومن العمل عبادة ، ومن العلم عبادة ، ومن انكساح عبادة ، ومن السعى

على المعاش عبادة ، ومن ، ومن . ؟ هل يصعب المجتمع أو يقوى ؟ « وهل ينم
أهله أو يجاهون ؟ وهل يسعدون أو يشقون ؟

مهما يكن من شيء هذا استحباب الرسول صلوات الله عليه استحابة عامة لما أراد
الله سبحانه وتعالى . ولقد تحدث الله عن هذه الاستحابة ذاكراً لها فقال سبحانه
(ي . بلك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلاث) (١)

وسذكر الآن بعض الأحداث التي تصور هذا الخاب من حياة الرسول
صلوات الله عليه ، ومن واه . يصبح هذا الخاب من حياته صلوات الله عليه
أهداف

١ تأسي المسلمين به قدر الاستطاعة

٢ رضاء المرس وطمأنينة الأئمة . من اتبعه النفس . فليس هناك من
علاج لبثت والخيرة والبردد يعادل في مقامه العادة والصبيحة الخيرة نبي ندى
لشاك إنما هي « صل » .

فصله خير علاج للاضطراب الديني من الاضطراب النفسي أما كان
ومنى وحذب النفس المطمئنة والنفس المطمئنة لا وسيله وجودها إلا بالعبادة
بأن الكثير من الأمراض الجسمية نفسها يروى بقرار أعضاء الأقسام أنفسهم . ثم
به بقرار أطباء الأقسام أيضاً لا يكون الإنسان انطمن عرصة ما يتعرض له
غير المطمئن من أمراض جسمية .

٣ وهذه الأسوة بالرسول . صلوات الله عليه . التي مرحوها ستكون أيضاً
سما في تريح الصيق المادى

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض . . .) (٢)

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياه طيبة ولنجزيهم
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (٣) .

(٢) سورة النحل آية ٩٧

(١) سورة الزمل آية : ٢٠

(٢) سورة الأعراف آية ٩٦

وهذه الأحاديث التي تذكرها ليس فيها حديث ضعيف ومع أن الأحاديث
ضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمام ، فإن قد تحوي تحريماً كحرام الأكل ذكرها يلي -
إلى آخر الكتاب - حديثاً ضعيفاً

الصلاة

عن السيدة عائشة رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى
تتفطر قدماه » .

فقلت له : ماذا تصنع هذا يا رسول الله ، وقد عمر الله لك ما تقدم من دسك
وما تأخر ؟

قال : « أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ »
أما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال
« صليت مع سي ﷺ ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء
قبل : وما هممت به ؟
قال : هممت أن أجلس وأدعه »

وبعل لابن مسعود ، رضي الله عنه عذره فقد كان صلوات الله عليه يقرأ في
الركعة الأولى مثلاً سورة اسقرة . وفي الثانية آل عمران ، وفي الثالثة سورة النساء .
وكان يطيل القيام ويطيل الركوع . ويطيل السجود . كان يطيل كل ذلك حيناً كان
يفعله منفرداً في جوف الليل
أما إذا كان مع الناس فإنه يخفف .

وقد ورد في سنة الصحيحة أن طال الرسول صوت الله عليه قراءة في
الركعات التي يصليها في ليل ، وسب هذه الإطالة كانت هذه الركعات لا تتجاوز
إحدى عشر ركعة

« عن عائشة رضي الله عنها : كان سي ﷺ يصلي من ليل إحدى عشرة
ركعة ، فإذا طلع فجر صلى ركعتين حصتين ، ثم اصطجع على شقه الأيمن حتى
يجيء المؤذن فيؤذنه » .

وكان الرسول صوات الله عليه ، يستعرق في صلاته النبيلة ويبكي

ويقص مطرف بن عبد الله عن أبيه قال

« أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ، ولحوقه أذير كذير المرحل يعني يبكي »

والصلاة أهمية أكبر بوصفها أرسوب صوات الله عليه بقوله

« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »

وكان صوات الله عنه تنوصاً لكل صلاة .

عن أنس رضي الله عنه قال :

« كان رسول الله ﷺ يتوصاً بكل صلاة قبله كيف كنتم تصفون ؟ » قال :

يجرى أحدا الرصوء ما لم يحدث .

ولأحاديث الثانية تبين بعض أحوال الرسول صوات الله عليه في صلاة

كان عبد الإقامة يقول

« أقمها الله وأدامها » .

« وكان ﷺ إذا قام إلى الصلاة صائلاً رأسه »

قالت عائشة ، رضى الله عنها « لم يكن ﷺ على شيء من الوافل أشد

تعاهداً منه على ركعتي الصجر »

عن سماك بن حرب قال . « قمت لحابر من سمرة ، أكنت تحالس رسول

الله ﷺ ؟ قال نعم ، كثير . كان لا يقوم من مصلاه لدى يصلي منه انصح

حتى تصعب الشمس فإذا طنعت قام » .

« وكان ﷺ يسجل في الصلاة ، ويريد صلاتها ، فيسمع بكاء الصبي ،

فيتحور في صلاته مخافة أن يشق على أمه »

وكان ، ﷺ يقرأ سورة « الجمعة » في الركعة الأولى و « إذا جاءك أسافقون »

في الثانية

عن حابر بن مطعم قال « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب (والطور)

« وكان صوات الله عليه » يقرأ في المغرب . (والمرسلات عرقاً) وإيها الآخر

ما سمعته من رسول الله ، ﷺ

وعن أم هانم بنت حارثة بن العجم قالت : « ما أحدثت شيئا ، وقرآن المجيد » إلا عن لسان رسول الله ﷺ ، يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس .

« وكان صلوات الله عليه يقرأ في صبح الجمعة « ألم تنزيل » السجدة ، و « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » رواه الشَّحَّان من حديث أبي هريرة ، وبما كان يقرأها كاملتين وقراءة بعضها خلاف السنة .
كان ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة : « سبح اسمك الأعلى » و « هل أتاك حديث العاشية »

وكان « يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا ومحمدك ، اللهم اغفر لي »

« وكان صلوات الله عنه يقول بين الشَّهْد والتَّسْلِيم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت »

« وفي السجود يقول صلوات الله عليه . اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافائك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا تحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك . »

« وعن حديثه كان يقول ﷺ في ركوعه سبحان ربِّي العظيم ، وفي سجوده : سبحان ربِّي الأعلى . »

« وعن عائشة رضي الله عنها كان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ومحمدك . اللهم عظمي بتأويل القرآن » رواه مسلم ، ومعنى يتأويل القرآن يعمل كما به كما في قوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستعصره ، إنه كان تواباً)^(١) فكان ﷺ يقول هذا الكلام المديح في الجهرالة ، المستوفى ما أمر به في الآية .

الصيام

أما إذا حُثنا إلى رمضان وإلى الصيام على وجه العموم فالأحاديث التالية توضح بعض الأمر ، كما أن أحاديث الصلاة تبيرونها إما ببيت إشارات ولحجات فقط ، فكذلك الأمر في أحاديث الصيام

فرض رمضان في سنة الثانية من الهجرة ، فتوفى سيدنا محمد رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات

عن عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل ، وأبسط أهله وجد وشد المنزلة »
وعنها قالت « كان ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأخيرة ما لا يجتهد في غيرها »

« كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، حتى توفاه الله تعالى » .
« كان النبي ﷺ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان نيام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً » .

« إذا دخل العشر الأخيرة طوى فراشه ، وغتر النساء ، واعتسل بن الأداوين ، وجعل العشاء سحوراً »

« روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلوات الله عليه واصل ، فوصل الس ، فشق ذلك عليهم ، فهاهم رسول الله ﷺ أن يواصنوا ، قالوا إنك تواصل . قال لست كهبتكم في أطل أطم وأسقى »

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « كان رسول الله ﷺ لا يصطر الأيام ابصر في حصر ولا سحر ، وهي ثلاث عشرة . وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .
وعن حفصة رضي الله عنها « أربع لم يكن لبي ﷺ يدعهم صيام عاشوراء ، والعشر أي تسع دي الحجج - والأيام ابصر من كل شهر ، وركعتا الصجر » .

« كان صلوات الله عليه ينحري صيام يوم الإثنين والخميس » .

« كان ابي ﷺ يصوم ثلاثة أيام من عمره كل شهر »

الذكر .

« لا يقعد قوم يذكرون الله إلا جنتهم الملائكة ، وعشيتهم لرحمة ، وبرت عبيهم السكينة ، وذكروهم الله فيمن عبده »

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت « كان صلوات الله عليه يذكر الله على كل أحيائه » .

« مثل لدى يذكر ربه والذي لا يذكره - مثل الحى وايت »

وأفضل الذكر . - قراءة لقرآن

« ومن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »

« إن الذى ليس فى حروفه شيء من القرآن كاتبت الخرب » .

« اقرأوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيمة شعباً لأصحابه » .

وبينا حبريل عليه السلام قاعداً عند نبي ﷺ سمع بقصاً من حوقه ، ورفع رأسه ، فقال هذا باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم . فنزل منه ملك . فقال هذا ملك رب إلى الأرض . ولم يرب قط إلا اليوم . فسلم . وقال أشد سؤرس وتيتها لم تؤتها نبي فملك ونحه الكتاب ، وحواتهم سورة البقرة ، لى تقرأ بحرف من إلا أعطته »

ولأن لا إله إلا الله أساس توحيد . وتعبر عن التوحيد ، وقد ذكرت بلفظها ومعناها فى القرآن على أنحاء شتى فب صلوات الله عليه « أفضل الذكر لا إله إلا الله »

عن أبى موسى ، رضى الله عنه قال « قال لى رسول الله ﷺ ألا أدلك على كثر من كمور الجنة ؟ » .

قلت : بلى ، يا رسول الله

قال : لاحول ولا قوة إلا بالله »

« قال رسول الله ﷺ . لقبت إبراهيم عليه السلام بيلة أسرى لي فقال : محمد ، أقرئ أمثلك مني السلام . وأحبرهم أن اخذ طيبة الثمرة . عدة الماء ، و٣ قيعان ، وأن عرسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »
وكان ، صلوات الله عليه يقول بأعلى صوته ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لاحول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله شأن الحسن الخليل ، لا إله إلا الله محصين له الدين وبوكره الكافرون »

« من قال لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة . كان له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة . وعيبت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرراً من سبطين يومه ذلك حتى يمسى ، وم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » .
وقال « من قال - سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة - حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر »

« إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء . وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله فار الشيطان أدركتم المبيت . وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء » .

« الظهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، وانصبر صياء ، وانقرآن حجة لك أو عيبك ، كل الدس تعدو : فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها » .

« أحب الكلام إلى الله . سبحان الله وبحمده »

« لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إلى مما طلعت عليه الشمس »

« كلمتان حقيقتان على لسان ، ثقلتان في لسان ، حسنتان إلى الرحمن
سبحان الله ومحمده ، سبحان الله العظيم »

الدعاء

وقال صلوات الله عليه وسلامه : « الدعاء هو العادة » .
أما أحسن أوقات الدعاء فإن الأحاديث التالية تذكر بعضها
« أقرب ما يكون لعبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا الدعاء ، فممن أن
يستجاب لكم » .

« قل لرسول الله ﷺ أي الدعاء أسمع ؟ قال جوف الليل الآخر ، ودير
الصلوات المكتوبة »

« دعوة لمرة اسم لأخيه يظهر العيب مستحبه ، وعند رأسه من موكل كذا
دعا لأخيه بخير ، قال الملك موكل به : آمين ، وذلك مثل »

« لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل ؛ قيل :
يا رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : يقول : قد دعوت ، وقد دعوت فلم أر
يستجب لي فاستعسر عند ذلك ويترك الدعاء »

« ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله بها ، أو صرف عنه
من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذن
نكفر ، قال : الله أكثر » .

« كان صلى الله عليه وسلم يحب الخوامع من الدعاء ، ويدع ما سوى ذلك »

ومن جوامع دعائه ما يلي

« أناه رحل فقال : يرضون الله ، كيف أقول حين أسأل ربي ؟ قال : قل :
اللهم اعصرى ، وارحمى ، وعافى ، وارزقنى ؛ فإن هؤلاء تجمع لك ديارك
وأحرتك » .

ومن جوامعه عليه السلام :

« اللهم إني أسألك موحداً رحمتك وعزيم معصرتك . والسلامة من كل
إثم ، والعزيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار »
عن أبي أمامة رضي الله عنه قال . دعا رسول الله صلوات الله عليه بدعاء كثير لم يحفظ منه
شيئاً

فقال ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله ؟ تقول اللهم إني أسألك من خير
مساألتك منه سيئ محمد ، وبعودك من شر ما استعاذ منه سيئ محمد . عليه السلام .
وأنت المستعان ، وعليك البلاغ ، ولا حول ولا قوة إلا بك هاهنا .
اللهم إني أعوذ بك من مكرب لأحلامي ، ولأعمال والأهواء .
اللهم ألهمني رشدي ، وأعذني من شر نفسي »

عن شهرس حوشب . قال « قلت لأبي سلمة رضي الله عنها يا أبا سلمة ،
ما كان أكثر دعاء رسول الله صلوات الله عليه إذا كان عندك ؟
قالت . كان أكثر دعائه : يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك هاهنا .
« اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها
معاشي ، وأصلح لي آخري إني أسألك بذلك ، واجعل لحيته ردة لي في كل خير ،
واجعل الموت راحة لي من كل شر » .

« اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » .
« اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن نبيي
نوراً ، وعن ساري نوراً ، وبخبي نوراً ، وأمامي نوراً ، وحتي نوراً ، واجعل لي
نوراً » .

« ربنا آتانا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار »
ومن أدعيه . صلوات الله عليه في الصلاة
« عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلوات الله عليه علمي دعاء
أدعوه به في صلاتي .

قل . قال . اللهم إني ظلمت نفسي ظمناً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ،

فَاعْمُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عَمَلِكَ ، وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .
 « وَكَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ بَيْنَ سَجْدَتَيْنِ اللَّهُمَّ اعْمُرْ لِي ، وَارْحَمْنِي .
 وَاهْدِنِي ، وَعَافِنِي ، وَارْزُقْنِي »

عَنِ مَعَادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَحْدَ بَيْدِهِ وَهَذَا نَامِعَادُ اللَّهِ إِلَى
 الْأَحْبَثِ . ثُمَّ وَصِيَتْ بِمَعَادٍ ، لِأَنَّهُ دَعَى فِي دَرَكِ صَلَاةٍ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُمْ أَعْنَى
 عَلَى ذِكْرِكَ ، وَشُكْرِكَ ، وَحَسَنَ عَادَتِكَ »

وَعَدَ الْإِمَامُ فِي الصَّوْمِ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي صُمْتُ ، وَرَزَقَنِي فَأَصْرْتُ » .

« اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي . يَا أُمَّتَ السَّمِيعِ
 الْعَلِيمِ » .

عَدُّ الْكُرْبِ :

« يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ »

وَعِنْدَ الْكُرْبِ أَيْضاً

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ
 الْعَرْشِ الْكَرِيمِ »

أَمَّا إِذَا كَانَ الْكُرْبُ شَدِيداً فَيَحْسِرُ أَنْ يَكُرَّ الْإِنْسَانُ دُعَاءَ الرَّسُولِ ﷺ عِدَّةَ
 عَوْدَتِهِ مِنْ انْطَائِفِ ، وَهُوَ مِنْ رَوَائِعِ بَيَانِهِ ، وَدَقِيقِ مَبَاحِدَتِهِ

« اللَّهُمَّ ، إِنِّي أَشْكُو صَعْفَ قُوَّتِي وَقَلَّةَ حَيَاتِي ، وَهَوَانِي عَنِ النَّاسِ .
 يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَظْفَرِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي يَا مَنْ تَكَلَّفِي ؟ إِلَى مَعِيدِ
 يَتَحَمَّلُنِي . ثُمَّ إِلَى عَدُوِّكَ أَمْرِي . يَا مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ عَنِّي عَصَبٌ فَلَا تُدَلِّي . وَيَكُنْ
 عَدُوَّتِي هِيَ أَوْسَعُ لِي . أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّكَ لَكَ الطَّيِّبُ . وَصَلِّحْ عَيْنِي
 أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَنِّي مَحْظُوكُ . لَكَ لَعْنَتِي
 حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ »

وَإِذَا خَافَ قَوْمًا « يَا اللَّهُمَّ إِنِّي نَحْبِسُ فِي خَوْفِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شَرِّهِمْ »

لسداد الدين

« أَلَا أَعْمَدْتُ كَهَمَ عِلْمِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَوَكَرَ عَلَيْهِمْ مِثْلَ حِجْرِ دَبَابُورَةٍ »
 اللَّهُ عَنْكَ ؟ قُلْ إِنَّهُمْ أَكْفَى بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَ عَنِّي بِفَضْلِكَ عَنْ سَوَاءِكَ »
 وَعَدَ الْخُرُوجَ مِنَ الْبَيْتِ

« عَنْ أَسْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هـ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَرَأَ بِذَا حَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِاسْمِ اللَّهِ . تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يَقُولُ لَهُ هَدَيْتَ وَكَفَيْتَ وَوَقَيْتَ ، وَتَحَيَّيْ عَنْهُ الشَّيْطَانَ »

وَعَدَ النَّوْمَ وَالْيَقِظَةَ

« إِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ مَضْجَعَهُ مِنَ النَّوْمِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ اٰللهُمَّ بِسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا .

وَإِذَا اسْبَقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ الشُّوْرُ » .
 وَعَدَ الْأَكْلَ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَدَيْهِ أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ »

وَعَدَ الْمَنَسَ الْخَدِيكَ

« اَللّٰهُمَّ لَكَ اَحْمَدُ اَنْتَ كَسْرَتِيهِ ، اَسْأَلُكَ حَيْرَةً وَحَيْرَ مَا صَنَعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صَنَعَ لَهُ » .

وَإِذَا رَأَى أَهْلًا

« اَللّٰهُمَّ اَهْبِ اَعْيُنَنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ ، رُبِّ وَرَبِّكَ اللَّهُ هَلَالٌ رَشَدٌ وَحَيْرٌ » .

وَعَدَمَا يَنْتَهِي الْخَنَسُ ، وَبِتَفَرُّقِ الْخَاصِرُونَ يَقُولُ

« سُبْحَانَكَ اَللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَتُوبُ إِلَيْكَ » .

وَعَدَمَا يُوَدِّعُ شَخْصًا

« كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوَدِّعُ مَا يَمُوتُ ، اسْتَوْدَعَ اللَّهُ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِمَ عَمَلِكَ »

الفصل الثامن

إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

من هديه صلوات الله عليه في سب بعث
 «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ»
 «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»
 «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»
 «بُعِثْتُ بِالْخَيْمَةِ السَّمْحَةِ» هـ .
 أما هو صلوات الله عليه فإنه رحمة مهداة إلى العالم .
 «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ»

«يَعْلَمُونَ لِي رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ» ، بعثت برفع قوم . ووضعت تحرير . رفع من اتبعوه
 عند الله . ووضعت مشدأني جهل وتبعه من المشركين والمجدين . وضعهم عند
 الله وفي ميزان التقوى . . على أنه :
 «عَامَنَ شَيْءٌ أَثْقَلَ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَسَنِ الْخُلُقِ» ، وإن الله
 يبعث الفاحش البديء»

والأخلاق لا وزن لها بدون الإخلاص . ومن هديه صلوات الله عليه في
 ذلك ! «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ، وإنما لكل امرئ ما نوى : من كانت هجرته إلى الله
 ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته ليد تصيبها أو مرة يتركها
 فهجرته إلى ما هاجر إليه»

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظُرُ إِلًا أَحْسَنَ مِنْكُمْ وَلَا إِلَى صَوْرَتِكُمْ . وَكَفَى إِيَّاهُ عِلْمُكُمْ»
 «دَعِ مَا يَرْيَبُكَ إِلَى مَا لَا يَرْيَبُكَ» ، فإن الصدق صمأبيه . والكذب رية .
 قوله : يريبك : هو يفتن الياء وضربها ، ومعناه : أترك ما تشك في حبه واعدل
 إلى ما لا تشك فيه .

«وَأَوَّلُ النَّاسِ يَقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَحْلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ» . فعرقه بعمه
 فعرها .

فأف عملت فيها ؟

قال قاتلت فيه حتى استشهدت
 قال . كذبت . ولكنك فانت لأن يقال حرى . فقد قيل ، ثم أمر به
 فسحب على وجهه حتى ألقي في النار
 ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن . فأتى به فعره نعمه . فعرها . قال
 فما عملت فيها ؟

قال تعلمت العلم ، وعلمته ، وقرأت فيه القرآن
 قال كذبت . ولكنك تعلمت لقل . علم ، وقرأت القرآن ليقال قارئ
 فقد قيل ، ثم أمر به ، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار
 ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعره نعمه ،
 فعرها . قال . فما عملت فيها ؟

قال ما تركت من سبيل يحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك . قال
 كذبت ، ولكنك فعلت بقال حراد . فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه
 حتى ألقي في النار

ومن هديه في موقف المسلم بالسب للذكر براه
 « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبأساه ، فإن لم يستطع فبقلبه
 وذلك أصعب الإيمان »

ومن المكر السع الموبقات .

احسبوا السع الموبقات

قالوا . يا رسول الله ، وما هي ؟

قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل
 الربا ، وأكل مال اليتيم . والتولي يوم الرحف . وهدم الحصنات ، المؤمنات
 العافلات « متفق عليه . بلوغات . المهلكات .

ومن هديه صلوات الله عليه فيما يتعلق بصلة المسلم بأخيه المسلم
 « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

«لن تدحوا حبة حتى تؤمو : ومن يؤمو حتى يحابو ، فلا أدبكم على شيء
إد فعلموه نحاسم ؟ افشوا السلام بينكم»

«مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاضدهم كمثل الجسد إذا
شكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»
«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»

«كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه ، وماله»
«عن أبي بكر ، رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال في خطبته يوم الحرة
نبي ، في حجه يودع ، بـ مولكم وأعراصكم ودماءكم حرام عليكم كحرمه
يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟»
«سبب المسلم فسوق ، وقتاله كفر»

«إد التقى المسلمان سيفيهما فقاتل والمقتول في النار قلت يا رسول الله ، هل
القاتل ، هـ بال يقتول ؟

قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»

«المسلم أخو المسلم لا يحوه ، ولا يكذبه ، ولا يجده ، كل المسلم على المسلم
حرام : عرضه ، وماله ، ودمه ، انفوى ههما ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر
أخاه المسلم !»

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسيئه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في
حاجته ومن فرح عن مسلم كربة فرح الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن
ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما سوى الله عنه»
«من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم
القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره
الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»
«ومن سبب طريقاً ينتمس فيه علماً سهل الله به به طريقاً إلى الجنة»

«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم

لا برلت عليهم السكينة . وعشتهم الرحمة . وحفهم الملائكة . وذكرهم الله
فيمس عنده .

«ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» ا . هـ .

«من سره أن ينحيه الله من كرم يوم القيامة فسفس عن معسر أو يصع عنه»
«كان رجل من الناس وكان يقرب مناه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه
فعل الله يتجاوز عنه . فلقى الله يتجاوز عنه»

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن رجلاً رجلاً في قرية أخرى .
فأرصد الله تعالى به على مدرجته ملكاً . فلم يأت عليه من أين يريد؟ قال أرصد
أخاً في هذه القرية . قال هل لك عنه من نعمة تربى عنه؟ قال لا ، غير
أن أحسنه في الله تعالى . قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحبته
فيه .»

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة :
يا ابن آدم ، مرصت هم يعني . قال يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟
قال أما علمت أن عبدى فلاناً مرصص فلم بعده ؟ ما علمت أنك و عدته
لوجدتني عنده ؟

يا ابن آدم . استطعتك فلم تطعني ؟ قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب
العالمين ؟ قال أما علمت أنه استطعتك عبدى فلان فلم تطعمه ؟ ما علمت أنك
لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟

يا ابن آدم ، ستفيتك فلم تسقى ؟ قال يا رب كيف نسك وأنت رب
العالمين ؟ قال ستسقاك عبدى فلان . فلم تسقه ؟ أما علمت أنك لو سقيته
لوجدت ذلك عندي ؟

ومن هديه صنوات الله عنه في العلم

«من سبب طريقاً يتبع فيه عدماً سهل الله له طريقه إلى الجنة . وإن الملائكة
لتصنع أحجب لطالب العلم رعب بما صعب . وإن العام يستعمر له من في السموات
ومن في الأرض . حتى الحيات في الماء وفصل عام عن العابد كقصص الصبر على

سائر الكواكب ، و ن انعماء ورثة لأساء و ن الاسباء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أحبه أحد يحظ رافراً .
 « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع »
 وبالسبة للمرأة .

« لا تحبون رجل بامرأة إلا ومعهما ذو محرم . ولا تناسر امرأة إلا مع ذي محرم
 فقال له رجل : يا رسول الله ، إن امرأتى خرجت حاجةً وبني كنت في عروة
 كذا وكذا ، قال : انطلق فصح مع امرأتك »
 « لا يجلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم »
 ومن هديه صلوات الله عليه وسلامه في الجهاد
 عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن نبي ﷺ قال : « أفضل الجهاد
 كلمة عدل عند سلطان جائر »

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من مات ولم يعرف
 ولم يحدث معه باعرو - مات على شعبة من انفاق » .
 « قال رسول الله ﷺ تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في
 سبيل . ويمان في وتصديق برسلي . فهو صامس أن أدخه الجنة . أو أرجمه إلى
 متره الذي خرج منه كما قال من حر وعزيمة . واندى نفس محمد بنده . ما من كنتم
 كنتم في سبيل الله لا جاء يوم القيامة كهشته يوم كلم لونه لون دم ، ورنحه ريح
 مسك ، واندى نفس محمد بنده بولا أن أشق على أسمى ما أعدت حلف سره
 تمرر في سبيل الله نداء . ولكن لأجد سمه فأحملهم . ولا تحذون سمه . وشق
 عيهم أن يحلمو عني . واندى نفس محمد بنده لو ددت أن أعزو في سبيل الله .
 فأقتل ، ثم أعزو فأقتل »
 « والكلم المخرج »

الفصل السابع

من توجيهات القرآن الكريم

يقول الله تعالى في كتابه العزيز

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويركهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين) وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى تؤكد كلها أن بعثة الرسول ﷺ كانت بعثة من نعم الله العظمى من الله سبحانه على جميع المؤمنين ، وأن هذا لفصل من الله سبحانه وتعالى إنما هو منة كريمة من لدن رب كريم :

ذلك أن هذا الرسول ﷺ إنما هو لسان صدق في تبليغ آيات الله ، فهو ينوه على المؤمنين ، إنه يتلوها عليهم بعد أن تلاها على نفسه ، ووعاها وتشرنها روحه ، فاطمأن بها وعاشها ، ومن أجل ذلك كان هذا الرسول ﷺ مصدر تركية هم إنه وقد أصبح طائفة رب الله أصبح من أجل ذلك مصدر تركية بالمثل والقدوة والتأسي للمؤمنين

لقد تركى آيات الله ، ولقد ركنه آيات الله ، وإنه يتلوها ، ويحيها ، فهو يبشر بها بقوله ، أو بتلاوتها ، ويبشر بها بمسلكه ، فهو بقوله يتلوها ، وهو بمسلكه يرحمها

ويعلمهم الكتاب ، به لا يتو محسب ، وإنما يعلم أيضاً ، إنه يشرح ويعسر ، ويطبق ، ويقوم تطبيق لأحرار إذا عرفوا ، إنه يعلم القرآن وهو يعلم القرآن بعد أن اطعم به ، وبعد أن أصبح هو قرآناً ، لقد أصبح فكره قرآناً ، وأصبحت عواطفه قرآناً ، وأصبحت إرادته قرآناً !

ولقد عبرت عن ذلك السيدة عائشة رضوان الله عليها حير تعبير وأحصره حينما سألت عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت رضوان الله عليها : « كان خلقه القرآن »

وما كان يتأتى أن يكون غير ذلك ، وكلمة السيد عائشة رضوان الله عليها إنما هي كلمة بديهة عند كل متصبر . فالقرآن كان يظل مبادئ يعتقد الناس أنها مجرد مبادئ نظرية يستحيل تحقيقها في الخارج لو لم تطبق فعلاً ، وهو لم يتحقق واقعياً ، وكان لابد من أن تتحقق بالفعل ، وكان لابد من صورة حية تتمثل فيها هذه المبادئ تتمثل فيها ذاتياً . وتتمثل فيها من جهة تطبيقها على العبر ، وقيادة العبر إلى الأخذ بها في صورة تقرب منها بقدر الاستطاعة .

ولو لم يكن الأمر كذلك لظل الناس يؤمنون بأنها مجرد مبادئ .

بد أن هذه الصورة الخالدة بالأخلاق - كما يحب الله سبحانه ليبي الإنسان - قد تحققت بالفعل . حققها رسوله الكريم ﷺ . وحققتها في ذاته ، وحققتها في مجتمعه . حققها سلوكاً . وحققتها واقعاً هو في نفسه على أكمل ما يكون التحقيق تطبيقاً في مجتمعه على الصورة التي استطاعها هذا المجتمع .

ونقول على الصورة التي استطاعها هذا المجتمع : لأن لكل نظام من النظم حداً أدنى لا يتأتى أن يكون النظام بدونه . وحداً أعلى يتسامى نحوه المخصوص . لقد تحققت الصورة الإسلامية في حدها الأدنى في الرسول ﷺ ، وكان بذلك - بنص القرآن أو المسلمين

وترسم الآيات القرآنية .

كيف ؟ وم كان الرسول ﷺ أو مسلمين ؟ يقول الله تعالى :

(قل . إن ضلّاتني وسكنتي ، ومحبي وممّتي ، لله رب العالمين ، لا شريك له ،

وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين)^(١)

لقد كانت أعماله ، وحياته كلها ، بل وممّته ، لقد كان كمانه كله حركة

وسكوناً ، حياة وموتاً . لله رب العالمين فكان بذلك أول المسلمين

ولقد تحققت الصورة على تماوت لايزل عن حدها الأدنى في آلاف من

الصحابة رضوان الله عليهم .

لقد وجد المجتمع الإسلامي بالفعل :

بعد انني بسك فكرة هؤلاء من روا في المصنف . أو يروى في خلاصه أن
لإسلام مادي لا ينطق . مادي بصره . مادي حياية بسحب تطبيقها
لقد تحقق لإسلام بالفعل . فوجد مجتمعا اسم نفسه لله . وإن مجتمعا يسلم نفسه
لله لا يتأني أن تتمحص الإساسة عن خير منه

هذا المجتمع الذي وجد في كتاب ثمر جهاد رسول ﷺ وكفاحه في أن يخرج
الفصل الصورة التي أوحدها الله إليه . فقد كان ثرا لتلاوة الرسول ﷺ مات الله
ولم تكن الرسول ﷺ لم حوته . ثمثة القرآني . وتعلمه صلوات الله عليه القرآن
لم حوته

وتشرمت روح سو . لله ﷺ القرآن . واملأته به . وصفت صفاته وزكت
به . واستنارت سورة . فصاحت بالحكمة . ثرا من ثمر الهداية انشده . وتنسحة للور
بعم القلب . وللنساء ببالا في انقود فكك الرسول . ﷺ يعلم مكنات .
ويعلم حكمه . وما الحكمة إلا أحداث الرسول ﷺ بين بها قلوبا . ويرشد بها
عصولا . ويعود بها عباد الله إلى الله . وكما أن لكتاب من عند الله فإن الحكمة أيضا
من عند الله . يقول الله تعالى

(وأمرن الله عليك بكتاب والحكمة . وعملك ما لم تكن تعلم وكك فصل الله
عليك عطيا)

وما كان رسول الله ﷺ يطق عن الهوى . ب هو إلا وحى يوحى . فبأت
لله تنوهد . وكتاب الله يعلمه . والحكمة التي ترها على قلبه يعط بها
بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه

ودكر الله الكتاب . وهه القرآن وذكر الحكمة . فسمعت من رضي من أهل
العلم بالقرآن بقول . الحكمة سنة رسول الله .

وهذا يشبه مقال والله أعلم
لأن لقرآن ذكر وأبعته الحكمة . وذكر الله مئة على حقه تنعيمهم الكتاب
والحكمة فلم يجر والله أعلم . يقال الحكمة هاها لا سه رسول الله .

وذلك أنها مفروضة مع كتاب الله . وأن الله اختص طاعه رسوله . وحرم على الناس اتساع أمره . فلا يجوز أن يدان بقول . فرض إلا لكتاب الله ثم سنة رسوله ما وصفتها من أن الله جعل الإيمان برسوله مفروضاً بالإيمان به .
وسنة رسول الله مبنية على الله معنى ما زاد دليلاً على خاصه وعدمه . ثم قرن الحكمة به بكتابه فأتبعها إياه . ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله .
هذه الصورة التي ترسمها الآية الكريمة التي صدرنا بها هذا المقام هي الصورة التي عليها سدد إبراهيم ودعى الله . سبحانه حينما كان يرفع القواعد من البيت وإسماعيل فقال عليه السلام

(ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ثلثو عنيتهم آياتك وعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) ^(١)

ولقد صدقت دعواه سيدنا إبراهيم ما قدره الله أولاً . لقد وافقت التعدير لإلهي الأرض الذي أوسعناه به أن يكمل ديني ويم لعمرة على المؤمنين . وأن يكون حاتم الأديان هو الدين الأرضي الذي لا دس سوره . وليس يرصده الله ولا يرصى غيره وهو الإسلام

(اليوم أكملت لكم دينكم . وأتممت عليكم نعمي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ^(٢)

(إن الدين عند الله الإسلام) ^(٣)

ولا يتأتى في عرف المطلق . وفي مصنف الحق . وفي مدته لعقوب . أن يكون الدين الواحد شيئاً آخر غير إسلام اللوحه لله .

ومدام لرسول ﷺ أن مسلمين . ومادام الدين عند الله هو الإسلام فالرسول إذن أول المتدينين عن الإطلاق . به وصل إلى . رحه التي سبق بها جميع من مضى . وسبق بها جميع أبناء عصره . وسبق بها من سيق بعد . به أول المسلمين في الماضي البعيد . والماضي الذي يتدنى منذ بدء الإنسانية .

وما من شك في أن آدم عليه السلام كان مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين .
ولقد كان نوح مسلماً ، ولكنه لم يكن أول المسلمين ، وهكذا كان الأنبياء جميعاً ،
صوات الله وسلامه عليهم من المسلمين ، ولكن لم يكن أحد منهم أول المسلمين .
وما كان يتأتى أن يكون أحدهم أول المسلمين ؛ لأن لدى الذي جاءوا به صوات
الله عليهم وسلامه - وإن كان إسلاماً - إن صورته مكاملة التامة للإسلام إنما هي
القرآن :

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَلْيُحْكَمْ مَصَدَقًا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمِهِمُ عَنْهُ ^(١))

ونقول سبحانه : (وَتَبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ^(٢)

وهو أول المسلمين في الحاضر ، وهو أَوْهَم في المستقبل إلى أن تتبدل لأرض غير
الأرض والسموات وإلى ما بعد ذلك من أيدي الله السرمديّة صوات الله
وسلامه عليك ياسيدي يا رسول الله

٢

يقول الله تعالى عن طابع رسالة الإسلاميّة وعن طابع الرسول ﷺ :

(وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ^(٣)

لقد كان إرسال الرسول ﷺ رحمة إذا نظر إلى الرسالة الإسلاميّة وكان
إرساله رحمة إذا نظر إلى شخصيته يقول صلوات الله وسلامه عليه
(إنما أنا رحمة مهداة)

لقد كان رحمة مهداه من حيث رسالة ، وكان رحمة مهداة من حيث
الذات

لقد كان يتسبب صلوات الله وسلامه عليه إلى الرحمن رسالة ، ويتسبب إلى
الرحمن صفات ، وكان يتسبب إلى الرحمن رسالة ، ويتسبب إلى الرحمن صفات ،

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧

(١) سورة المائدة آية ٤٨

(٢) سورة الزمر آية ٥٥

به رسالة وصفات سير في حياته سمى لله لرحمن لرحيم مشيراً الله لرحمن لرحيم
إنه نبي الرحمة وبها سالة الرحمة . والله سبحانه وتعالى قد ربي رسوله على عبه .
واصطدعه نفسه . فشأه على الرحمة . فهو صوت الله عنه وسلامه رحمه منذ
مبلاده

وبنا إذا أرب تعبيراً محملاً جامعاً لمعنى الرحمة اننى اتصف به نبي الرحمة وبنا
نحده في وصف السيدة خديجة رصواب لله عبيها للرسول ﷺ فيها وجاء الوحي
وحدثها به وقال لها : « لقد خشيت على نفسي » .

فالت رضى الله عنها فوراً
كلا ، والله ما يجربك الله أنداً . إنك تنصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب
المعتم ، وتقري الصيف ، وتعين على نوائ الحق .

ب هذا الوصف لصدوق للرسول ﷺ بما يعبر في كل حملة من حمته عن
الرحمة وهو وصف انسم به الرسول ﷺ طيبة حياته ولأية القرانية
(وما أرسلك إلا رحمة للعالمين)^(١) لاخصيص فيها ، لا من ناحية نوع
الرحمة ، ولا من ناحية موضوع الرحمة ، ويشرح هذه الآية في شمولها وعمومها .
يشرحها في دقة وفي عمق موقف كريم من موقف يتوحيه نبوى لقد كان
ارسول ﷺ . يتحدث عن الرحمة ، ويدعو إليها ، ويعرف بمنزلتها من الدين .
فقد بعص الصحابة ، صواب الله عليهم « إنا نرحم » واحداً وولاداً وأهيباً
هم يرص هذا القول رسول الله ﷺ لإيه فهم قاصر محدود لا يسعى أن يكون
عاماً شاملاً . به تفهيد لمطلق . ولذلك رد عليه الرسول ﷺ بقوله
« ما هذا أريد إنما أريد الرحمة العامة »

وما من شئ في ب من الرحمة رحمة الأرواح ، والأولاد ، والأهل وقد
حث على ذلك رسول الله صلوات الله وسلامه عليه
يبد أن ماأراده الرسول ﷺ إنما هو أن تتعمل الرحمة في انكيان الإنسان كله .
حتى تصبح . وكأن من فطره وخصته وحملته . فيكون الإنسان وكأنه نفس من

الرحمة لإيمه ينزهها يد سار ، وينزهها إذا جلس ، وينزهها فيما كان . وينزهها
حيثما حل

وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية رحمه
للعالمين

ولقد حقق الرسول ﷺ ، هذا الطابع بقوله ، وحققه بفعله ، ولقد كانت
الرحمة ، وهي طابع للرسالة الإسلامية هي طابع نصرهاته وخطوبه الخادثة لتأنيده
مخادثة لآي رب فيها قوله تعالى (ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في
الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة)^(١) وهي لما هزم الله المشركين يوم
بدر ، وقتل منهم سبعون وأسر سبعون أسشار لبي ﷺ يا بكر وعمر وعلياً فقد
"بو بكر يا بني الله هؤلاء سو العم والعشيرة والإحزاب . وبني أري أن تأخذ منهم
القدية ، فيكون ما أخذناه منهم قوة بنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا
لنا عضداً " فقد رسول الله ﷺ ما رى من أس الخطاب " قال فب والله
ما أرى ما أرى أبو بكر ، ولكي أرى أن تمكس من فلان (قريب لعمر) فأصرب
عنقه ، وتمكن علياً من عقيل ، فبصرت عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه يعني
العاس ، فبصرت عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هردة " أي ميل
للمشركين .

أما رأى الرسول ﷺ فقد كان معروفاً . يعرفه كل من عرف رسول الله وعرف
طابعه ، وعرف صلة هذا الطابع بطابع الرسالة الإسلامية . به أحد القدية . وقد
كان أبو بكر ، صلى الله عليه مثل الدس في لافداء رسول الله ﷺ فك
مخاهه من اتحاد رسول الله ﷺ

وهذا الاتحاد لرهبى العار أئده الله سبحانه بل راد عليه حتى خير رسول له ، وفي
بعد بأنه إذا وصفت الحرب وأرارها له أن يئن وبه أن تأخذ القدية
(فيما منا بعد وإما فداء)^(٢)

(١) سورة الأنعام آية ٦٧

(٢) سورة محمد آية ٤

وقيل بدر أحد رسول ﷺ لعداءه . فقد قادى في سره عند الله من حشش

فل بدر سحوا عام

فلما كانت بدر سار لرسول ﷺ على سنته ، وتصرف مستهما طامع رسالة
الى أرسله الله بها . ولكر بعض الصحابة رضوان الله عليهم نظرا في موضوع عداء
طرفة مادية ، وأحد في تقدير مقدرة ورثا وكلا وقيمة ومقدرا وكما وكيفا . وأحد
في تكيف العدة بحسب المعنى والحق . بعض الصحابة نظرا في المسألة طرفة
مادية ، فنزل قول الله . سبحانه وتعالى مصححاً الوضع هؤلاء الذين لم يصنعوا
للأمور في وضعها الصحيح ، ولم يربوها بميران التوجيه الإلهي

يقول الخطيب القسطلاني في كتابه « بواهب تدية » في ذلك « فيه بيان
ما حصل به وفصل من بين سائر الأسياء عليهم الصلاة والسلام ، فكأنه قال ما كان
ينبغي غيرك » اهـ

ويقول القاضي بكر بن علاء « أخبر الله تعالى بيه في هذه الآية أن تأويله
وافق ما كتب له من إحلال المناثم والعداء » اهـ .

والتوجيه الإلهي في حاشية رسالات سماء أنها رسالة رحمه ، ورسالة الرحمة
ميرب وخصوصيات تفصص عن الرحمة نفسها . وما كان ينبغي من قبل بني الرحمة
أن يكون له أسرى حتى يشحن في الأرض في كانت رسالة رحمة ، وما كان ينبغي
لرحمة - أوح الله به ، التصرف بحسب الرحمة ، وهو لعداء ، ثم رده بكرماً على
نكرته حيث رده رحمة على رحمة . فجعل به خيار بين الم والعداء

وإن كل طرفة تفصص عن هذه اسطرة وتصدر عنها لائزى ولا تحصى ولا تشع
بالجذب لادى ، ولككم ياهؤلاء الذين نظرتهم طرفة المادية تريدون عرض لديب
وتتحدونه مقياساً ، إنه ليس بمقياس إن اعادة يست في موازين الله مقياساً ، فإن
الله يريد الآخرة . ويريد للدين آموا به ورسوله أن تكون مقياسهم مستمدة من
كتاب الله ومن توجيهات رسوله ﷺ (لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة)^(١) وإيه لمن انفصال الله عن رسوله أنه سبحانه لم يقل « أسوة »

وحسب إنما قل «أموة حسنة» ، وقال سبحانه

(أموه حسنه من كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) (١)

ثم إن الله سبحانه مأمور لمسلمين برد الهدية ، وما كان أسر ذلك ، ولم ينقص الله سبحانه ما أمره رسوله المرأ عن أن يسير إلا على بصيرة ، والمبره عن أن يهدى إلا إلى الصراط المستقيم صراط الله

هذه المعطرة الرحيمة حملت الرسول ﷺ . على أن يكفح طيبه حياته في غير تور ، ولا هوذة لهدية الإنسانية وبإسعادهم . لقد كان ﷺ ، يشق على نفسه في سبيل ذلك ويحمله من الأمور مالا يتطيق حتى لقد قال الله له .

(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) (٢)

وقال سبحانه (فاعبث باجمع نفسك على الثا، هم إن لم يؤمنوا بهد الحديث أسفاً) (٣)

ونقد رسم الرسول صلوات الله وسلامه عليه موقعه من الناس ومثله بموقف رجل يحارب من استطاع أن يجمع لباس عن البردى في دار يهتفون على الاحتراق فيها ، ولعل الحادثة الثانية تصور بعض حواش التريية برحيمة التي كان يسعدها لرسول ﷺ في سبوكه مع الناس وهي وإن كانت حصة برجل معين ليست كفصوره عنه بل لها صفة العموم

جاءه أعراي يوماً يصب فيه شيئاً فأنعاه ﷺ . ثم قال به مستفسراً متودداً أحسنت إليك ؟ فقال الأعراي لا . ولا أحسنت . فعصب لمسلمون ، وهموا إليه ، فأشأ إليهم الرسول ﷺ أن كفوا . ثم هم ، ورجل منهم . وأرسل إلى الأعراي ، ورأده . ثم قال : أحسنت إليك ؟

(٣) سورة الكهف : ٦

(١) سورة الأحزاب : ٧١

(٢) سورة طه : ٨

فقال الأعرابي نعم فحراره الله من أهل وعشيرته حيراً ، فقال له النبي ﷺ
 بيت قتلت ماقلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك . فإن أحب فعل بين
 أيديهم ماقلت بين يدي ، حتى يذهب من صدورهم ماها عليها
 وتحدث الأعرابي إليهم ، وطرب أنفس أصحاب رسول الله ﷺ . بقول
 لأعرابي فقال صوبت الله وسلامه عليه هذا التعقيب الرنج

هـ : بين معنى ومثل هذا الأعرابي كمثله . حل كنت له ناقة شردت عنه ، وسعها
 ساس . فلم يريدوها إلا يور . فنادهم صاحب الناقة أن حيوا بي وبين نافقي .
 فبى زهو هـ وعيم . فتوجه إليها صاحب ناقة بين يديها فخذ لها من قدام
 الأرض . وردّها هوناً هوناً . حتى جاءت وسبحت . وشد عليها رحمتها .
 وسوى علي

وأي تركنكم حيث قل ارحل ما قال يستنمود دحل ناره هـ
 لقد كاتب نفس رسول الله ﷺ رحيمه حتى مع الأعداء
 لقد قيل ه يوم أحد . وهو في أشد المواقف حرجاً . وعنتهم برسول الله
 فقل صوبت الله وسلامه عليه : لا يبعث رحمة . ولم أبعث بها

وكان د سئل أن يدعو عن أحد عدل عن دعاء عليه إلى اندعاء ه ناهدائه
 والصلاح . وكان يريد باستمرار أن يشعر المسلمون بل أسس على وجه عموم
 مايتطلف من بينهم . سئل مرة أي الناس أحب إليك ؟ فقال نفع الناس
 للناس . وسئل أي لأحب أقص ؟ فقال إدحار سرور عن المؤمنين وقال
 أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . وأطعمهم بأنهم

وكانت رحمته صوبت الله وسلامه عليه عده . شامه . حتى لقد سالت
 خيول لأعجم لقد قل بحث على النصفه بخيول . أسما رحل يمشي فاشتد
 عليه العطش . فحل نثر فشراب مه . ثم حرج مه . فإذا هو نكلك بهت انثري
 (نكل نثرى من شدة عطش) فقال لقد بع يد نكلك مثل يدى بلع بي .
 فلا حقه . ثم فسكه به . ثم رى . فسق نكلك . فشكر الله ه ففصر له قايوا

بارسوں نے ویران فی السہائم اُحرًا ہوں (معم) کہم فی کل دت کند دطہ
اُحر

وقان ﷺ «دخلت الدار امرأة في هرة حسنها ، فلاحى طعمتها وسقها ،
ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض»
نقد كان ﷺ رحمة وكن رحمة للعالمين

الكتاب الثالث

السنة الشريفة ومكانها

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله رب العالمين

يقول الله تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ^(١)
ويقول سبحانه : (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم
عنه فانتهوا) ^(٢)

ويقول : (فلا ، وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ، ثم لا يخلدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا
تسليماً) ^(٣) .

وفي حديث صحيح يقول انقذام بن معدى كرب : « حرم
رسول الله ﷺ أشياء يوم حبر ، منها اخبز الأهل وغيره ، فقال
رسول الله ﷺ : يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته
يحدث حديثي ، فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فأوجدنا فيه
حلالاً استحلتناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرمتناه . وإن ما حرم
رسول الله كما حرم الله »

(١) سورة النساء : ٨

(٢) سورة الشورى : ٧

(٣) سورة النساء : ٦٥

تمهيد

يحب انقرء عادة أن يعرفوا شيئاً عن ظروف تأليف الكتب التي يقرءونها لأن ذلك يضعهم في جو يمهّد لهم تقدير الكتاب في صورة أعمق حيث عرفوا الظروف والملاسات ، ولأن ذلك يقرّبهم من جو الكتب حصصاً ، ويدخلهم نوع ما في محيطه الخاص ، فتكون بينهم وبينه - على البعد - بعض أسس الألفة ومن أجل توصيح ذلك أكتب هذه المقدمة - إن سبب دعوة الحسني إلى ترقى الأخلاق لدى تجرّى وراءه الإنسانية لمهدة ، إنها دعوته إلى التآحر أن يكون صدوقاً ، فيحشر مع انبياء والصديقين والشهداء

وإلى تعامل أن يتقرّ عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقّه وإلى الصانع أن يؤدي العمل كما يحب حيث أحد الآخر ، ومن أحد الأجر حاسه الله على العمل

وهي دعوة إلى الأب باعتباره أباً ، وإلى الأم في وضعها كنم . وإلى الأخ في مهمته كنح ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع أن يرفع كل منهم ما وكن إليه من أمر رعيته ؛ لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وهي دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث إنه لا يمان من لا أمانة له وإلى الصدق . وإن رحل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإلى الرحمة . الرحمة العامة الشاملة ، وصواب الله وسلامه على من قال وإما أن رحمه مهدة

ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »
رحم أي خلق كريم تسمى أن سير عيه المجتمع - فتجد في السنة دعوة إليه
بوسيلة ما

وهي في هذه الدعوة تنه دائماً إلى دور الأمة الإسلامية في الأخلاق العلية
إن دورها إنما هو دور الرائدة الزراعية ، وعلى رائد دائماً أن يكون مثل الأعلى
والأسوة الكريمة ، والقُدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ﷺ ، بصورة حية ساطقة لي صلب كمبادئ
إنسانية محكمة الخلق الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ، والذي عبرت عنه
السنة أجمل تعبير وأبلغ

ومن أجل هذا التقدير الكريم بسنة الشريعة كان العلماء المستبصرين في كل
عصر يهتدون من أحله . ومن أجل مكارم الأخلاق التي تفرع عنها ، وكان
هؤلاء العلماء أعماء أسسه يعرفون بسيماهم ، فقد كانوا من الرهبة في حضم
الدين بحيث لا يثارعون الناس في دينهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين . وكانوا مشغولين عن الله
بمعرض الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن سلطان عن يده السطوط يؤتمنه
من يشاء وينزعهم ممن يشاء مالمالك المثلث دى الخلال والإكرام
وكانوا صادقين ، فقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحجة ، وصابرين على العمل لقد أقاموا سائرهم ،
وأسهروا ليلهم عملاً على مرصاة الله ورسوله ﷺ

ولمثل الذي يحب الله وسيفه كصوة هؤلاء عوام هو الإمام أحمد بن
حسب رضي الله عنه ، إنه المحدث الذي حاول أن يكون صورة صادقة ما كان عليه
الرسول ﷺ في الراوية الأخلاقية

وسيرة الإمام رضوان الله عليه مثل أعلى في التمسك بما يراه حقاً وفي نصر على
ما يراه في سبل التمسك بالحق

على أن كل من تشع بالنسبة حقاً ، هو صورته قريبة بقدر المستطاع من الإمام
أحمد

ولقد كان الإمام البخاري وغيره ممن أشرت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة
للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة لخلق لكريم هدف دائماً لهذه الأئمة التي استواه
الشیطان في قتل أرقى كثير ، إنها التراع لدايم بين الفصلة وأصحابها ، وبين المشين
لتزعجات الهوى والصلال .

ولولا وجود هذه المثل العسا لمكرم الأخلاق في كل عصر لفقدت الإنسانية
الحقة بتعبها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر ،
لقد ربت السة رجالاً ، وحصائصها نبي ربت ٣ الرجال قائمة بها ، لأنها من
طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت سمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم
ثقتها وتقديرها :

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام المحرى ، وإن أمير المؤمنين في
الحديث الإمام سببا ثورى ، وأمثال هؤلاء رضى الله عنهم مبارات يهتدى بهم
عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد إذن من العمل على نشر السة وإداعتها ، ومحاولة الإكثار من النفوس التي
تنشرها وتحققها وتمثلها ونجهاها
لا بد من نشرها وطية .

ولا بد من نشرها إسمانية : لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنسانى
ولا بد من نشرها دنياً
ولا بد من نشرها دوقاً أدبياً

ولا بد من نشرها للثروة المعوية ، ومن أجل ذلك تكونت « دار الحديث »
وهي دار أسست على التقوى من أول يوم

ولقد دعا إليها السيد/ حسن عباس زكى (وزير الاقتصاد) واستجابت له
طائفة من العاملين في المحامى الدينى

ولقد ظهرت الدار من أول أمرها بتشجيع ولاية لأمرور ، لقد طهرت بوعده من
السيد نائب رئيس الوزراء/ شهابه والإرشاد أن يمسح لها محلاً في « التليفزيون »
لبرنامج أسبوعى بعنوان « من هدى الرسول ﷺ »

وبوعده من السيد نائب رئيس الوزراء للأوقاف أن يساعدها لمساعدة المعالة

التي تحمل الدار في سعة من حيث طبع مآثره صاحباً لشعر اسنة ، وتدعم حوها
الفكرى والروحي واللعوى :

وما من شك في أن للسنة جواً فكرياً فالرسول ﷺ يتحدث عن إصلاح
المجتمع ، وعن عوامل الهدم التي تعمل على تقويضه وعن عوامل البناء التي تعمل
على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث عن النظم التي يسعى أن تسود لمجتمع
الإنسانى ، وعن الأوصاف التي يجب أن يستقيم

وللسنة جو لغوى فالرسول ﷺ قد وفى حوامع الكلم ، وكلامه ﷺ أبلغ
الكلام لشئى ، وبشر لسنة عامل من أهم عوامل على رقية للغة التي يكتب بها
لكتاب . وعلى وضع الأدب والشعر في وضع أدب ممتاز من حيث اسعة ، ومن
حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحى إنما تهذيب نفس ، وتربية للروح وهو بالأخلاق إلى
درجة لانجاري ، وعيسى عليه السلام عن من قال .
« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »
ورحم الله (شوقي) إذ يقول .

« إنما الأثم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبو
ومن أحل ذلك كله كان بشراً سيئاً دساً ، وعملاً اجتماعياً كريماً ،
وواجباً وطنياً حتمياً ، وإصلاحاً أخلاقياً سامياً »

وهو على كل حال ضرورة وصية ملحة في عصر نحاول ردلة فيه أن تعمم
الاحلال الحقيقى في كل أسرة وفي كل بيت . ويحاول بمسار أن يأتى على مقدسات
الأمة ومقوماتها . من عرض وشرف وكرامة

ومن أحل كل هذه المعاني أيضاً تكونت « دار الحديث »
وعود فصول ريادة في الإيصاح ، ب « دار الحديث » لم تتكون كدار
للبحث العمى فحسب وما من شك في أن البحث العمى في السنة من أهم
أعراضها . وإنما تكونت من أجل

النس في اسنة : أى تلاعبها وحبها

ومن أجل الأخلاق في لسة

ومن أجل التشريع وبيان التشريع

وتكونت حيا في صاحب السة صلوات الله وسلامه عليه بذي رسم نسوكة

ونفوه أسمى ما يمكن أن تصل الإنسانية إليه في مختلف عصورها

لقد أحب الله للإنسانية مثلاً أخلاقياً كريماً رسمه سبحانه في القرآن الكريم قولاً ،

وكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة لرسم الإلهي ، وكان بذلك الإنسان
كامل

لقد كان بشراً الأعلى في الرحمة ، والمثل الأعلى في الكرم والمثل الأعلى في

الصبر ، والمثل الأعلى في محامد المتقين ، والمثل الأعلى في الصدق ، في الإخلاص ،

في الوفاء ، في البر ، في الكرم

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله .

(وذلك لعلي خلق عظيم) لهم / ٤

ولأدب في أن الأمة الإسلامية حين تقتدى بالرسول ﷺ ، بما تقتدى

بأعظم البشر رحولة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به (لقد كان لكم في رسول الله

أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) الأحزاب / ٢١

وإن العمل على نشر السة بما هو بوحيه للاقتداء بالرسول ﷺ

الفصل الأول

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً)

«سورة مائتة من آية ٢٨»

مخاتم الأنبياء

بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ الْكَرِيمِ .

(وما أرسماك إلا كفة للناس بشيرا ونذيرا) سدا/ ٢٨

وما كانت هذه الرسالة لعامة لأحد من أرسل من قبله موسى عليه السلام
أرسل سي إسرائيل خاصة ، لهد اقتصر دعونه على بني إسرائيل مدحاً أنه حينما
ذهب هو وهرون عليهما لسلام إلى فرعون قال له :

(يا رسولاً ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل) طه/ ٤٧

شوسی دھب إلى فرعون بیرسل معہ سی اسرائیل . ولم نکافح سیدنا موسی
الشعوب ، أو الأمم فی سبیل دعوته .

وعيسى عليه السلام . كما أرسل في « حراف بن إسرائيل الصده » ، على حد
تعبيرهم القديم وم يخاون سيد عيسى . ن سحر بدعوته خارج فلسطين . ولم يحاول
أن يحاهد من أهلها

أما رسول الله ﷺ فإنه أرسل إلى الناس جميعاً من حيث المكان . وأرسل إليهم جميعاً من حيث الزمان فهو الرسول الدائم زماناً ومكاناً . « قل يا أيها الناس إني رسول الله ليكنم جميعاً »

وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب لى أمره على رسوله ﷺ صلباً هذه
العموم فى الزمان وفى المكان وتحقيقاً له ، (بما يحسن الذكر وإياها له حافظون)
الحجج ٩

ومن أجل هذا لم يعد حفظ الوحي كاملاً غير منقوص صحيحاً غير مريب
كانت الحكمة الإلهية في أن لا يساند لا يحتاج إلى رسول بعد الرسول ، ولا إلى نبي
بعد نبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه حاتم الرسل ، وحاتم الأنبياء
ولقد امتزج رسول الله ﷺ برسائله الخالدة ، فكان هو هي شرحاً وتفصيلاً
وكانت هي هو بياناً لمعاني وجوهره ، وخلافة له ، ونبوة عنه

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها «لقد كان حققه القرآن»
وهذه الكلمة من سيدة عائشة رصوب لله عليها تحتاج إلى تحديد وبيان ذلك
أن القرآن يحدد الخلق بكرم في حده لأدى ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وإنما يرسم
القسم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى لسانها ، ونقود إلى لمشارف نعيمها من
درجات المقربين

فهي تريد سيدة عائشة رصوب الله عليها حينما تصفه صلى الله عليه وسلم بأن حققه القرآن
هل تريد الخلق الكريم في حده لأدى أو نريده في حده لأوسط أو نريده في حده
لأسمى ؟

إن نقرأ أن يحدد الدرجة التي وصل إليها لرسول صلى الله عليه وسلم من خلق القرآن
فيقول ، سبحانه لرسوله ، صلى الله عليه وسلم (وايث على حق عظيم) القلم ٤
هذه الآية القرآنية الكريمة تحدد درجة الأخلاق انقرآنية نبي وصل إليها الرسول
صلى الله عليه وسلم إنها ذروتها وسامها

أول المسلمين .

ونقد فإن صلوات الله وسلامه عليه
«إني بعث لأتمم مكارم الأخلاق»
إنه صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم لمكارم الأخلاق ليتمم بداته سلوكه وليتممها بقوله
برساته

إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتمم مكارمها
ومكارم الأخلاق م تكرر قبل لرسول صواب الله وسلامه عليه قد
نمب . إن أول المسلمين م يكرر قد وجد بعد ، وكانت سدك مكارم الأخلاق
ناقصة ، كان ينقصها أكم صفة لمكارم الأخلاق ، وهي إسلام انوجه لله إسلاماً
تاماً . إن الكائنات لم تكرر قد رصت لا في نبي مرس ، ولا في ملك مقرب -
إلى الدروة من إسلام الوجه لله

والدعوة من إسلامنا بوجه الله ، أو أول المسلمين ، والتعريف سواء - أي هي الدعوة من مكارم الأخلاق .

إيه نكائر الرباني ، إيه أول المسلمين ، أولهم بإطلاق ، أولهم بالنسبة للملائكة ، وأولهم بالنسبة لبني آدم ، أولهم قديماً إلى الأبد . إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد .

وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة . كان يكون مادة ومعنى ، كان ينقصه أن تتعطر أرضه بأركي الأحساد ، وأن يتعطر حوله بأركي الأرواح ، وكان لا بد من وجود كائن بهذه المثابة يكمل لله به الدين ، ويم به النعمة ، ويرضى رسالته دياً عاماً خالداً للإنسانية جمعاء . هو إسلامه الوجه لله .

وسرل القرآن محمداً إسلام الوجه لله وسائل ، ومحمداً إسلام الوجه لله عايت محمداً إسلام الوجه لله طرقاتاً وساليب ، ومحمداً له بواعث وأهداف ومن بها كان من ينتهي غير الإسلام دياً لا يقبل منه . يقول الله تعالى : (ومن ينتع غير الإسلام ديناً هل يقبل منه)^(١) وكيف يقبل منه ميساق إسلام الوجه لله ؟

إن إسلام الوجه لله هو الدعوة من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر الدين ، إيه الدين القيم ، إيه الدين الخالد ، وابنص بوحيد ، نص الإلهي الفريد في العالم كله الذي يبين كيفية إسلام الوجه لله - إنما هو القرآن . وإد وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله كان بذلك في دعوة الإنسانية ، وفي الدعوة من مكارم الأخلاق ويتعدت الناس في إسلام وجوههم لله ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول المسلمين ، فكان رسول الله ، ﷺ أولهم بإطلاق مطلق .

(قل إن صلاتي وسكوتي ، ومحاي ومانى - لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)^(٢)

ولم يصف القرآن بأول مسلمين شخصاً آخر غير الرسول ﷺ ومكارم الأخلاق لا يحددها من حيث التشير بها مكان ، ولا يحدها زمان ،

بل لا ينجدها عام من عوالم الله في الأرض أو اسماء ، ومن أجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين

يقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) الأنبياء ١٠٧

من مكانة الرسول ﷺ عند ربه .

ورسول الله ﷺ - لأنه يمثل الأخلاق القرآنية في ديوتها وسميها - جعل الله سبحانه وتعالى له مكانة خاصة بين المسلمين فهو صوب الله وسلامه عليه لأنه يمثل عز وحفه . وأصبح قرآناً - أصبح بذلك يمثل الحق يقوه ، ويكفل الحق بعمده فلا يظنق عن الهوى ، ولا يعمل بالهوى

يقول الله تبارك وتعالى به معبر عن هذه الحقيقة أروع تعبير (وبيد هدى إلى صراط مستقيم صراط الله) شوري ٥٢ ٥٣
ويقول الله تعالى لرسوله ﷺ (قل بي هدى إلى صراط مستقيم . دينا قيماً) الأنعام ١٦

من إن صريق الدعوة نفسه كان صلوات الله وسلامه عليه سيره معصوماً ، وكل من يسير في الدعوة على نسقه إنما يسير معصوماً بعصمة الرسول ﷺ ، حتى مسحها الله تعالى به . (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن تعني) يوسف / ١٠٨ .

ودعوه ، ذ وطريق دعوه يسير فيها على هدى ، وعلى نور من ربه . ولدت فإن (من يطع الرسول فقد أطع الله) النساء ٨٠

ويعلم الله سبحانه الحكيم تعميماً ، وبصفه إطلاقاً ، فيقول سبحانه (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ، الحشر / ٧
ويقول تعالى : (وإن تطيعوه تهتدوا) النور / ٥٤

واتباع الرسول ﷺ علامة على محبة الله تعالى لمن يتبعه وسبب في حبه تعالى له

(قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحكم الله .)^(١)

إن حب العبد لله لا يفد مالم يتحد العبد الوسيلة لناحية ذلك ، وهذه الوسيلة هي : اتباع رسول الله ﷺ .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي ، روه الإمام البخاري : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » وما يراى عهدي بتقرب إلى بالواهل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيه ولن استعادي لأعيدته »
وهذه لواهل التي ذكرت في الحديث الشريف ، والتي إذا كثر الإساءة لها بعد أداء الفرائض أحبه الله ، أي هي سلوك رسول الله ﷺ ، إنها طريق رسمه صلوات الله عليه وسلامه بقوله وعمله ، إنها سمة صلوات الله وسلامه عليه التي سها ، ليبدل الإساءة بها محبة الله سبحانه

من مكانة رسول الله ﷺ عند ربه أيضاً

وأحب الله سبحانه رسوله ﷺ ، وكان هذا الرسول بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول صلوات الله عليه وسلامه عبوديته التامة درجة أول المسلمين ، كما سبق أن ذكرنا .

ولما كان أول المسلمين ، وكان حبيب الله وبيه ورسوله ميره الله ، سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه خيرهم ، وهذا التمييز لا يجرحه صلوات الله عليه وسلامه عن البشرية ، فهو بشر وهو خير البشر . ومنتهى لقول فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم ، ولأنه خير البشر بقول الله تعالى محطاً للمؤمنين

(لا تأخروا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) النور / ٦٣

إن الإساءة الذي حصه الله بالوحي ، واحتشاه لرأسه ، واصطفاه ليكون باسمه ، سبحانه بشيراً ونذيراً - إن هذا الإساءة لدى فضله الله على العالمين يجب أن يعرف له مكانته وسرته في الشرف لدى أمره الله فيه ، إن هذا السراح المير ، إن

هذه الرؤوف الرحيم - يسمى ألا يدعى كمي ندعى ريد وعمرو : بمعنى لاسادوه
باسمه تقولوا يا محمد ، ولا تكتبه فتصوبوا يا أبا الصمم بل نادوه وحاصوه
بالعظيم ، والكريم وثوقير بن تقولوا يا رسول الله ، يا بني الله ، يا إمام المرسلين ،
يا رسول رب العالمين ، يا حاتم السبيل ، وغير ذلك .

واسمعيده من هذه الآية كما يقول الشيخ الصاوي في حاشيته على تفسير
الحلايين أنه لا يجوز نداء النبي بعير ما بعيد للعظيم ، لا في حياته ، ولا بعد وفاته .
فهذا يعلم أن من استنصف بحبائه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة ، هـ
ويقول الله سبحانه في أول سورة الحجرات .

(يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي لا تقدموا بأمر من الأمور
قولاً كان أو عملاً إلا إذا أذن الله ورسوله وكل أمر قولاً كان أو عملاً أتاه الإنسان
بدون إذن الله ورسوله فإنه لا يقع على السن المستقيم .

يقول الصحاح عن حديث هو عام في القتل وشرائع الدين . أي لا تقطعوا أمر
دون الله ورسوله

(واتقوا الله إن الله سميع عليم) الحجرات / ١
(يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض) الحجرات / ٢ .

واحذروا إن فعلتم ذلك (أن تحط أعمالكم وتنت لا تشعرون) الحجرات / ٢
(إيا الذين يعصون أصواتهم عند رسول الله وثلك الذين منحس الله قلوبهم
للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) الحجرات / ٣ .

أما هؤلاء الذين أساءوا الأدب دون أن يقصدوا فأخذوا بدعوت من وراء
الحجرات مدعاة الأعراب الأحلاف في عقولهم في لأعلب الأعم باقصة
(إيا الذين يدعون من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى
تخرج إليهم كما كان خيراً لهم ، والله عفو رحيم) الحجرات / ٤ .

على أن مجرد الرعة في الحديث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج تنبيهاً إلى تقديم
صدقة ، يقول الله تعالى في سورة المجادلة :

(يأيها الذين آمنوا إذا سحى الرسول فقدموا بين يدي بحواكم صدقة . ذلك خير لكم وأظهر . فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) المجادلة / ١٢
وتدل الآية النكرمة على أن ترك تقديم الصدقة ثم ، لأن من لم يجد لصدقة فإن موقف الله سبحانه به عدم قدرته المعصية والرحمة . ولا تكون المعصية والرحمة إلا على إثم أتاه الإنسان

وعلم نوع الاستطاعة سبب في معصية الله سبحانه

(أشفقتم أن تقدموا بين يدي بحواكم صدقات) المجادلة / ١٣
ويدا حملكم خوف فقر على ألا تفعلوا . وإذا قادكم انصعب الإيسى إلى لا تفعلوا ذلك ، ثم بدمتم واستغفرتكم فتدركوه حتى يتوب الله عليكم . وأثبتوا حسن بينكم . وصنعاء سريرتكم . بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل ، وتزوتوا الركعة طيبة ٣ هوسكم . وتطعوا الله ورسوله في الصغير والكبير ، وما من ريب في أن الله سبحانه خير بكل ما تعملون

يقول تعالى (أشفقتم أن تقدموا بين يدي بحواكم صدقات ، فإذا لم تفعلوا ، وثاب الله عليكم فقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطعوا الله ورسوله ، والله خير بما تعملون) (١)

وبعد فيقول رسول الله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»

ويقول الله تعالى

(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) (٢)

هذا جانب من مكانة رسول الله ﷺ لئن أحبب الله به ، ولئن به عليها سبحانه في كتابه العزيز

طاعة رسول الله من طاعة الله .

وجانب آخر أحبه الله تعالى لرسوله يريد أن يبيحه وهو أن الله سبحانه وتعالى قد

فرص طاعة رسوله ﷺ مفروضة بطاعته ، بل لقد ذكره الله سبحانه وتعالى وحده باعتبارها فرضاً

ويقول الله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ صلاباً مبيناً)^(١) ويقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ورسوله إذا دعاكم لما يحييكم)^(٢)

ويقول سبحانه : (قل طيعوا الله وأطيعوا الرسول ، فإن توبوا ، فإن الله لا يحب الكافرين)^(٣)

وفي هذه الآية الكريمة إشارة إلى أن الإعرص عن طاعة الله أو عن طاعة الرسول كفر وما من شك في أنه كفر ذلك أن الإيمان من أركانه الإيمان برسول الله ﷺ ، وأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استحقاقاً أو جحوداً وبكراً ، أو عناداً ومردة - ذلك كله كفر يخرجه المعرض عن دائرة الإسلام

يقول الله تعالى في طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حجة يفرضها بالحديث .

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا تجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً)^(٤)

ويقول تعالى : (فليحذر الذين يخافون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم)^(٥)

ويجعل سبحانه وتعالى طاعة الرسول ﷺ طاعته فيقول سبحانه (من يطع الرسول فقد أطاع الله)^(٦) ويجعل بيعه صولات لله وسلامه عليه بيعة الله ، فيقول سبحانه

(٤) سورة النساء آية ٦٥

(٥) سورة البقرة آية ٦٣

(٦) سورة النساء آية ٨٠

(١) سورة الأنعام آية ٦٩

(٢) سورة الأنعام آية ٦٤

(٣) سورة آل عمران آية ٣٢

(إِن تَذِبْنِ يَٰيَا يَعْقُوبُكَ يَدَ ٱلَّذِى يُدْعَىٰ عَلَيْهِم مِّن مَّكَثٍ فَإِنَّهُ مَكَثٌ
عَن نَّفْسِهِ . وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن خِزْيٍ عَظِيمٍ) ١
وطاعة رسول الله ﷺ يد هي فيما افترضه الله سبحانه أو منه ، وفيما افترضه
رسوله صلوات الله عليه وسلامه أو منه .

وقد تابع لرسول الله ﷺ قرآن الكريم في سائر لمرة أسسه ووجوب تدعاه ﷺ
فيما منه ، ولقد حث رسول الله ﷺ على تسمع السنة وبشرها . فقال فيما رواه
أبو داود والترمذي عن زيد بن ثابت «نصر الله وجهه مرئ سمع مقاني ، فحفظها
ووعاها ، فأداهها كما سمعها ، فرب سمع أوعى من سامع »
وروى في معناه من طريق آخر «رحم الله امرأ سمع مقاني فأداه كما سمعها .
فرب سمع أوعى من سامع » .

وكان رسول الله ﷺ يأمر صحابة أن يسمع شاهد منهم العائب فيقول فيما رواه
أبو بكر : «ألا فليسمع الشاهد منكم العائب » .
ولقد روى الحاكم وأبو يعقوب أن رسول الله ﷺ قال «ترك فيكم أمرين لن
تصلوا ما عنكم بهما . كتاب الله وسنتي »

ويقول رسول الله ﷺ ، في حطية الوداع «إيا الشيطان قد يئس أن يعبد
نارصكم ، ولكن رضى أن يطاع في سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذرو ،
إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به كنتم تصلونها أبداً . كتاب الله وسنتي »
ويبين رسول الله ﷺ ، في رواه البخاري عن أبي هريرة أن المسلمين
سيدخلون الجنة إلا من لا يرجع منهم في ذلك

يقول ﷺ «كل أمي يدخل الجنة إلا من أئى » قاتوا يا رسول الله ومن
يأئى ؟ قال «من أصدعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أئى »

مكانة السنة من القرآن .

وسنة رسول الله ﷺ ، لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع .

إنها المصدر الثاني - بعد القرآن - للإسلام ، إنها المصدر الثاني للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره تشريعاً ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره أخلاقاً ،

أما منزلتها بالنسبة إلى القرآن فإنها على حسب ما يقول الإمام الشافعي « وسنة رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان :

أحدهما . نص كتاب ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله

والآخر حملة بين رسول الله فيها عن الله معني ما أراد به الحمله ، وأوضح كيف فرضها عاماً ، أو خاصاً ، وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلاهما ابع منه كتاب الله

وفي كلمة أخرى يبين الإمام الشافعي بوجهين فيقول « أحدهما ما أنزل الله منه نص كتاب ، هين رسول الله مثل ما نص الكتاب والآخر مما أنزل الله فيه جملة كتاب ، هين رسول الله معني ما أراد » وهذا الوجهان لم يختلف فيهما أحد من الفقهاء ولا من المحدثين ، يقول الإمام الشافعي : « وهذا الوجهان ابدال لم يختلف فيهما »

والوجه الأول بين بنفسه

إنه من الواضح أن رسول الله ﷺ كان بين القرآن عقيدة ، وشرعية وأخلاقاً على وجوه شتى ، وعلى أنحاء مختلفة ، وعلى أسباب تختلف في الأيجار والإسهاب ، بحسب حالة المخاطب ، يقول الله تعالى

(وأمرنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (الحل / ٤٤)

رسول ﷺ كان يبين للناس ما نزل إليهم بسبوكه ومثوله ، وبإقراراته ، يقول

صنوت الله عليه وسلامه « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه »
ولكن بيان رسول الله ﷺ كان يشتمل أبصاً على بيان ما أحمل في كتاب الله ، وهذا الوجه كثير في السنة .

يقول الإمام الشافعي ، رضى الله عنه . قال تبارك وتعالى
(يا الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) النساء / ١٠٣ .
وقال (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة / ٤٣
وقال . (وأنعموا الحج ، والعمرة لله) البقرة / ١٩٦

ثم بين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقبها ، وسننها .
وعدد ركعاتها ، وانركاة ومواقبها ، وكيف يحمل الحج والعمرة ، وحيث يرول هذا
وشت ، وتختلف سنه وتنطق ، ولهذا أشاه كثيرة في القرآن والسنة ، اهـ
وقد كان رسول الله ﷺ بين كيفية نصلاة بقوله وعمله ، كان بين
أوقافها ، وأركاها ، وعدد ركعاتها ، وافتتاحها ، وترتيب حركاتها بعد الافتتاح
ويقول ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي »
وسمى رسول الله ﷺ مناسك الحج . أركته ، وواجباته ، وسننه ، ويقول
« احدثوا عني مناسككم »

وفرص الله . سبحانه وتعالى لركاة ، ولم بين مقاديرها ، ولم يذكر بالتفصيل
الزروع والشجر والأموال التي يجب فيها الركاة ، ليس رسول ﷺ ذلك كله وطقه
ولقد سباسة القاتل لا يرث ، وأن وصية لانكون في أكثر من شئت ،
وإن الدين يقدم على الوصية ، هذا وكثير غيره مما يسته السنة .

عن عمر بن حصين رضى الله عنه أنه قال لرجل يريد أن يقتصر على القرآن
دون السنة إليك امرؤ أحمق ! أحمق في كتاب الله الطهر ربعا لا يجهز فيها ، لقراءة ،
ثم عدد عليه نصلاة وركاة ومحوه ثم قال أحمق ذلك في كتاب الله مفسراً ؟
كتاب الله أنهم هدا ، قال والسنة تفسر ذلك

ولقد قيل لظرف بن عبد الله بن الشحير لا تحدثونا إلا بالقرآن

يقال . والله ما ينبغي بالقرآن بدلاً . ولكن يريد من هو أعلم بما بالقرآن
ويصور الإمام لشاهي رضى الله عنه «ومن قبل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما افترض الله من طاعته .»

مكانة السنة من التشريع

ورسول الله ﷺ ، يشرح - عن الله تعالى - فيما لا نص فيه من كتاب الله
روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم أن رسول الله ﷺ بعث
معاد بن جبل رضى الله عنه إلى ليم فقال له «كف تفصي إذا عرص لك
قصاء ؟»

قال - أقصى بكتاب الله

قال : «فإن يكن في كتاب الله ؟»

قال - فسنة رسول الله

قال . فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟

قال - أجهد رأيي ولا آلو .

فصرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : «الحمد لله الذي وفق رسول رسول
الله ﷺ لما يرضى رسول الله .»

وسيد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في رسالته في لقضاء إلى أبي موسى
الأشعري رضى الله عنه لتي بدأها بقوله . «سلام عليك . أما بعد فإن القضاء
فريضة محكمة وسنة متعة .»

يقول سيد عمر في هذه الرسالة «الفهم الفهم في تلخيص في صدرك لما ليس
في كتاب ولا سنة .»

فجعل سيدنا عمر السنة مصدراً من مصادر التشريع .

وقد سئل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الخلة فقال «ما لك في
كتاب الله من شيء ولكن أسأل الناس .» فسألهم لقم لعيرة بن شعبة . ومحمد بن
سلمة . فشهدا . أن النبي ﷺ أعطاهما السدس

ولم يكن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلم منه الاستئذان حتى أخبره
بها أبو موسى رضي الله عنه^(١)

ولم يكن يعلم أن امرأة ترث من ذية زوجها حتى كتب إليه أنصحاك بن سميان
أمير رسول الله ﷺ ، عن بعض اليهودي بحبره أن رسول الله ﷺ «ورث
امرأة أشيم الصبائي من ذية زوجها»

ولم يكن يعلم حكم الخوس في الحرب حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف أن
رسول الله ﷺ قال : «سواهم سنة أهل الكتاب»

ولقد قدم «سرع» وبعه أن الطاعون بالشام واستشار المهاجرين الأولين الذين
معه ، ثم الأنصار ، ثم مسمة الفتح ، فشارك عليه بن رأى ولم يحبره أحد بسنة
حتى قدم عبد الرحمن بن عوف ، فأخبره به رسول الله ﷺ في الطاعون ، وأنه
قال : «إد وقع بأرض وتتم بها فلا تخرجوا حراراً منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا
تقدموا عليه»

وهذا عثمان رضي الله عنه لم يكن علمه بأن لتوفي عنها زوجها تعتد في بيت
زوجها حتى حدته الفريضة ست مائت تحت أي سعيد الحدري بقصبتها ما توفي
زوجها وأن النبي ﷺ قال لها

«امكني في بيتك حتى يلع انكتاب أحبه» فأخذ به عثمان

ونقد روى الحاكم مايلي

«حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم حبر منها الحمار الأهلي وغيره»

فقال رسول الله ﷺ «يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته ، فيحدث
حديثي فيقول سي وبسكم كتاب الله ، فما وحدا فيه حلالاً ، استحلبه وما وحده
فيه حراماً حرمه وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله»

ويقول رسول الله ﷺ فيما روه أبو داود عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه :
«لا ألهي أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به ، أو نهيت
عنه فيقول : لا أدري ، ما وحدا في كتاب الله اتعناء»

(١) في له الاستئذان ثلاثة ، فإذا لم يؤذن له انصرف

روى أبو ذؤود والترمذي وابن ماجة عن المقدم بن معد يكرم قال قال رسول الله ﷺ «ألا إلى أوست القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شعبان عني أريكمته يقول : عليكم هذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرم فحرموه . ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله .»

وعن حسن بن عطية أنه قال «كان حبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ ناسئة كما ينزل عليه القرآن . ويعلمه بها كما يعلمه القرآن» وعن مكحول قال قال رسول الله ﷺ «تاكم الله القرآن ومن الحكمة مثليه» أحرقها أبو ذؤود في مراسيه

وقبل لمصرف بن عبد الله بن اشعير لا يتحدثوا إلا بالقرآن ، فقال والله ما يعني بالقرآن بدلاً ، ولكن يريد من هو أعلم ما بالقرآن

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، «لعم الله لواشيات ، واستوشيات ، والمنصصات والمتصحات للحسن المغيرت خلق الله» فبيع ذلك امرأة من بني أسد ، فقال ما أجد عند الرخص يعني أنك لعب كعب . وكبت فقال ، «ومالي لا ألع من بعد رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله» فقلب المرأة . فقد قرأت ما بين لوحى لمصحف فما وجدته . فقال نس كبت قرأته يث وحدته أم قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) ، قالت بلى . قال : فإنه قد هيى عنه رسول الله ﷺ .

وبعد أن يذكر الإمام الشافعي الوجوه الثلاثة :

١ - بيان السنة بكتاب على ما في الكتاب

٢ - بيان السنة لمحمل الكتاب .

٣ - ما بين رسول الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب

يقول وذلك ما يريد أن تنتهي إليه ، وهو بين في وصوح من كل ما ذكرنا ، وأي هذا فقد بين الله أنه فرض فيه طاعة رسوله . ولم يحل لأحد من خلقه عداً بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله ، وأن قد جعل الله الناس كلهم الحاجة إليه في

دیہم ، و أقام علیہم حجۃ ى دھم علیہ من سى رسول اللہ ، معالی ما أُرِدَ الله
 بفرائضه و کتابہ ؛ لیعلم من عرف ما وصف - أن سنتہ ﷺ إِدْکانت سنة
 مبیة عن الله معنی ما أراد من مفروضہ ہیا فیہ کتاب یتلوہ ، وہیا لیس فیہ نص
 کتاب آحر - فہی كذلك این کانت ، لا یختلف حکم الله ثم حکم رسولہ ، بل هو
 لازم بکل حال .

الفصل الثاني

تدوين السنة

بدأ رسول الله ﷺ في العهد الملكي بشر القرآن لكرم ورسالة التوحيد سرّاً
ثم جهراً ، وكان لرسول الله ﷺ سبق بالأصواء كلها على القرآن

١ ذلك أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، وهو بأسلوبه معجز ، وهو بمعناه
يأخذ بالأفئدة ، وهو بمفاتيحه يملك القلوب ، وهو بمطرقه يسيطر على العقول
٢ ثم إن موضوع القرآن في هذه الفترة كان موضوعاً محددٌ لقد كان حمّة
من لقضايا يتصل بهيب ، عيب لإلهي ، أو بتعبير آخر ، توصلح بعقيدة
توحيد ، ورسالة ، وبعثاً .

وكان أسلوب القرآن في ذلك واضحاً لا سس فيه ، يبيّن بأساً سافراً .
٣ وحشي رسول الله ﷺ ، أن يضيف بعض الناس شيئاً من كلامه إلى
القرآن ويخلطوه به ، ورعاً أسرفوا في هذه الأضافة فلا يستتر الناس عواصل
والهرواق بين الأسلوب القرآني والإلهي ، والأسلوب السري حينما يتلوها في أول
العهد بالإسلام ممتزجين ، لا تميز بينها .

إن معالم الأسلوب القرآني واضحة ، وكلام الله سبحانه فيها كان يتميز بصفات
تعمله يسمو بمعزل من غيره .

ولكن لابد من إيجاد الفرصة الكافية لترسم هذه المعالم في النفوس أي لابد من
تقديم القرآن خالصاً صافياً لا يمتزج به غيره

لأن من تقديمه كما أنزل في ثوبه لإلهي ابحت حتى تصبح المعالم معالم الإعجاز
المعجز بيّنة ساهرة .

من أجل ذلك مهي رسول الله ﷺ عن كثافة حديثه بصوات لله وسلامه
عليه

٤ على أن هذه الأمانات شرآية في العهد الملكي وهي شرح التوحيد توحيد الله
في الدات ، وتوحيد الله في الصفات - إنها وهي تشرح هيمنة الإله على الكون ،
على العوالم ، جميع العوالم - ليس في حاجة إلى بيان أوضح ، أو إلى تعبير أقوى .

بل إله لا يتقى أن يكون هناك بيان أوضح أو تعبير أقوى

إنها وهي تهدم الشرك ، وتذكرك حصونه نقول مثلاً :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أم ما يشركون ، أم

حق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأبشربوا به جدثوا ذات شهجة ما

كان لكم أن تنبتوا شجره إله مع الله من هم قوم يعدلون

أمر جعل الأرض قرار وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين

البحرين حاجزا إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمر يجيب انصطريدا دعاه

ويكشف لسوء ويحكمكم حلواء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون أمر يهديكم

في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته إله مع الله تعالى عما

يشركون أمر يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، إله مع

الله ، قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (١) .

إنها حينما نقول ذلك لا نحتاج إلى شرح أو تفسير

وهي حينما نتحدث عن العت نقول :

(ونفع في الصور مصعن من في السموات ومن في الأرض لا من شاء الله ثم

نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، وشرقت لأرض نور بها ووضع الكتاب

وحىء بالنبين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، ووفيت كل نفس

ما عملت وهو أعلم عما يفعلون (٢) .

ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير

وهي حينما نتحدث عن رسول ﷺ وبرون نقرأ عليه فنقول

(برز له الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنبرين ، فاستمع عرلى منبر)

الشعره / ١٩٣ / ١٩٥ .

ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

ثم هي ، حينما نقول ترعسا وتنشيرا

(١) سورة المل الآيات ٥٩ - ٦٤

(٢) سورة الزمر الآيات ٦٨ - ٧٠

(إن أصحاب لجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأرواحهم في ظلال على الأرائك متكئون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ، سلام قولاً من ربهم) (١) .

ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير
وحينما تقون موعظة وبنذاراً .

(ويوم نحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون - حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجنودهم بما كانوا يعملون - وقالوا لجنودهم م شهدتم علينا قالوا أنطق الله الذي أنطق كل شيء وهو يحقكم أور مرة وإيه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جنودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ، وذلكم طئكم الذي ظننتم بربكم زدا كنتم فأنصبتهم من الحاسرين ، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) (٢)

ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

٥ - ثم إن الموضوعات التي تحدث فيها هذه الآيات المكية - موضوعات غيبية ، والموضوعات لعيبية دقيقة وعاية في الدقة ، فهل إذا تحدث الرسول ﷺ في هذه الموضوعات ، ونفس عنه هؤلاء شفهيهم وهم حديثو عهد بالإسلام وقريبو عهد بالخديفة الوثنية فهل سيحسون التعبير عنها أو سيقولوها كما تحدث بها الرسول ﷺ في دفته اندقيقة وعهده لواعى عن الله سبحانه وتعالى ؟

من أجل كل ذلك أمر رسول الله ﷺ ألا يكتب عنه غير القرآن .

وحكمه هذا لأمر ونعيه واضح كل الوضوح بما ذكرنا .

ونكن في فترة العهد المثلث تغير الوضوح :

ها هو ذا الإسلام ينتشر انتشاراً واسعاً وسريعاً ، وها هي دى لامة الإسلامية الناشئة المؤمنة القوية تبعث الأمل واسعاً في أن دين الله سيبنتشر في الآفاق ، وسيعم بوره الأقطار ، وستحطم كلمة الحق صروح الباطل ، وسيتم الله نوره ولو كره المشركون . وسيعم للأواؤه برغم أنوف الكافرين

ومن أجل هذه الأمة بدأ الوحي ينزل إرسالا إرسالا بالتشريع في جميع ألوانه :
تشريع دولي ، وتشريع جنائي ، وتشريع مدني ، وتشريع للعبادة ، وتشريع
للأحوال الشخصية

لقد بدأ التشريع الإلهي ينظم حياة الفرد ، عبادا ومعاملة ، حياته مع نفسه ،
وحياته مع أمته ، وحياته مع الله تعالى .

لقد أخذ ينظم حياة الإنسان منذ أن يستيقظ في الصباح إلى أن ينتهي به الأمر
إلى الصبح من جديد في صباح ثان

وينظم حياته من أسبوع إلى أسبوع ، ومن شهر إلى شهر ، ومن عام إلى عام .
وينظم حياته في دنياه ، وينظم حياته في أسرته ، وينظم حياته في مجتمعها
وينظم حياة المجتمع الإسلامي كله في الكون كله .

وما كان شأن أن يتعرض الوحي في ذلك للتفصيلات المفصلة ، ولا للجريئات
الحرية التي لا تحد ولا تحصى ، ولكنه كان يفصل تفصيلا يشبه أن يكون تاما في
الأمر الذي تكون عادة مثار النزاع ، وخصوصا المالية كالميراث ، وكتابة الدين
مثلا .

ويصح فوعده عامة شاملة تتضمن الخثرات المتعددة في موضوعات أخرى وكان
لا بد من أن يستفهم الرسول ﷺ في البيان والشرح والتفسير
وكان المسلمون قد ألفوا النحو الإسلامي ، وألفوا الأسلوب القرآني عرفوا مفهوم
لشراء ومفهوم لتوحيد ، وتبينت لهم الفرق الفاصلة بين العلم والجهل ، وبين
الإسلام والجاهلية ، وبين توحيه الروح لدى فطر السموات والأرض ، وتوحيه
للأصنام أو الشهوات أو للهو ، ولم يكن هناك من خوف على خلط أسلوب القرآن
بغيره .

وكان لابد من تدوين شروح الرسول ﷺ وتفسيراته
م يكن هناك ظروف توجب عدم كتابته الحديث ، وكانت هناك ظروف توجب
كتابته .

ومن أجل ذلك أباح رسول الله ﷺ كتابته بعد أن كان قد سعى عنها .

وبدأ الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون

وروى الإمام السجدي في كتاب العلم ، باب كتابة العلم قول

« حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرنا وكيع عن مسدد عن مطرف ، عن

الشيبي ، عن أبي جحيفة ، قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟

قال : لا ، إلا كتاب الله ، أو فهم أعصيه رجل مسلم ، أو ما في هذه

الصحيفة .

قلت : ما في هذه الصحيفة !

قال : العقل ، وفكك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر

ويروى الإمام السجدي

حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال حدثنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي

سلمة ، عن أبي هريرة

أن حراة قتلوا رجلا من بني ليث عام فتح مكة يقتل منهم فتوه ، فاحبر

بذلك النبي ﷺ فركب راحلته ، فخطب فقل

« إن الله حسن عن مكة القتل ، والعيل شك أبو عبد الله ، وسط عبيهم

رسول الله ﷺ ، والمؤمنين ، ألا وإياي لم تح لأحد قبي ، ولم تحل لأحد عدي ،

ألا وإياي حيث بي ساعه من سار ، ألا وإياي ساعتي هذه حرم لا تحن شوكتها .

ولا يعصد شجرها ، ولا تلتقط ساقطها إلا لمشد ، فمن قتل فهو بحري المطربين .

أن يعقل ، وإما أن يقدم أهل القتل

فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لي يا رسول الله

فقال : اكتبوا لأبي فلان

فقال رجل من قريش : إلا الأدهر يا رسول الله ، فإما يحبه في بيوت وفورنا

فقال النبي ﷺ : إلا الأدهر ، إلا الأدهر .

قال ، أبو عبد الله : يقال : يقاد ، بالقاف

فقبل : لأبي عبد الله . أي شيء كتب له ؟

قال : كتب له هذه الخطه

ويقول البخاري

حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال حدثنا عمرو ، قال أخبرني وهب بن مسه عن أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حدثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا يكتب تبعه معمر بن همام ، عن أبي هريرة ، انتهى عن البخاري وقد اشتهرت كتابة عبد الله بن عمرو بكل ما يصدر عن رسول الله ﷺ حتى لقد يوفش في ذلك من بعض النفرشين فهو رضي الله عنه على حسب ما يرون في من أساء مني وغيره كتب أنكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، أريد حفظه ، فنهى قريش ، وقالوا نكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر ، يكتبكم في العصب والرصاص فأمسكت عن أنكتب ، قد كبرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوما بإصبعه إلى فيه ، وقال كتب ، فوالدي نفسي بينه ما حرج منه إلا حق

روى عن أبي هريرة " كما يذكر الترمذي أن رجلاً من الأنصار كان شهد حدث رسول الله ﷺ ، فلا يحفظه ، فسأه أبا هريرة ، فيحدثه ، ثم شكاه فله حفظه إلى الرسول ﷺ ، فقد له النبي ﷺ استع على حفظه بيمينه ، أي بالكتابة

وروى عن رافع بن خديج كما يذكر في كتاب "تقيد العلم" أنه قال كتب يا رسول الله ، إنا نسمع منك أشياء ، أعكها ؟ قال : اكسوا ولا حرج . على أنه قد روى عن رسول الله ﷺ أنه كتب كتاب الصدقات ولذباب واهرائص والنس لعمر بن حزم وغيره ، كما يروى ذلك صاحب كتاب جامع بيان العلم وفصله .

هذا بعض ما كان من الصحابة في عهد الرسول ﷺ ، وتكرر الروايات فيما كان من كتابة الصحابة بعد انتفاة صلوات الله وسلامه عليه إلى الرقيق الأعلى هي مسند الإمام أحمد عن أبي عثمان الهدي قال كان مع عنة بن هرقل ، مكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ ، فكان فيما كتب إليه .

إن رسول الله ﷺ قال : « لا يمس الخريز في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة منه شيء » إلا هكذا

وقال بأصعبه السبابة والوسطى . قال أبو عثمان : « فرأيت أنها أضرار بطيالة حين رأينا الطيالة » .

وقد كان الصحابة ينقل بعضهم عن بعض . فعروة بن الزبير روى الله عنه ينقل عن حالته السيدة عائشة رضوان الله عليها ، فتقول له يا بى ، بلعنى نك تكلم عني الحديث ، ثم تعود فتكتبه .

فقال لها أسمعك منك على شيء ، ثم أعود وأسمعه على غيره

فقلت : هل تسمع في المعنى خلافاً ؟

قال : لا .

قالت : لا بأس بذلك

وشير بن سبيك يكتب عن أبي هريرة ، ويحبره أبو هريرة بالرواية عنه يقول بشير - كما يذكر كتاب - « السنة قبل التدوين » فعلا عن كتاب « الحديث الفاصل » وغيره أتيت بأبي هريرة يكتب الذي كتبه ، فقرأته عنه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟

قال : نعم

وكان لابن عباس رضى الله عنه ألواح يكتب فيها عن الصحابة ، مثل أبي رافع صاحب رسول الله ﷺ

بل لقد وصل الأمر بأنس رضى الله عنه الذي لازم رسول الله ﷺ ملازمة يكاد تكون تامة طيبة عشر سنوات أنه كان يلقى الحديث عن جموع من الصلبي ، فإذا كثر عنه الناس ، واحتاجوا إلى صحف يكتبون فيها جاء إليهم بها من عنده فألقاها إليهم ، ثم قال هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله ﷺ ، وعرضها عليه

وكان يقول ، رضى الله عنه لبيه . يا بى ، فبدوا العلم بالكتاب . وكان الصحابة يترأسون في الأحاديث يستفسرون ويتذكرون معاوية بن

أبى سميان رضى الله عنه يكتب للمعيرة بن شعة رضى الله عليه عدة مرات ،
يستفسر عن بعض ما يرويه المعيرة عن رسول الله ﷺ .
فيجيبه المعيرة بن شعة مرة عما كان رسول الله ﷺ مثلاً يقول في حتام كل
صلاة :

« اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا
يجمع ذا الحد منك احد »
ويحيه مرة أخرى بأن رسول الله ﷺ مهي عن قبل وقال ، وكثرة لسؤل .
وإضاعة المال

ويكتب رباد بن أبى سنان إلى السيدة عائشة رضى الله عنها يسألها عن
مسائل تتعلق بالحج . ويدكر لها فتوى بن عباس رضى الله عنه ، فتكتب به كما كان
ﷺ يفعله في الحج

ويصف المرحوم الأستاذ الساعى بعض الجهود التي قام بها الصحابة جمع
الحديث فيقول في نهاية حديثه عن تلك الجهود .

فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن يتفرقوا في الأمصار . واحتاج الناس إلى
لصحابة ، وخاصة صغارهم بعد أن أخذ الكبار يتناقضون يوماً بعد يوم . فاحتد
صغار الصحابة فجمع الحديث من كبارهم ، فكانوا يأخذونه عنهم .

كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث . فقد أخرج البخاري
في الأدب المفرد . وأحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، والمصنف له . عن حابر بن
عبد الله قال سعى حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ
لم أسمع ، فابتعت بعيراً فشدت عليه رجلي ، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت
النشام ، فإذا هو عبد الله بن أبيس الأنصاري ، فأتيته ، فقلت له

حدث بلعني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المطلم لم أسمع ،
فحسبت أن أموت ، أو تموت قبل أن أسمع

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يبشر الناس عزلاً بها » .

قلنا . وما لهم ؟

فان : ليس معهم شيء . فبإذنبهم بداء يسمعه من بعد كي يسمعه من قرب
أن الديار لا يسعي لأحد من أهل الدار أن يدخل الدار . وأحد من أهل الحلة عدده
مظلمة حتى اقتصها منه

ولا يسعي لأحد من أهل الحلة أن يدخل الحلة . أحد من أهل الدار يطسه
عصمة حتى اقتصها منه حتى اللطمة

فلما : كيف ؟ وإنما يأتي الله عرافة عزلا بها ؟

فان : بالخصيات واسيئات

وخرج أسبقي وأن عبد البر عن عطاء بن في ربح ، أن أيوب الأنصاري
رحل إلى عنبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ثم سق أحد سمعه
منه غيره . فلما قدم إلى مربة مسلمة بن محمد الأنصاري وهو أمير مصر فخرج
إليه فعاقبه ، ثم قال

ما جاء بك يا أنا أيوب ؟

قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ في ستر المؤمن

فقال نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ،

« من ستر مؤمناً في الدنيا على كثرته ستره الله يوم القيامة »

ثم بصرف أبو أيوب إلى راحلته . فركبها راحداً إلى المدينة . ف أدركته حائره
مسندة إلا بعريش مصر » اهـ

ولقد وهر في أذهان الناس بصورة رسحه أن لسه لم يدور إلا في نهر لثاني ،
ومن أحسن إقلاع هذه الصكرة خاطئة أحد في نقل بعض مصوص التي تثبت
الحقيقة ، وهي أن السنة دوت في العرب لأول في عهد رسول ﷺ . وفي عهد
الصحنانة لأحلاء

ومن أحسن ريادة الأمر وصوحاً ، ومن أحسن تأكيد الحقيقة في لأذهاب منقل
هذا نصاً . أي الأستاذ الحسن السد سبيل اندوى . كبير علماء مسمى القدرة
المدينة في هذا العصر . نقله عن كتابه الفيس « رسالة محمدية » وهو
محاضرات ألقاها في جامعة مدر من :

هول :

وبإني أكشف القمع لأول مرة في رديكم هذا بأن من عمه أن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو سبعين سنة قد أخطأ ، وتشريح بعارصه والنسب في هذا الخطأ ظهروا أن أول كتب في الحديث النبوي « كتب الموطأ » لذلك بن بس ، وأول كتاب في السيرة كتاب المعاري لأم إسحاق ، وهذان الإمامان الجليلان كانا معاصرين ، وتوفي الأول سنة ١٧٩ هـ ، والثاني سنة ١٥١ هـ ، فاعتبروا العقود الأولى من لقرن الثاني بداية تدوين الأخبار والسير ، الأمر ليس كذلك فإن بواكير لتدوين بدأت قبل ذلك بكثير ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، العرير المتوفى سنة ١٠١ علماً جليلاً ، ولي إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ هـ ، وقد عهد إلى القاضي أبي بكر بن محمد بن عمر بن حرم لدى كان إماماً في الحديث والعبر أن يبدأ في تدوين سنن النبي ﷺ وأصحابه . لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئاً شيئاً .

وحذف دروس العلم وعماءه ، وقد ذكر هذا في تعليقات البحاري ، والموطأ ذلك ، والمسند للدارمي فقام بذلك أبو بكر بن حرم ، وكتبت لأحاديث والأخبار والسنن في القرطيس ، وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق ، وسحت في الصحف والكتب ، وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات مدن يومئذ (مختصر جامع بيان العلم لمعالي بن عبد الله ص ١٣٨ طبع مصر)

فأبو بكر هذا الذي عظم مكانته من العلم والفصل وكان قاصياً بدينه لمبورة - هو لدى اختياره عمر بن عبد العزيز هذا العمل الجليل بعلمه وفصله ولأن حاله عمرة كانت من كبريات تمتدت أم المؤمنين عائشة ، وكان مديونه حاله عمرة عن أم المؤمنين عائشة بمحفوظات عنده ، فأوعز إليه عمر بن عبد العزيز بتدوين مرويَات حاله ، وقد احتصنها بالذكر في كتابه إليه

ويتابع السيد سليمان الدوي حديثه بقول

وأمر ﷺ فكنت أحكام الركاة ، وما تج فيه ، ومقادير ذلك ، فكنت مشروحة بمصنف في صححين ، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاها ،

ونقلت مجموعة في بيت أبي بكر الصديق ، وأبي بكر من عمرو بن حرم (اندر قطني
في كتاب لركاه ٢٠٩) وكان عبد الله بن عباس الركاة رسائل فيها أحكام الركاة

وكان لمرويات عبد الله بن عباس كراريس عدة

وحاءه قوم من أهل الطائف بكرسة منه لبرووها عنه (انعلل للترمذى ٦٩١)

وكان سعيد بن جبير يكتب روايات عبد الله بن عباس (الدارمي ٦٩)

ونقلت صحيفة عبد الله بن عمرو (الصادقة) موحودة عبد حميدة عمرو بن شعيب

(من الترمذى) ، (ص ٦١ ، ١١٣)

وكانوا يصنعون عمرو بن شعيب ، لأنه يروى من الصحيفة ، وكان يسعى به أن

يروى من خطه

وجمع وهب بن نصير روايات حار بن عبد الله ، وكانت عبد الله بن

عبد الكريم ، وصنفه لأجل ذلك (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٦)

وروى سليمان بن سمرة بن جندب أنه كان عبد أبيه صحيفة فيها أحاديث

وكذلك روى ابنه حبيب بن مزيان (تهذيب التهذيب ٤ : ١٩٨) .

وجمع همام بن منبه روايات أبي هريرة وهو أكثر لصحابة روايته ، وأوعدهم

حفظاً لأحاديث لرسول الله ﷺ ، فصارت تعرف صحيفته بين الخلفاء بـصحيفة

همام ، وقد أوردتها الإمام أحمد بن حنبل في اختراؤه ثلثي من مسنده (ص ٣١٢)

٣١٨ انطقه الأولى)

وكذلك شير بن سبيث كتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقراه عنه

(كتاب لعنل للترمذى ص ٦٩١ والدارمي ص ٦٨ والسنن الكبرى للسيوطي

١٠ : ٢٨٠)

وذكر بن حجر في كتابه فتح الباري أن أبي هريرة جاء رجلاً إلى بيته وراه

أوراقاً وقال هذه رواياتي وقال لى روى ذلك : بها لم تكن مكتوبة سده

(فتح الباري ١ : ١٨٤ - ١٨٥)

وكان أنس بن مالك وهو معروف بكثرة روايته يقول لأولاده يا بني .

كتبوا انعلم وقيدوه بالكتابة (الدارمي ص ٦٨)

وكان تلميذه «س» يكتب رواياته بين يديه (الدارمي ص ٦٨) .
 وروى عن سلمى قالت رأيت عبد الله بن عباس يستمع أن رافع حادم
 رسول الله ﷺ وما كان ﷺ يفعل أو يقول (طهقت بن سعد ٢ ٢
 ١٢٣) .

والوافدي وهو من متقدمي المصنفين في السيرة النبوية بقول رأيت عبد
 عبد الله بن عباس الكتاب الذي أرسله رسول الله ﷺ إلى المدر من مسوى سد
 عمان مع كتب أخرى (راد المعاد ٢ ٥٧) .
 وفي تاريخ الطبري أن عروة بن الربير كتب جميع ما كان في عروة بدر مفصلاً
 إلى عبد الله الملك الخليفة الأموي (الطبري ١٢٨٥)

ويقول سعيد بن حبيب التامعي كنت أكتب على الأفتاب ما أسمع في ليل من
 عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبتة واضحاً . (الدارمي
 ص ٦٩) .

وكان أصحاب البراء بن عازف يكتبون عنده رواياته (الدارمي ٦٩) .
 وكان نافع وقد صحب ابن عمر ثلاثين سنة يحلى على اساس (الدارمي
 ص ٩٦) .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أنه أخرج كتاباً وقال : وائم الله ، هذا
 ما كتبه يد ابن مسعود . (جامع العلم لابن عبد البر ص ١٧)
 وتابع الحديث في الموضوع على الرعم من أن الأمر أصبح واضحاً فصيف إلى
 ما سبق :

أن مروان قد خطب في اساس ، فذكر مكة وحرمها ، فقال رافع بن خديج
 بصوت يسمعه الناس .

والمدينة حرم حرمها رسول الله ﷺ ، وهو مكتوب عندها في أديم حولاني إن
 شئت أن يهرثكه فعلنا

فناداه مروان : أجل قد بلغنا ذلك (مسند الإمام أحمد بن حنبل
 ١٤ . ٤) .

وأرسل الصحاح بن قيس كتاباً إلى النعمان بن بشير يسأله فيه عن السورة التي كان رسول الله ﷺ يقرأها في صلاته الجمعة غير سورة الجمعة فكنت إليه يقول كان يقرأ (هل أتاك) ، (صحيح مسلم) .
وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة بن ربيعة كتاباً ذكر فيه أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير (صحيح مسلم)

« ويقول مجاهد : ربيت عند عبد الله بن عمرو كتاباً فسميته ما هذا ؟ فقال هذه الصادقة » فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ، ليس في ذلك شيء من رسول الله ﷺ أحد »

ولما ولي رسول الله ﷺ عمرو بن حزم الحبش وبعثه إليها أعطاه أحكاماً مكتوبة في الفرائض والمصداقات والديات « كثر لجمال ٣٠ ١٨٦ »
وتلقى عبد الله بن حكيم كتاباً من رسول الله ﷺ فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبراني - ص ٢١٧) .

وما أراد وائل بن حجر أن يرجع ببلاده حصر موت ناوله رسول الله ﷺ كتاباً فيه أحكام لفلاة والصوم والربا والحمر وغير ذلك (الطبراني ص ٢٤٢)
ولما وحه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤل إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، إن كان عند أحد منهم سنة عن النبي ﷺ في نصيب المرأة من دية زوجها - قام الصحاح بن سفيان فقال

نعم عندما كتاب من رسول الله ﷺ بين فيه ذلك (النداء قطبي ٢٠ ٤٨٥) (١) .

وقد بلغ عدد الصحابة رضى الله عنهم في آخر حياة النبي ﷺ عندما حج حجة الودع مائة ألف ، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابي مذكورة أسماءهم وأحوالهم في كتب التاريخ التي أفردت لتدوين أحوالهم خاصة
ومن التاريخ لم ينم بتدوين أحوالهم ولم يحفظ لنا شئهم إلا لأن كل واحد منهم حفظ شيئاً من أحوال النبي ﷺ وأفعاله وتصرفاته وهدية وسيرته .

(١) انظر السنة قبل التدوين والسنة ومكانها في التفسير الإسلامية ، ورجال الفكر والدعوة

لقد توفي رسول الله ﷺ سنة ١١ من الهجرة النبوية ، وبقي هريق من كبار الصحابة بعده إلى سنة أربعين ، وبقي بعد ذلك من الصحابة الذين كانوا أحداثاً في حياة النبي ﷺ عدد غير قليل ، مما انقرض ذلك الحبل لم يبق من الصحابة أحد ، وانقطع كل سراج أوقد بنور النبوة .

وإليك أسماء آخر من مات من الصحابة والبلاد التي ماتوا فيها ، وسنوات وفاتهم :

آخر الصحابة موتاً	البلد التي توفي فيها	سنة الوفاة
١ - أبو أمامه	الشام	٨٦
٢ - عبد الله بن الحارث بن حزة	مصر	٨٦
٣ - عبد الله بن أبي أوى	الكوفة	٨٧
٤ - اسائب بن يزيد	المدينة	٩١
٥ - أنس بن مالك	البصرة	٩٣

وأنس بن مالك هذا الذي كان آخر من بقي من الصحابة كان الخادم لرسول الله ، ﷺ استمر في خدمته عشر سنوات متوالية ومعظم هذه الرواة الحديثة كما يقول الأستاذ الحليل أبو الحسن الندوي قد كتب ودون بأقلام رواة في عصر الأول ، وقد يريد ما حط في الكتب وندقاتر كتابة وتحريراً في العصر النوي وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم على عشرة آلاف حديث إذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة وعند الله بن عمرو بن العاص ، وأنس بن مالك ، وحابر بن عبد الله ، وعلى ، وابن عباس رضي الله عنهم فيمكن أن يقال إن ما ثبت من الأحاديث لصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسايدها قد كتب ودون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير .

جمعت السنة إحد جميعها تقريباً - في عهد رسول الله ﷺ وعهد لصحابة
 جمعت دون ترتيب ولا سبق .
 جمعت متفرقة متناثرة يكتب هذا الحديث والحديثين ، ويكتب الثاني المائة
 وحديثين ، ويريد الثالث عن ديث ، ويعني لرايع من حفظه على الآخرين ،
 وهكذا ، وفي ذلك لم يكن لأحد اهتمام بالتصنيف أو التنسيق
 يقول الأستاذ العالم الورع أثبت أبو الحسن السدي في كتابه « رجال الفكر
 والدعوة » ما يلي :

« إذا جمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما تحتوت عليه من الأحاديث -
 كانت بعدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في مجاميع ومساند الناس في القرون
 الثالث .

وهكذا يتحقق أن المجموع الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وسجيله من
 غير نظام ورتيب في عهد رسول الله ﷺ . وفي عصر لصحابة رضي الله عنهم
 وشهدت الأستاذ أبو الحسن السدي عن الوهم الشائع بين الناس من أن السنة
 لم تدون إلا في القرون الثالث ، ونحن هذا توهم بعيداً مطلقاً فيقول
 وقد شاع في الناس - حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل
 إلا في القرون الثالث وأخرى ، وأحسن حالاً من يرى أنه قد كتب ودون في القرون
 الثاني

وإن شأ ذلك انعط إلا عن طريقتين

الأولى أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدوني الحديث في القرون الثاني ،
 ولا يعمون بذكر هذه الصحف والمجاميع التي كتبت في القرون الأول لأن عامتها
 فقدت وصاحبت مع أنها ادعت ودعت في المؤلفات المتأخرة ،

الأخرى أن محدثين يذكرون عدد الأحاديث الصحاح المأثلة لدى لا يتصور
 أن يكون قد جاء في هذه مجاميع الصغيرة التي كتبت من القرون الأول ، مع أن عدد
 الأحاديث الصحاح غير متكرر ومتفرقة من المتأخرات والشواهد لا يبرهن شيئاً ،
 وقد سه على ذلك لعلامة ماضر أحسن لكلاي رئيس القسم الديني سابقاً في

الجامعة العثمانية عيذر آباد في كتابه العظيم «تدوين الحديث» يقول رحمه الله :
وقد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال : إن أحمد بن
حسب كان يحفظ أكثر من ستمائة ألف حديث .

وكذلك يقال عن أبي زرعة

ويروى عن الإمام البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف من الأحاديث بصيغة ،
ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة

ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابي من ثلثمائة ألف حديث ولا يعرف
كثير من المتعلمين فصلا عن إمامه أن الذي يكون هذا لعدد الصحيح هو كثرة
المنابع والشواهد التي عني بها المحدثون .

فحديث : «إنا الأعمال بالسياب» مثلاً يروى من ستمائة طريق

فلو جردنا مجموع الحديث من هذه المصادر والشواهد لبي عدد قبل من
الأحاديث

فالمجموع الصحيح لسحري لا تزيد الأحاديث التي رويت بالسند الصحيح فيه
على ألفين وستمائة وحديثين

وأحاديث مسلم يبلغ عددها أربعة آلاف حديث

وهكذا لا يسع عدد الأحاديث المروية في كتب الصحاح لستة ، ومسد
أحمد ، وكتب أخرى خمسين ألف حديث ، منها تصحيح ، ومنها لمسلم ،
ومنها المتفق عليه ومنها المتكلم فيه

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله - الذي يعد من المتسامحين المتوسمين أن
الأحاديث التي في مدارج الأول لا تسع عشرة آلاف «بوحدة النظر» ٩٣ «
ونقول الأسناد

وم ينتصف القرن ثلثي حتى كانت حركة الجمع والتدوين شتت وأقوى ، وكان
من سبق إليها من رجال هذه القرن .

ابن شهاب الزهري (مات عام ١٣٤ هـ)

وابن جريج المكي (مات عام ١٥٠ هـ)

- وابن إسحق (مات عام ١٥١ هـ) .
 ومعمّر الجعفي (مات عام ١٥٣ هـ) .
 وسعيد بن أبي عروبة المدني (مات عام ١٥٦ هـ) .
 وربيّع بن صبيح (مات عام ١٦٠ هـ) .
 وسفيان الثوري (مات عام ١٦١ هـ) .
 ومالك بن أسس (مات عام ١٧٩ هـ) .
 والليث بن سعد (مات عام ١٧٥ هـ) .
 وابن المبارك (مات عام ١٨١ هـ)
 ثم تتابع الناس ^(١)

ليس من هنا في هذا الفصل أن تتابع السيرة في تدوينها ، وإنما أردنا أن نوضح
 توضيحاً شامعاً فكرة أن السيرة دونت في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة رضوان
 الله عليهم ، وأظن أنه قد استبان الآن الأمر بما لا يحتاج إلى مزيد ، وشكر الله
 للباحثين الأعلام المتصربين الذين استندوا إليهم في هذا البحث .

(١) انظر كتابه رجال الفكر والعمدة لأن الحسن الندي .

الفصل الثالث

المحدثون في جهادهم

وفي صوره ما سبق قد يتساءل بعض الناس هل معنى ذلك أنه لم نحدث محاولات للوضع . أو حدث وضع بالفعل وترييف واختراع في السنة ؟ والواقع أن من يرعه أن السنة على معنى آخر لتاريخ - قد حلت من لوضع إنما يسكر حقائق ثابتة :

لقد حاول الكثيرون وضع 'حاديث' على سبيل الرسول ﷺ ، حاولوا ذلك لأسباب مختلفة منها

١ أن بعض أساس كذابون بطبعهم اتخذوا يكذب هواية ، لا يستقيم أمرهم إلا على الكذب ، فكذبوا على رسول الله ﷺ ، وإذا كان من المعروف في جميع الأدبيات أن بعض أساس يكذب على الله فإن من الأمور التي تحدث أن يكذب بعض الناس على رسول الله ﷺ .

٢ وبعض الناس بسطرو عليه مذهب من المذاهب أو برعة من البرعات ، ويتشبع بذلك حتى يملأ عليه أفضاره ، فيكذب على رسول الله ﷺ تأسيساً لمذهبه ، وتأكيداً لتزعنه ، وإرضاء لهواه

٣ وبعض أساس دحل في الإسلام كرهاً بالإسلام دحبه لئلا مر عليه ، دحبه ليكون في صفوف كثير ملاحقه لتأمر عليه فكذب على رسول الله ﷺ ، إفساد للمبادئ الإسلامية الصحيحة ، وتزييفاً لها

٤ وبعض الناس استباح الكذب على رسول الله ﷺ في سبيل موعظة الآخرين وهديتهم ، ورأى أن عايه التهديبه تبيح له ركوب هذا المركب الباسد ، هذه هي كل أو أكثر الأسباب التي دعت إلى وضع الأحاديث والكذب على رسول الله ﷺ

ولكن ذلك لم يكن في السنة ندعا من الأمر .

هذه الأسباب في المحملة كانت ولا تترك الأسباب لترييف التاريخ إن لتاريخ - مد عرف لم يحل من هو من التي تحاول وضعه على غير ما كان

عليه بالفعل ، وتلويبه على لصورة التي يريد بعض الناس - بملوكاً أو أمراء أو
رعماء على أى وضع كانوا - أن يكون عليها

ولكن ترتيبهم لتاريخ لم يمنع من ظهور الحقائق ، وكذلك على التاريخ لم يمنع
من بيان الحق ومعرفة الناس له

ولقد وضع المؤرخون المحدثون أصولاً للنقد ، وعلامات للحوادث المزيفة
وقواعد لمعرفة الحقيقة

ولقد ساعدوا في سبيل معرفة الصحیحة بالغة ، وبحوادث البصينة المتواترة ،
وبالشهود العدول ، وبالمقاربات :

لقد استعانوا بالنقد الداخلي والنقد الخارجي ، ووصلوا بدلتى الحقائق التي
يطمئنون إليها برغم ما يفصل بينهم وبين مكان الأحداث من آلاف الأميال ،
وبرغم ما يفصل بينهم وبين أرملة حوادث من عشرات القرون

ومع كل ما حاوله المؤرخون من جهد ، ومع كل ما وضعوه من قواعد للوصول
إلى اليقين فإنهم واقع يقين لم يصبوا في كل ذلك إلى ما وصل إليه سادتنا
المحدثون رضوان الله عليهم ، وذلك للأسباب التالية

١ - لقد بدأ تسجيل السنة في عهد الرسول ﷺ ، وتم تسجيلها - كلها
تقريباً - في عهد الصحابة رضوان الله عليهم . فكان قرب الزمن من عمل
صحة السنة

٢ - وسجل أكثرها في المكان نفسه الذي كان فيه رسول الله ﷺ . أو في
أمكنة قريبة سبباً منه

٣ - ولقد روى عن الرسول ﷺ أحاديث كذب تحد من الوضوح في السند على
الأقل ، مثل حديث

« من كذب على متعمداً هبوا من النار »

وهذه ملاحظات تذكرها لا نقول إنها حاسمة مما يتعمق أمر صحة ما روى ،
ولقد قدما أن الوضوح وحده بالفعل وكذا تذكرها في مقاسة ما يحجب بعض
الناس التهور به من أمر التزييف والوضوح

أما الأمور الحسنة التي نحمد الله في نتائج وثمارها وصل إليها صلحاء الصالحين فيما يتعلق بأمر السنة في أسسها

١ - إيمان هؤلاء أسلف بأسماء في عبادتهم بالنسبة لما صحح منها ، ولما وضع فيها إنما يجاهدون في سبيل الله

لقد كانوا مؤمنين بإيمان عميقاً ثابتاً في عقولهم وجدوا دينياً أن يحضروا سنة رسول الله ﷺ من كل ريف ، وأن ينقوهم من كدورات في إحلاص محض . وفي صورة من اليقين لا يفترون في وصول إليه

وبعد كانوا بعدوا بالآلاف ، ويمتازون كمن هو أبو الحسن السدي بعلوم شططهم ، وقوة احتياهم وصبرهم وهمة دكرهم وحفظهم . وقد تدفق سيوفهم من بلاد المعجم . وقد مكنت قلوبهم وعقولهم الرعية الشديدة في جمع الحديث ، وشعروا به شعفاً حل بينهم وبين شهوات ، فطاروا في الافق ، ونقبوا في بلاد في البحث عن الروايات المصنفة ، والأسانيد الصحيحة

وكان لهم في ذلك هدم وعراق لم يعرفا عن أمه من لأئم في اسريع كنه ، يدل على ذلك بعض الأدلة ما روى عن محدثين من هؤلاء في البلاد . واسفر في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه

فقد روى أن البخاري صاحب الصحيح بدأ رحلته العلمية وهو لا يزال في الرابعة عشرة من سنه . وقد زار البلدان الإسلامية ما بين بخاري ومصر وشيوخها وروى عن أبي حاتم الرادي م ٢٧٧ هـ قال :

«أوب ما رحلت أقيمت سبع سنين ، ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ، ثم تركت العدد وخرجت من البحرين إلى مصر ، ثم إلى الرملة ماشياً . ثم إلى طرسوس ولي عشرون سنة»

وقد سيعمحدث الأندلس ابن حيون (م ٣٧٤ هـ) الحديث في الأندلس والعراق . والحجاز ومن . وهكذا قطع قارة أفريقيا من طنجة إلى مصر . وعبر البحر الأحمر

ومن محدثين من سافر في قارة أفريقيا واسا وأورد في طب الحديث . وهكذا

انتظمت رحلاته العلمية ثلاث فترات من القدرات الكبرى
وكان كثير من محدثين يخرج من الأندلس أقصى العرب في اعلم المتمدنين
المعروف بومئذ ، ويسع أقصاه في الشرق إلى حراسان أو بالعكس ، ويطلع في
تذكرة الحفاظ للذهبي مدحش لطموح هؤلاء رحل وحياهم شاق في طلب
العلم

٢ . ولقد استعمل أئمة القدر الدخلى والنقد الحرجى ، بل لقد استعملوا
ما يمكن أن نسميه المشاركة لوجدانية ، أو بعبارة أدق ، استرواح رائحة النبوة ،
أو استلهاهم طالع رسول الله ﷺ في الحديث ، أو استصدر لقب ، وإيهام الروح ،
وإشراق النبوة في المعرفة :
يقول الربيع بن حاتم :

« إن من الحديث حديثاً له صوة كصوة النهار تعرفه به وإن من الحديث حديثاً
له ظلمة كظلمة الليل تعرفه به » (١)

وهذه الطريقة تعتبر في العصر الحاضر لأوربي من نداءات القرن العشرين
لقد استعملها أئمة ووضعوا لها لأصول ، وسوا كيفية ، ولم يتركوها للأهواء
والشرب ، ومن أدق التعريفات عنها ما يقوله ابن القيم
سئل هل يمكن معرفة البصاير من غير النظر في سنده ؟ فهذا
سؤال عظيم انقدر

وإنما يعلم ذلك من تصنع في معرفة السن لصحبة ، واحتطت بسنة
وحسنه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السن والآثار ،
ومعرفة رسول الله ﷺ وهدية فيما يأمره ويهيى عنه ، ويحبر عنه ويدعو إليه ،
ويحبه ويكرهه ، وبشرعه للأمة بحيث كأنه محالط للرسول ﷺ كواحد من
أصحابه

ومثل هذا يعرف من أحول الرسول ﷺ وهدية وكلامه وما لا يجوز ما لا يعرفه

غيره

وهذا شأن كل متع مع متنوعه ، فبالأخص به المحرص على تتبع أقواله وأفعاله في العلم ، والتبوير بين ما يصح أن يثبت إليه وما لا يصح ، ما ليس لمن لا يكون كذلك .

وهذا شأن المقدسين مع تسميتهم يعرفون من قلوبهم وبصوتهم ومداهم وأسميتهم ومشربهم ما لا يعرفه غيرهم . وفي هذه الطريقة أيضاً يقول ابن دقيق العيد .

« وكثيراً ما يحكمون بذلك (أى بالوضع) ، عند الرجوع إلى المروى وألفاظ الحديث وحاصله ، فما حصت لهم بكثرة بحالة ألفاظ النبي ﷺ هيئة تسميته ومبكرة يعرفون بها ، لا يجوز أن يكون من ألفاظه وما لا يجوز ، يقول ابن الجوزي

لحديث المنكر يقتضيه عند المطالب للعلم ، ويصر منه لله في العباد ٣ . وبه لمن المعروف ، عادة سبنا لصاح لم تكن موجهه إلى جمع الحديث وتدوينه بحسب . وإنما تعدت ذلك كي يقول الأستاذ خليل أبو الحسن البدوي ، في بوسائط التي وقعت في رواية حديث وهم الرواة الذين روى هذه الأحاديث

فعوا يعرفونهم ومعرفة أسمائهم وأسماء آبائهم ، وحوادث حياتهم وأحلافهم ومكانتهم في الأمانة والصدق والخص

وهكذا أصبح المدير اتصو بشخصية لكرمة لبي وعد الله ، بالخلود وبقاء الذكر وانتشار الاسم (ورفعاً لك ذكرك) ، أصبح الذين اتصو بها موضوع الدرسين والباحثين . وخرجوا من روايا الحمول وستحقوا الحياة والاشهار ، وأصبحت عيش من حياة هذه الشخصية الخالدة ، فحياً وظهروا ، واحتفظ التاريخ بأسمائهم وأحوالهم ، وراه حقاً على نفسه . وهكذا ظهر علم أسماء الرجال في عالم الوجود ، وكما من مفاخر هذه الأمة التي لا تشاركها فيها أمة من الأمم ، قال الدكتور « اسبرنجر » Sprenger في مقدمته الإبحارية على كتاب الإصانة في أحوال الصحابة للمحافظ بن حجر العسقلاني ما ترجمته :

« لم تعرف أمة في التاريخ ، ولا توحد لآل على ظهر الأرض وفقت لاحتراع من من أسماء الرجال الذي يستطيع فصله أن يقف على ترجمه خمسمائة ألف (نصف مليون) من الرجال »

ولم يصر المحدثون يعرف رجال الحديث فحسب ، بل التزموا الصديق والصراحة في تعريفهم ، وجمعوا كل ما يتصل بأحلافهم وعددتهم ، وما يدل على قوتهم وصحتهم واحتياطهم وسابغهم وتقواهم وعلمهم وداكرتهم ، وجمعوا كل ما قد معاصروهم فيهم ، ولم يداوا ولم يحملوا في ذلك ، ولم يهاوئوا أحدًا ، ولو كان بعضهم أميراً مهيباً أو شيخاً وقوراً

وقد روى التاريخ في ذلك طرائف تدل على سدة هؤلاء لما قدس وعلمهم بقوله

تعالى

(كُونُوا قَوَّامِينَ لِلْفِطْرَةِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ (١))

وتدقيقهم

قال أبو داود كان أبو وكيع على بيت المال ، فكان وكيع (م ١٩٧) إذا روى عنه قرنه بأحر

وقد ترك معاد بن معاد العبري (م ١٩٦ هـ) رواية لسعودي لأنه رآه يطالع لكتاب ، يعني قد تغير حظه وقد قدم إليه عشرة آلاف دينار ، وطلب منه أن يسكت عن فلا فلا يتكلم فيه بخرح ولا تعديل ، فأبى ورفض هذا المال العظيم ، وقال : « لا أكنم الحق »

وهذا دليل من كثير يدل على أمانة علماء الحديث ورجاء وتدقيقهم في موضوعهم ، وتحريم الحق وعدم في شهادتهم ، مهل في تزيح لعم بطير هذه الأمانة والدقيق ؟

• • •

وما من شك في أن سلفنا الصالح بدأ بالاهتمام بالإسناد أي بالاهتمام هؤلاء الذين رووا الحديث واحداً عن واحد وصلوا به إلى رسول

لله ﷺ ، أو إلى أحد الصحابة رضوان الله عليهم
ولقد اهتموا بالإسناد إلى درجة أن جعلوه من الدين
يقول الإمام الزهري
« الإسناد من الدين »

لقد بحثوا عن هؤلاء الذين جاء حديث رسول الله ﷺ عن طريقهم
لقد بحثوا عن ميلادهم ، وعن وفاتهم ، وعن أخلاقهم ، وعن عصبهم
وسهولتهم ، ويقظتهم وصحوهم ، وعن ذكركهم وصصهم ، لقد بحثوا عن كل ما
يصل بهم في أنظمتهم حتى يظفروا بها ، وفي سلوكهم لدى سيروا عنه ، وفي
سميتهم من ناحيته بوقر والحمد ، وفي أهولهم ومشاربهم ، وفي برعاتهم ، وفي ميولهم
على وجه العموم

لقد اخرج المسلمون عم تشريح كامل وصعدوا على مائدة معرفته ما يعرف من
نصف مليون من البشر

لقد حترعوا عمداً لم تحترعه سابقوهم - حتى ناسية لكتبتهم المقدسة ، ولم يصل
إليه لاحقرهم حتى في العصر الحديث

عمداً يقول عنه المستشرق الألماني « سيرخر » في تصديره لكتاب الإصانة لابن
حجر حينما كان في كلكتا ١٨٥٢ - ١٨٦٤ الكلمة التي سبق أن ذكرها ، والتي
تعبر عن الحقيقة الواقعة

ولقد قيل مرة لابن الماراء : « هذه الأحاديث المصروعة ؟ »

فقال : « يعيش لها الجهادة »

هؤلاء الجهادة قاموا بما عليهم خير قيام

سجدت صاحب كتاب « تقديمه لمعرفة لكتاب الخرج وسعدين » عن بعض ما

هم به هؤلاء الجهادة يقول

« التمييز بين الرواة » قال أبو محمد

لما لم نجد مسيلاً إلى معرفة شيء من معاني كتاب الله ، ولا من سبب رسول الله ،

ﷺ إلا من جهة النقل والرواية - وحب أن نغير بين عدول الدقة والرواة ونقاسهم

وأهل الحفظ والتثبت والإتقان منهم ، وبين أهل العمى والتشتت وسوء الحفظ والكذب ، وحرّاع الأحاديث الكاذبة

ولما كان الدين هو الذى جاء عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ ينقل الرواة حق عليا معرفتهم ، ووحب المحقق عن الدفلة والبحث عن أحوالهم ، وإثبات الدين عرفانهم بشرائط العدالة والتثبت فى الرواية ، مما يقتضيه حكم العدالة فى نقل الحديث وروايته بأن يكونوا أئمة فى أنفسهم ، علماء بدينهم ، أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث وإتقان به وتثبت به

وأن يكونوا أهل تميز وتحصيل ، لا يشوبهم كثير من لغلات ولا تعب عليهم الأوهام فيما قد حفظوه ودعوه ، ولا يشبه عليهم بالأعطيات

وأن يعرف عنهم لذين جرحهم أهل العدالة ، وكشفوا لنا عن عوراتهم فى كذبهم ، وما كان يعتريهم من غالب لهمة وسوء الحفظ وكثرة الغلط والسهو والاشتباه ، ليعرف به أدنة هذا الدين (وأعلامه ١) وأئمة الله فى أرضه على كتابه وسنة رسوله ﷺ ، وهم هؤلاء أهل العدالة ، فيتعسك بالذى رويهم ويعتمد عليه ، وليعرف أهل الكذب تحريصاً وأهل الكذب وهماً ، وأهل الغفلة والسبى والنقص ورداءة الحفظ ، فيكشف عن حاضهم ويسئ عن الوجوه التى كان يحرى روايتهم عيباً ، إن كذباً فكذب ، وإن وهماً فوهم ، وإن غلطاً فغلط .

وطبقات الرواة: ثم احتيج إلى تبيين طبقاتهم ومقادير حالاتهم ، وتباين درجاتهم . ليعرف من كان منهم فى مرتبة الانتقاد والجهدة والتنقيح والبحث عن الرجاء والمعرفة بهم ، وهؤلاء هم أهل التزكية والتعديل والخرج .

ويعرف من كان منهم عدلاً فى نفسه من أهل التثبت فى الحديث والحفظ له والإتقان فيه ، فهؤلاء هم أهل العدالة

ومهم الصدوق فى روايته ، الورع فى دينه ، لتثبت الذى بهم أحياناً وقد قبله الجهادة النقد ، فهذا محتج بحديثه أيضاً

ومهم الصدوق الورع المعجل العادى عليه الوهم والخطأ والسهو والغلط ، فهذا

يكتب من حديثه الزعيف والترهيب وانزهه والآداب ، ولا يحتج بحديثه في الحلال والحرام .

ومهم من قد ألصق نفسه بهم ودرسها بينهم ؛ عن قد ظهر لانتقاد العلماء بالرجال منهم الكذب ، فهذا ترك حديثه وتطرح رويته وسقط ، ولا يشتغل به ، اهـ .

ولقد كان هؤلاء جهالة في سبيل الدين يدون آراءهم في أمس الناس منهم نصيحة لمسلمين ، ونعوى مهم . **مرد بن أبي أبسة** كما يذكر صحيح مسلم شرح السنوي - يقول « لا تأخذوا عن أبيه » .

ويسأل علي بن المديني عن أبيه فيقول

«سوا عنه عيرى» .

فيعيدون السؤال من جديد ، فيطرق ، ثم يرفع رأسه ، ويقول

«هو بدين ، إنه ضعيف»

وكان أمر وكيع بن جراح طريقاً فقد كان نوه رجلاً صالحاً ، لا يأخذ عليه ، غير أنه كان على بيت المال ، ومن أجل وظيفته هذه كان أنه إذا روى عنه - يقرن معه آخر

لقد كان سمياً رصوا الله عليهم يهون - بالإسناد عانة فائقة ، حتى نقد قال سليمان الأشري رضي الله عنه .

الإسناد سلاح المؤمن وقد لم يكن معه سلاح فأي شيء يقول ! « (١) » .
ويفسر الدكتور ناصر لدين الأسد العناية بالإسناد تفسيراً صادقاً فيقول ص ٢٢٦ من كتابه التمهيد ، مصادر شعر الجاهلي

بدون أن **مرد بن أبي** الإسناد حصل في رواية الحديث إلى **مرد بن** أمر داخلي ، وآخر خارجي

أما **لداخلي** فبعبارة من نفس الراوي ، ومصدره شعوره بالتحرج الديني ، وذلك

نه يقبل كلاماً من كلام رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال في حديثه المشهور
 « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »
 وفي الإسناد المتصل ما يجعل الحديث مطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ
 شيوخه ، ثم التابعين والصحابة ، شاركوه في تحمل بيعة هذا الحديث وقده ، وأنه
 لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعته لا تعدوا النقل لأمين لما سمعوه من
 شيخ ثقة ثبت

وما الأمر بخارجي فرحته في سامعي لحادث من الحديث وذلك أن
 الحديث يتضمن جرأً كبيراً من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك
 مصدر من مصادر التشريع الإسلامي . بل به هو المصدر الثاني الذي يبنى في القيمة
 كتاب الله ، ولذلك كان ما رأيت مهم من تدقيق والتحقيق ، ومما يبعث الضمائم
 في نفوس السامعين ، ويوحى إليهم بالثقة في حديث الحديث أن يصل بين عصره
 وعصر لرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة محدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه من
 قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة والرسل .

مصادر الشعر الجاهلي ٢٥٨ : ٢٩٥ هـ .

ودخل في هذا الباب - باب الإسناد - بقدر الرواة وتصنيفهم إلى فئات يأخذون
 من بعضها ويتوقفون عن بعض ، ويعلمون على ملام من الناس كذب بعض وكان
 هم في هذا المجال شعور مرهف ، أو شعور متروك إذا أمكن هذا التعبير

يقول الإمام مالك رضي الله عنه

لا يؤخذ لعلم عن أربعة

١ - رجل معلن بالسنة ، وإن كان أروى الناس

٢ - رجل يكذب في أحاديث الناس ، وإن كتب لا تنهه أن يكذب على

رسول الله ﷺ .

٣ - وصاحب هوى يدعو الناس إلى سواء

٤ - وشيخ له فضل وعادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به

ولقد كان يحيى بن سعيد القطان رحمه الله يترك حديث الكثير ممن يظن بعض الناس بهم الخير ، فقليل به :

« أما نخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ »

فقال : لأن يكون هؤلاء خصمي أحب إلي من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ ، يقول : لم لم تدب الكذب عن حديثي ؟

لقد اتفق المحدثون على ألا يأخذوا الحديث عن

١ الكذابين على رسول الله ﷺ . بل لقد حثله في كسر هؤلاء . بل لقد اختلفوا في قبول الله لنوتهم . وبكى أن يعرف لكذب من أحدهم مرة واحدة على رسول الله ﷺ ، فيسقط ذلك جميع أحاديثه .

على أن الكذب على الناس كان في ترك حديث الكذاب . حتى لو كان يخرج من الكذب على رسول الله ﷺ ، كما ذكر الإمام مائث رضى الله عنه فيما سبق ولائمتنا في تعقب الكذابين طرائف :

يقول الأستاذ الساعى في كتابه انبيس « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى » :

مينا بعض علامات الوضع في السند . ومنها أن يروى الراوى عن شخ لم نشأ لقاه له ، أو ولد بعد وفاته ، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سمعه فيه . كما ادعى مأمون بن أحمد الهروى أنه سمع من هشام بن عمار

فسأله حافظ بن حبان

متى دخلت الشام ؟

قال : سنة خمس مائتين .

قال بن حبان : هشاماً الذى تروى عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين . وكما حدث عند الله بن إسحاق الكرماني عن محمد بن أبي يعقوب ، فقليل له . مات محمد قبل أن تولد تسع مئين .

وكما حدث محمد بن حاتم المكي عن عبد بن حميد ، فقال الخاكم أبو عبد الله

هذا الشيخ سمع من عبد بن حميد بعد موته ثلاث عشرة سنة !

وفي مقدمة مسلم : أن المعنى بن عرفان قال .

حدثنا أبو وثن . قال حرج عينا ابن مسعود بصفين . وقال أبو نعيم يعنى

الفصل بن ذكين حاكمه عن المعلى . أترأه بعث بعد موت ! وذلك لأن ابن مسعود

توفى سنة اثنين أو ثلاث وثلاثين . قبل انقضاء خلافة عثمان ثلاث سنين

ولا شك أن العمدة في مثل هذه الحالة على التاريخ تاريخ مواليد الرواة ،

وإقامتهم ورحلاتهم ، وشيوخهم ، ووفاتهم ، ولذلك كان علم الطبقات قائما بداته

علما لا يستغنى عنه نقاد الحديث

قال حصص بن عياث القاصي إذا تهتم الشرح محسوه بالسبب يعنى

سبه : ومن من كتب عنه .

وقال سفيان الثوري . لما استعمل الرواة الكذب استعملهم التواريخ اهـ

ومن أعجب ما روى في ذلك ، ما يرويه أبو أحمد بن عدي الخافظ عن الإمام

محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح ، قال

« سمعت عدة من مشايخ بغداد يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخاري قدم

بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا وأرادوا امتحان

حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبو متونها وأسايدها ، وجعلوا من هذا

الإسناد لإسناد آخر ، وإسناد هذا المتى لمن آخر ، ودفعوها إلى عشر أنفس لكن

رجل عشرة أحديث ، وأمروهم إذا حصرو المحسن أن يلقوا ذلك عن البخاري ،

وأخذوا عليه الموعد للمحس ، فحصره وحصر جماعة من لعرباء من أهل خراسان

وغيرهم من البغداديين

فلما اطمان المجلس بأهله نذب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك

الأحاديث فقال البخاري

« لا أعرفه . »

فما ران يلقى عليه واحد بعد واحد حتى فرغ والبخاري يقول .

« لا أعرفه . »

وكان نعلماء ممن حصروا المجلس ينتعت بعضهم إلى بعض ويقولون
« فهم الرجل »

ومن كان لا يدري القصة يقضي على السحاري بالهجر والتقصير وفيه حفظ
ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث
المقصودة

فقال

« لا أعرفه »

فسأله عن آخر فقال

« لا أعرفه »

فدراى بقى عليه واحدٌ واحدٌ حتى فرغ من عشرته وسحاري يقول
« لا أعرفه »

ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من إلقاء تلك
الأحاديث المقصودة ، وللسحاري لا يريد منهم على أن يقول « لا أعرفه »
فهم علم أنهم قد فرغوا انتمت إلى الأول فقال أم حدثك الأول فقلت كذا ،
وصوابه كذا ، وحدثك الثانى كذا ، وصوابه كذا ، وحدثك الرابع على التوالي
حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل من إلى إسناده وكل إسناده إلى مثله ، وفعل
بالأحرين مثل ذلك

فاقر الناس له بالحفظ ، وأدعوا له الفصل »

فان الحافظ من حذر بعد ما حكى هذه القصة « قلب » هنا خضع لسحاري
في العجب من هذه الخطأ إلى الصواب ، فانه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه
للخطأ على ترتيب ما أنقوه عليه من مرة واحدة »

ونعم هذا الفصل بقوى الأستاذ العلامة بكير شمع شلى العمانى « د
رأدت لأهم لأخرى من غير السمعين أن تجمع في أطوار مصنف أقران رحمة
ورؤيتهم كان قد فات عليهم زمن طويل ، وانقصى بينا وبينهم عهد بعيد ، فحاولوا
كتابه شئون أمه قد حسب ، ولم يمرروا بين غث دلت الماضى وثمينه ، وصحبحه

وسقيهم ، بل لم يعلموا أحوال رواة تلك الأحبار ولا أسماءهم ، ولا تواريخ ولادتهم .

فاكتفوا بأن اصطفوا من أخبار هؤلاء الرواة المجهولين وروايتهم ما يوافق هواهم ، ويلانم بيئتهم ، وينطق على مقاييسهم .

ثم لم يحص غير من سير حتى صادرت تلك خرافات كالحقائق التاريخية المدونة في الكتب وعلى هذا السبيل لصغت أكثر الكتب لأدبية مما يتعين بالأمم الحوالى وشئونها ، لأقوام القدعة وأخبارها ، والأديان السالفة ومداهنها وروحها ، أما المسموع فقد جعلوا لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها ، وأصولاً متبعة يتسكون بها .

ولم وأعلامه ألا تروى واقعة من أوقائع إلا عن الذى شهدها ، وكما بعد العهد على هذه الواقعة وحب تسمية من نقل خبرها عن الذى شهدها ، ثم تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذى نقله عن شاهد ، وهكذا بالنسب من وقت الإشهاد بالواقعة والتحدث عنها إلى زمن وقوعها ، وتثبت عن أمته هؤلاء الرواة ، وفهمهم وعدالتهم وحسن محملهم للخبر الذى يروونه .

وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبينه أيضاً

وهذه المهمة من أشق الأمور ، ومع ذلك فإن مئات من المحدثين تصرعوا بها ، ووقفوا أعينهم على تحرى ذلك واستقصائه وتدوينه ، وطافوا لأجله بسلاسل ورجلوا بين الأقطار باحثين درسين لأحوال الرواة ، وكانوا ينقون المعاصرين هم من الرواة لينقدوا أحوالهم

وإذا طمأنوا إلى سيرة فريق منهم سألوه عن يعرفونه من أحوال طبقة كانت قبلهم

وقد اجتمع من هذا المجهود العلمى العظيم علم مستقل من العلوم الإسلامية أطلق عليه فيما بعد عنوان (أسماء الرجال) ، فسير من أتى بعدهم أن يقفوا على مقدار متاب الألوف من الحفصاء والعلماء والرواة وغيرهم

الفصل الرابع

الوضاعون في العصر الحاضر

يقول الله تعالى

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ مِّنْ فِتْيَتِكُمْ أَن تَتَّصِفُوا قَوْمًا مُّضِلًّا فَتَضِلُّوا عَلَىٰ مَا كُنتُمْ تَادَّبُونَ) ^(١)

والفاسق هو الذي لا تتوفر فيه شروط العدالة ، والقدر وضع "ثلاث شروط معدة بذكرها أن :

من شرط العدل أن يتوفر فيه الصدق بمعناه الأعم لأشمل لدى يدخل فيه عدم ترجيح النص بزيادة أو نقصان ، والذي يدخل فيه "ولا وبادات عدم الكذب في الرواية ، وعدم الكذب في الحديث العادي ولا يريد به أن يستعصي ما قيل في العدالة ، إنما يريد أن يفعل بعض نصوص ليري فيما بعد تطبيقها على بعض المؤمنين الحديثين

بـ "تبين دقه أسلاف مدققه مما قاله الشعبي وأقسم عليه ، وله معراه العميق في بيان مدى ما كابر عليه أسلافه رضي الله عنهم من تحريف لنصوص بقول الشعبي " والله لو أصبت تسعة وتسعين مرة ، وحضأت مرة - بعدو على تلك ابواحدة "

" وكان أسلافهم يعبرون بالإعلان عن الكذابين وفصحهم وتشهيرهم من الذين : يقول عبد الرحمن بن مهدي : سألت شعبة ، وابن المبارك ، والثوري ، ومالك بن أنس عن الرجل ينهم بالكذب ، فقالوا :

" أشهر بأنه كاذب "

وعن يحيى بن سعيد قال : سألت سعد بن شوري ، وشعبة ومالك ، وأنس عليه عن رجل لا يكون ثناء في حديثه ، فيأبى لرجل ، فيسألي عنه قالوا : أخبر عنه ، إنه ليس شئت

ولقد قال رسول الله ﷺ .

« من كذب على متعمداً فليشأ مقعده من النار »

وهذا لدى كذب على رسول الله فيسوأ مقعده من النار . فاسق نجس شهير . وهو فاسق قد سقطت عدالته . ومن سقطت عدالته فإنه يجب على كل مؤمن أن لا يثق في حديثه ولا في رأيه أو نتائج بحثه .

ومن ثبت عليه الكذب أو لعش ، أو الريادة في النقص ، أو النقصان منه ، لثبت « ريادة » أو نقصان رتباً تتفق مع هواه . ومع نزهته - إن كل من يعمل ذلك فقد سقطت عدالته .

على أن من يريد في النقص أو ينقص منه . أو عرقه به يعتمد ذلك بحفظ من إنسان أو لسل منه فإنه من الناحية الإنسانية قد يربى مرة تألف للإنسانية السليمة منها . ويحفظ إلى درجة تنهر انطهره انطهره منها .

وبعد هذا نقول إنه يشأ في زماننا هذا طائفة من الناس يرغمونهم من حديثين على الأسلوب الحديث . أسلوب النقد والتحقيق . وثبت فيما يرغمون

وما من مثلك في أن أسلوب النقد والتحقيق في الحديث وفي رواية الحديث أسلوب البحث العلمي بأدق ما يمكن أن تعبر عنه هذه الكلمة . إنه وجد حقاً عند سلافنا من الحديثين . إمامهم هم أصحاب المنهج العلمي الدقيق في كتبه تاريخ . بهم اخترعوا له . ولا يزالون لأن أدق من أنوعه . وطبقة في صدق . والمؤرخون الحديثون لم يصبوا بعد إلى ما وصل إليه من حديثي القدماء من الدقة بعامة

ولا يريد أن تتحلل عقوب إن هؤلاء الذين يرغمون في العصر الحاضر أنهم قد تمحصوا لبحث بعين ليس من البحث العلمي في شيء . وسريث قليلاً حتى نطبق عليهم مقاييس سلافنا في العدالة نرى هل كانوا أهلاً للثقة أو ليسوا بأهل لها .

لقد كان سلافنا يكتفون بثوب لكذب مرة واحدة على شخص . فيسقطونه من قائمة العدول . وقد ثبت مثل ذلك على هؤلاء كتاب الحديثين فإن سقطهم من طبقة العدول . وضعهم في قائمة الذين وصفهم الله بالفال فيهم

(يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بساتين فصبوا قوماً نحوه فتصحبوا على ما فعلتم نادمين) (١).

لقد أراد قوم تحت تغطية البحث العلمي التشكيك في السنة ، بل هدم السنة رأساً ، وهؤلاء تفردهم أهواء مختلفة

أرأيت إلى مركب النقص في إسان مغرور يصمم أن تتولى مركز القيادة الفكرة فلا تسمع مواءه القاصرة بالأصانة أو الاحتراع أو الانتداع ، فينحه إلى الخط من شأن الآخرين والليل منهم . ويوجه كل الرغبات الشيطانية فيه إلى تزييف التاريخ . يحط من شأن قوم قد كتب لهم لتاريخ في سحبه الصحيح ما يؤتمن مكانه نبياً في الحلق الكريم ، وفي الصدق الصادق ، وفي العمل الجاهد لإحياء سنة رسول الله ﷺ بشراً وتطبيقاً ، إدعة ، وتباعاً ، فكانوا أئمة نفوسهم ، وأئمة عملهم . وانتقلوا إلى العالم الآخر مرضياً عنهم من معاصريهم ومرصياً عنهم من الله ب شاء الله .

أرأيت إلى مركب النقص في إسان مغرور كيف يحمله عن المحوم على صحابة رسول الله ﷺ الذين قد فهم ، صوات الله عنه وسلامه ، وهو المعصوم الذي لا يطق عن الهوى الكثير من المدح ، وكثير من لثناء ، والذين همي رسول الله ﷺ أن يتناولهم غيرهم بالإساءة أو التحقير .

أرأيت إلى مركب النقص في إسان مغرور كيف يحمله عن حمل لقلم ، لا ليرسم هدنة قرآنية أو حلقاً سوائاً ، ولا لشتت إيماناً أو سباحم إلهاداً ، وإلى يتداول هؤلاء الذين كرسوا حياتهم لخدمة السنة النبوية لا يبعون من وراء ذلك مالا ولا جاهاً . وقد عرّض عن أحدهم منع صحم من انك ليسكت مجرد سكوت - عن محدث . فلا يترص به نرح أو تعدين ، لقد عرّض عليه الكثير لا يشهد رور ولا يمدح من لا يستحق المدح ، وإيماناً لشخصاً معيناً ، لصرف النظر عنه . ليسقطه من قول ما يعتقد أنه الحق منه ، فأني وقاب عن المحدث ما رأي أنه يوافق الحق والصواب .

في مركب قصص عبد بعض المعروفين بدين حرمهم الله مواهب مصلا .
يحملهم على حمل القم ليل من بعض صحابه رسول الله ﷺ حرجا . وهذا .
وسيا وشتما وتحقيرا وإساءة .

ومن أجل إحصاء ما بنفوسهم من نزعة تحقير كل حاصل . و سبل من كل كريم
صاهر ندمهم يريهم التاريخ . ويعرفون انكلم عن مو صعه ويكذبون متعدين .
ليصنوا إلى هدم من سجل التاريخ جلودهم مصلا بمتارين

ولسفر لآل إلى أي مدى يصل به تحريف الكلم عن مو صعه وتزيينه و كذب
فيه . صاء سرعهم انفسه . يقول مرحوم الأستاذ مصطفى السباعي في كتبه
النقيس « سه ومكستها في التشريع للإسلامي » متحدثا عن كذب والتحريف
وليته في كتاب « صوء على سه » تأليف أبي رة

١ يقول في الهامش قم ٣ من صحيفة ١٦٢ من كتبه عن عبد الله بن عمرو
رصى الله عنه

« وكان قد أصاب رملتين من كتب أهل الكتاب وكذب يرويه لانس » عن
أبي « ثم سب هذا القوم بن ابن حجر في فتح الباري ص ٦٦ ح

وعبارته في الفتح سب هذا « عن أبي رة » إنما ارها أبو رة . وسب إد
الحافظ بن حجر . ليؤكد بقارئ نشك في أحاديث صحبة رسول الله ﷺ الذي
كان بعضهم ستمع إلى مسمة أهل الكتاب تتحدثون عن أحبار الأمم المصيه
فهم من كان ينقلها عنهم على أنها قصص متعلق بالماضي

ولكن ما رة كان بينهم أنهم كانوا « سبوا » إن سبي ﷺ ولم
يكتف بذلك الهتاف حتى سه إلى الحافظ بن حجر . وهو لم ينقله قط ولا يقونه
مسلم يعرف ما كان عليه هذا الخيل الهد في ربيع الإنسانية من صدق بدهجه .
وستقامة الدين . ووقوف عند حدود الله فيما أمر وفيما نهى . وهم يعلمون أن الله
لعن الكاذبين ومفتهم . وليس أقر لعبود أعداء الله والإسلام من أن يرموا إلى رماهم
به « أبو رة »

٢ ونقل في ص ١١٥ عن ابن كثير في المدينة ونهاية ٠ ص ٢٠٦ ح ٨ أن
 عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار
 تترك الحديث « عن رسول الله » أو لأخفك بأرض القردة
 وعنده من كثير لتترك الحديث « عن الأوب » وليس فيها « عن رسول
 الله »

ولكن « ما » أي رية أحاط به تحريف هذا النص ، لبثت م دعاه من أن
 كعب كان يحدث عن رسول الله ﷺ وأن صحبة كانوا يتحدثون عنه لحديث
 وهذه القرية نسبا المستشرقون اليهود أمثال « جوند ريه » يدعو تأثير يهوديه
 في المسلمين لإسلامي ، فينفقها منهم « الخفق عمنى » أبو ربه ، وترجع لهم إثبات
 لأدلة عن صديق « تروير »

٣ ونقل في ص ١٦٣ عن المدينة ونهاية لاس كثير ص ١٠٦ ح ٨ أن
 عمر رضي الله عنه هدد « هريرة ترك حديث أو ليحرقه بأرض دوس » أو بأرض
 القردة »

وهذه الزيادة « أو بأرض القردة » من مقترحات أبي رية على عمر وابن كثير
 معا ، وإنما قلنا عمر بكعب كما مر بهده في ترك الحديث عن « لأوب » أي الأمم
 خاصة ، كما نقل ذلك ابن كثير

٤ نقل أبو رية في عدة مواضع من تحته عن أبي هريرة بصواب في تكذيب
 عمر وعثمان وعبيد بن جراح وغيرهم لأبي هريرة ، ثم نسب إلى ابن قتيبة في « تأويل
 مختلف الحديث » وترجم أبو رية لاس قتيبة في هـ مش كتبه أنه كان لأهل اسمه
 كالحاظ لسمعة في قوة البياض والحمرة

وقصده من ذلك تأكيد تصيل الفارئ بأن رجلا كان قتيبة له مكانته بين أهل
 السنة يظن في أبي هريرة هذا النص ديب على صحة ، يذهب إليه أبو رية من
 تكذيب أبي هريرة فيما يرويه عن رسول الله ﷺ

مع أن ابن قتيبة كتب « تأويل مختلف الحديث » لمرد على من طعن في ثبوت
 الحديث ضد الصحابة حتى عصره ، وأحرزهم هم « وساء الاعتراض كاستخدام وأمثاله

وآخريين ثم ساق ابن فتيه شتاتهم سطم لاني بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود
وأبي هريرة وغيرهم من كبار الصحابة . ثم كرر ما ورد عليه وبقيده ما قلده عن كل
واحد من هؤلاء

فأخذ «أوريه» ما قاله سطم في أبي هريرة وسه إلى بن فتية ، وتعمي عن
رد بن فتية على سطم . وهكذا نكون لأمانة « لأمانة العممة » عند هذا « محقق
العلمي » !

• ونقل في ص ١٩٥ عن مرحوم السيد رشيد كلاماً عن كعب ووهب بن
منه قال فيه

« وما يدري أنا كل الرويات أو الموهومة منها يرجع إليها » مع أن الجماعة
« وما يدري أنا كل (تلك) روايات إلح فأسقط أوريه كسبه » تلك « التي
أشار بها سيد رشيد رحمه الله في مرويات كعب ووهب عن أهل الكتاب :
لتجىء بعد موهمة أنا كل روايات الصحابة يرجع إليها فانظر في هذا الدس
وتلاعب في نقل النصوص لتتفق مع أهوائه وأعصره
هذه أمثلة لا محال بمناقشة فيها يد عن بلاعه في نصوص التي فيها .
وبسبها إلى غير قائليها

وشهد أني لا أعلم خدأ من أشد المستشرقين تعصباً ودساً بلغت حرته في تحريف
النصوص وتلاعب فيها كما بلغت حرته في ربة ما داغوب في هذا « العلامة المحقق
الأمير » ! هـ

بـ مقاسم أسلاف . بل مدس اسحت العلم الصحيح في كل عصر ،
تسقط عدالة أبي به وتنفيه عن دثرة السحش . وتسهر به ككب ب . وكمحرف
للحكم عن مواضعه وكحاش لأمانة العممة . وتسحب الثقة منه كلة
وأبو . ية لا يعدو أن يكون صيباً من صيب المستشرقين . وبمستشرقين صيباً
في الشرق معروف . إن لم صيباً مأجورين ، وإن هم صيباً ملاحدة . وإن لم
صيباً تابعين مقندين !

فمحدث يد عن المستشرقين في صورة صريحة ب من المعروف أن

الاستشراق - في طائفة كبيرة منه - إنما هو امتداد للحروب انصليبية
 إن الغربيين يريدون بكل وسيلة إقصاء عن الإسلام كقوة لها ذاتيتها ،
 وأصلها ، ومهيحها في الحياة ، وهم يستعمون من أجل ذلك كل الوسائل
 إنهم يستعمون السلاح في قسوة قاسية ، وفي عنف عنيف حتى يمكنهم استعمال
 السلاح ، فإذا لم تواسم الظروف استعمالوا أسلحة أخرى منها الاستشراق
 وكثير ما يرافق الاستشراق المدفع والسيارة في لأقطار المستعمرة ، وهدف
 الاستشراق إفساد ما يمكن إفساده من الدين ، ومن ثم من الخلق ، وقد وصح
 على مر الأيام - أن خصائص الاستشراق أنه

١ - متأثر بالبيئة التي نشأ فيها المستشرقون ، ولقد عبر عن هذه حقيقة نفع
 بعير أحمد العربيين الذين كانوا يريدون معرفة حقيقة عن سيدنا محمد ﷺ ، فقرأ
 كتاباً عنه بعدة لغات ثم قال :

إن صورته في الإسلام صورة فرنسية إذا كانت تعلم الغربيين ، وهي ثديية إذا
 كانت تقم الأساس ، وهي أمريكية إذا كانت تقم الأمريكيين ، وهي وهذا مما
 يتعلق بالبيئة الاجتماعية

٢ - والاستشراق متأثر بالبيئة الدينية ، ومن الطبيعي الواضح أنه إذا كان
 المستشرق مؤمناً بدينه فإنه يكتب عن الإسلام مؤمناً بأنه دين مريف
 ولا أدري كيف يعرف ذلك - مع بدايته - عن أدهم المسلمين الذين يقرءون
 الإسلامات تقم المستشرقين ، فيولونهم شيئاً من الثقة أو يولونهم كل الثقة على
 حسب درجة استعداد القارئ لتقليد والمتابعة

٣ - ومن المعروف البقي أن الاستشراق - في أعينه - يسير في ركاب الاستعمار
 أو في ركاب الكعبة

إن ذلك ظهر واضح بكل من قرأ تاريخ الاستشرق وصلته ، لكنيسة
 والاستعمار - ومن أجل ذلك لم يكن عربياً أب يريف الاستشرق الخفايا وهو إن لم
 يريفها وطنية يريفها ندياً ، وإن لم يريفها ندياً يريفها وطنية ، فإذا لم تقو الوطنية
 وحدها أو التدين وحده على حمل الاستشرق على التزييف - تكاتف التدين

والوطنية معاً محملاته متعاونين على التزييف ، هريف تدساً ووطنية . « إنك لا تنتظر من قسيس يعيش في الكنيسة مثل « آرين بلاسيوس » ، حينما يكتب عن الإسلام إلا مسحاً وتشوهاً كما فعل ذلك حينما كتب كتبه المعروف بالعنوان الذي لا يتسم بأدب ولا بمعاملة وهو « الإسلام المسيحي » !

ما انقيس لأمس فقد وهب حياته لمحاولة هدم الإسلام عقيدة ، ولمحاولة هدم الإسلام تاريخاً ، ولمحاولة هدم الإسلام روحاً ، ولمحاولة هدم الإسلام في كل ما يتعلق به . إن مستشرقين القساوسة عدد لا يحصى ، أما المستشرقون في وزارات الخارجية العربية .

وفي وزارات الدفاع والحربية .

وفي وزارات الإعلام والدعاية

فإنهم أبصا عدد لا يكاد يحصى

ماذا تنتظر من مستشرق هو مستشرق في وزارة الدعاية ، أو في وزارة الحربية ، أو في وزارة الخارجية ؟ إن انسداحة مها وصفت درجتها لا يتأتى أن تولى مستشرقاً يأكل عيشه من سيره في ركاب الكنيسة ثقها

٤ - طائفة من المستشرقين مستعدة أن تسير في ركاب ، لأنها تسير في ركاب

نسطان : تلك هي طائفة المستشرقين اليهود .

إن كتاب بروتوكولات حكماء صهيون أو كتاب لخطر الصهيونية . سين في وصوح أن اليهود قد آلو على أنفسهم أن يفسدوا على الإنسانية دينها وحقها وثقافتها .

وقد مي الإسلام بطائفة من المستشرقين اليهود على درجة من الحبث والمكر

والدهاء يوجب ما الشيطان نفسه

أرأيت إلى اندكاء الحاد الحبث حينما يستعمله صاحبه حامداً لا يفتري عراض شيطانية يريد بذلك أن يفسد على مسلمين مثلهم لعليا في الفصيلة والخير وإيمانهم الراسخ في إله في ورسوله . . . ؟

إن هذا الدكاء الحاد الحبث الذي أحد يعمل لا يفتري قد تركز في بضعة أفراد

من اليهود - كأخيث ما يكون اليهود - على رأسهم جولد زهر :
ولقد كان جولد زهر حركة لا تفتر في الإفساد والتشويه ، وساعده مال اليهود
ودعايتهم ، فترجموا ونشروا أفكاره في كل مكان ، حتى لقد ترجمت كتبه الخبيثة
إلى اللغة العربية نفسها ونشرت في مختلف الأقطار الإسلامية : تذيع الكذب في
صورة البحث العلمي ، وتنتشر التشويه في صورة الحقائق الثابتة ، وتدعو إلى الشك
فيما لا يتأتى فيه الشك ، واغتربه طائفة من المغرورين وظنوا أن أبحاثه علمية ، وأنه
باحث مثبِت ، وعالم يتحرى الحقائق .

وإلى هؤلاء ، وإلى كل من يثق بالمستشرقين نذكر مثالين اثنين - من عشرات
الأمثلة - التي تمتد جولد زهر أن يكذب . وأن يحرف الكلم عن مواضعه فيها .
وهذان المثالان إنما هما نموذج لأعمال كثير من المستشرقين العلمية .
يقول المرحوم مصطفى السباعي :

زعم جولد زهر أن الزهري اعترف اعترافاً خطيراً في قوله الذي رواه عنه معمر :
« إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة » أحاديث « وأن ذلك يفهم استعداد الزهري
لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند الأمة الإسلامية .
قدمنا لك عند الحديث عن صدق الزهري وجراته أنه أبعد الناس عن الإذعان
لأهواء الحاكمين ، وذكرنا لك من الوقائع التاريخية بينه وبين خلفاء بني أمية ما نجم
معه بأنه ليس ذلك الرجل المستعد لأن يكسو رغبات الحكومة باسمه المعترف به عند
المسلمين .

أما هذا النص الذي نقله ففيه تحريف بسيط بقلب المعنى رأساً على عقب وأصله
كما في ابن عساكر وابن سعد : أن الزهري كان يمتنع عن كتابة الأحاديث للناس -
ويظهر أنه كان يفعل ذلك ليعتمدوا على ذاكرتهم ، ولا يتكلوا على الكتب كما
ذكرنا من قبل - فلما طلب منه هشام وأصر عليه أن يملأ على ولده ليمتحن حفظه كما
تقدم ، وأملى عليه أربعمئة حديث خرج من عنده وقال بأعلى صوته : « أيها الناس
إنا كنا منعناكم أمراً قد بدلناه الآن لهؤلاء ، وإن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة
« الأحاديث » فتعالوا حتى أحدثكم بها فحدثهم بالأربعمئة » حديث « هذا هو

النص التاريخي لقول الزهرى ، وقد رواه الخطيب بلفظ آخر وهو : كنا نكره كتاب العلم - أى كتابه ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين . اهـ . « تقييد العلم ص ١٠٧ » .

فانظر كم الفرق بين أن يكون قول الزهرى ، كما روى جولد زهر « أكرهونا على كتابة أحاديث » وبين أن يكون كما رواه المؤرخون : « أكرهونا على كتابة الأحاديث » أو كما رواه الخطيب « على كتاب العلم ؟ » .

ثم انظر إلى هذه الأمانة العلمية « حذف » « ال » من الأحاديث فقلبت الفضيلة رذيلة . حيث كان النص الأصل يدل على أمانة الزهرى وإخلاصه في نشر العلم ، فلم يرض أن يذل للأمراء ما منعه عن عامة الناس إلا أن يذله للناس جميعاً ، فإذا أمانة هذا المستشرق تجعله ينسب للزهرى أنه وضع للأمراء أحاديث أكرهوه عليها ، فأين هذا من ذاك ؟

أما ما نقله « جولد زهر » من قول وكيع عن زياد بن عبد الله من أنه كان مع شرفه في الحديث ! كذباً - فهذه إحدى تحريفات هذا المستشرق الخبيث فأصل العبارة كما وردت في التاريخ للإمام البخارى : وقال ابن عقبة السدوس عن وكيع : هو (أى زياد بن عبد الله) أشرف من أن يكذب اهـ من القسم الأول الجزء الثانى ص ٣٢٩ .

فأنت ترى أن وكيعاً ينسب عن زياد بن عبد الله الكذب مطلقاً ، لا في الحديث فحسب ، وإنه أشرف من أن يكذب ، فحرنها هذا المستشرق اليهودى إلى أنه كان - مع شرفه في الحديث - كذباً . وهكذا تكون أمانة هذا المستشرق ! إن المستشرقين وأتباعهم من الملاحدة والمأجورين والقلدين هم الوضاعون في العصر الحاضر .

ولكن الله سبحانه قد هيا للسنة تدويناً صحيحاً ، وتسجيلاً متقناً ورجالا كرسوا حياتهم لها ، يدافعون عنها عصراً بعد عصر ، وينشرون أريجها جيلاً بعد جيل : مزيين وشارحين ، ناشرين وموضحين .

فهرس

صفحة	
٥	مقدمة :
٢٢	الكتاب الأول : القرآن الكريم
٢٦	تمهيد
٢٩	الفصل الأول : الجو الذي نشأ فيه الإسلام
٤٧	الفصل الثاني : تصحيح الفكرة العامة عن العرب
٥٧	الفصل الثالث : في العقيدة
١١١	الفصل الرابع : في تفسير القرآن
١٣٩	الفصل الخامس : اقرأ باسم ربك الذي خلق
١٩١	الكتاب الثاني : النبي ﷺ
١٩٤	تمهيد
٢١٣	الفصل الأول : النسب الشريف
٢٢٥	الفصل الثاني : نبى التوبة
٢٣٥	الفصل الثالث : الوحي
٢٦١	الفصل الرابع : الإسراء والمعراج
٢٧٥	الفصل الخامس : الهجرة
٢٨٩	الفصل السادس : الجهاد
٢٩٧	الفصل السابع : النبى العابد
٣١٣	الفصل الثامن : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق
٣١٩	الفصل التاسع : من توجيهات القرآن الكريم
٣٣١	الكتاب الثالث : السنة الشريفة ومكانها
٣٣٤	تمهيد
٣٣٩	الفصل الأول : وما أرسلناك إلا كافة للناس
٣٥٥	الفصل الثاني : تدوين السنة
٣٧٣	الفصل الثالث : المحدثون في جهادهم
٣٨٩	الفصل الرابع : لوضاعون في العصر الحاضر

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٩٩٧٧
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6389-3

١/٢٠٠٢/٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صاحب ورثة مدرسة الفكر الإسلامي والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي التصوف في العصر الراهر ، فقد أثرى المكتبة العربية بأهميات الكتب بين تحقيق وتأليف وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي وكتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل النبوة » ، و « القرآن في شهر القرآن » إلى جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين قبل المؤيدين ، إلى جانب اللباقة والدراية الكاملة في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمور الدين ، وأيضاً يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارة ، مما يدل على المهارة الفائقة والملمة اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على مر العصور .



دار المعارف

١٠٠٩٩٥/١١



إدارة المعارف